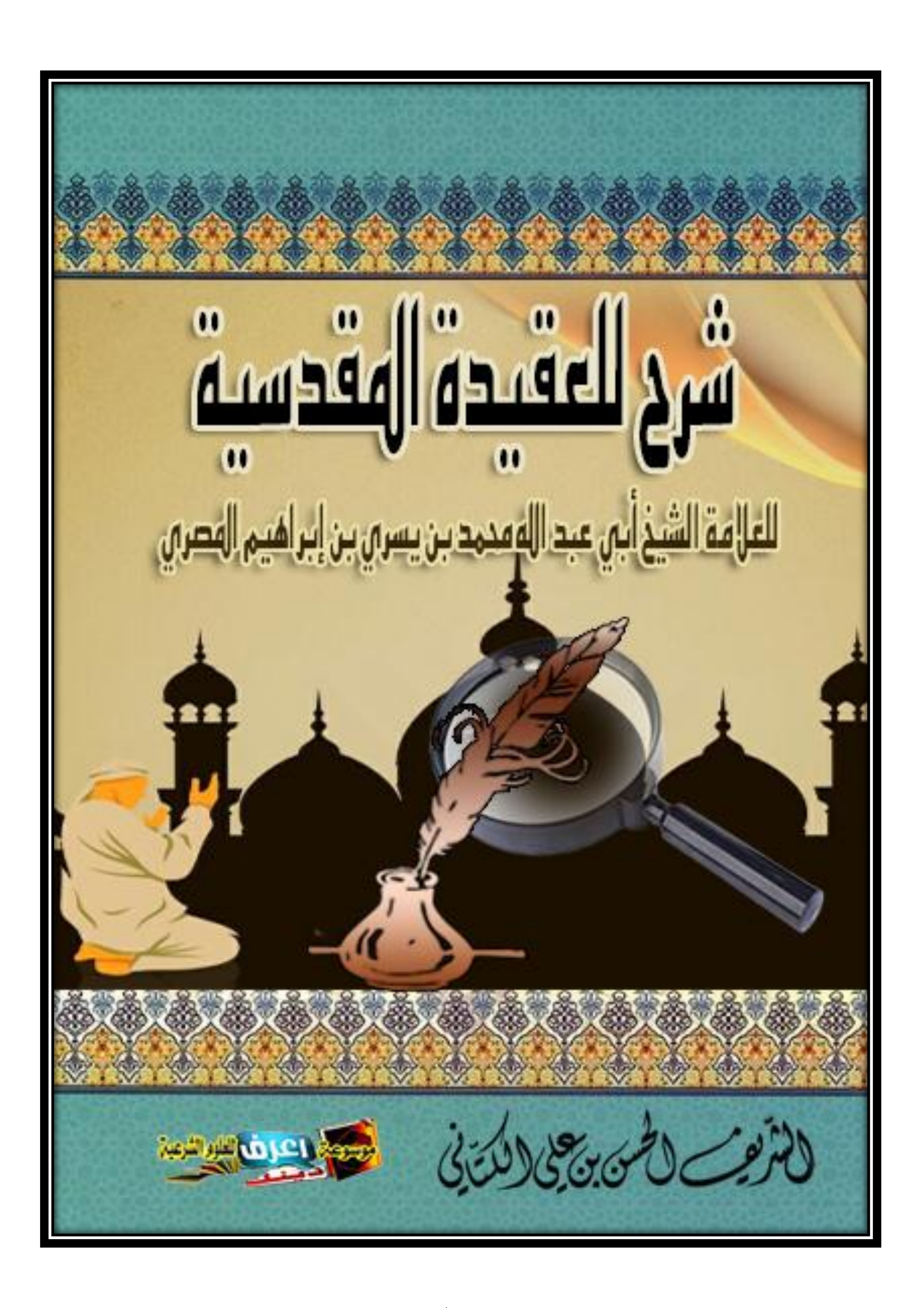

شرح العقيدة المقدسية
للعلامة الشيخ أبي عبد الله محمد بن يسري بن إبراهيم المصري
الشريف الحسن بن علي الكتاني
موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية



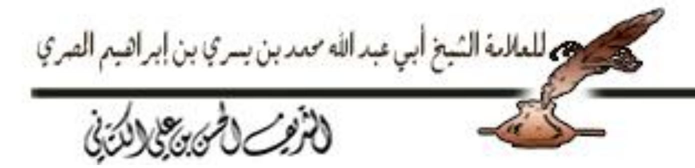
شرح للعقيدة المقدسية

للعلامة الشيخ أبي عبد الله محمد بن يسري بن إبراهيم المصري

شرح

الشريف الحسن بن علي الكتاني





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معز المجاهدين الناصرين لدينه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مربي الرجال ومعلم الأجيال للذود عن ملته، وعلى آله الأطهار، البررة الأخيار، وصحابته الذين تفرقوا في البلاد ناشرين شريعته، ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فهذا شرح للعقيدة المقدسية، التي كتبها أخونا وحبيبنا العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن يسري بن إبراهيم المصري، حفظه الله، وضمنها عقيدة المسلمين في بيت المقدس، وحقيقة الصراع بيننا وبين اليهود ومن والاهم من الصليبيين على الأرض المقدسة.

وسبب شرحي لهذه العقيدة المباركة هو أني لما رأيت تهافت زعماء بلاد المسلمين زرافات ووحدانا لعقد الصلح والسلام والوئام مع اليهود المحتلين للأرض المقدسة، تهافت الفراش على النار، ورأيت كثيرا من المسلمين لا يدرون ما هي حقيقة الصراع بيننا وبين اليهود الصهاينة، ومنهم من يحبذ ما حدث، وآخرون يزعمون أن أهل فلسطين أنفسهم تصالحوا مع العدو فلنتصالح نحن كذلك. وتغافلوا عن أن فلسطين جزء عظيم من بلاد الشام، وأن أعظم ما فيها هو بيت المقدس ومسجده الاقصى، وأن هذا الصلح تنازل عنها لهم، بل استسلام مهين وضياع للحقوق، بل خذلان لإخواننا، وتفريط في استنقاذ ثالث المساجد العظيمة بعد الحرمين الشريفين، وأولى القبلتين، ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، من يد الذين كفروا من أهل الكتاب. وفي ذلك من موالاة أعداء الله ومعاداة أولياء الله ما فيه.

وأسأل الله تعالى أن يوفقني لما يحبه ويرضاه، ويسدد خطاي ويلهمني القول الصواب، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين.

ترجمة المؤلف حفظه الله :

هو أبو عبد الله محمد بن يسري بن إبراهيم بن حسين المصري الحنبلي الأثري.

ولد في القاهرة في أول جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ.

حصل الدكتور محمد يسري إبراهيم على البكالوريوس في الهندسة الكيميائية بتقدير جيد جداً من جامعة المنيا عام ١٤٠٨هـ، ثم على الماجستير في الهندسة بتقدير ممتاز من نفس الجامعة عام ١٤١٣ هـ. وحصل على الدكتوراه في الهندسة بتقدير ممتاز من جامعة القاهرة عام ١٤١٩هـ.

كما حصل على الإجازة العالية (البكالوريوس) في الشريعة الإسلامية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف من جامعة الأزهر عام ١٤١٧ هـ.

وحصل على درجة التخصص (الماجستير) في الشريعة الإسلامية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف، والتوصية بالطبع والتبادل بين الجامعات، وذلك من جامعة الأزهر عام ١٤٢٣ هـ، عن دراسة بعنوان: "الجناية العمد للطبيب على الأعضاء البشرية بالجراحة الطبية".

ثم حصل على الدكتوراه في الشريعة الإسلامية بعنوان "النوازل الفقهية للأقليات المسلمة، تأصيلاً وتطبيقاً" في جامعة الأزهر. بتقدير امتياز مع التوصية بالطبع والتبادل بين الجامعات ١٤٣١ هـ.

الوظائف العلمية:

دكتور باحث بالمركز القومي للبحوث في وزارة البحث العلمي بالقاهرة

وكيل جامعة المدينة العالمية

رئيس مجلس إدارة مركز فجر لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها - وزارة التربية والتعليم - القاهرة

رئيس مركز البحوث وتطوير المناهج في الجامعة الأمريكية المفتوحة - القاهرة

رئيس الشئون الأكاديمية بالجامعة الأمريكية المفتوحة - القاهرة

عضو مجلس أمناء الجامعة الأمريكية المفتوحة - واشنطن

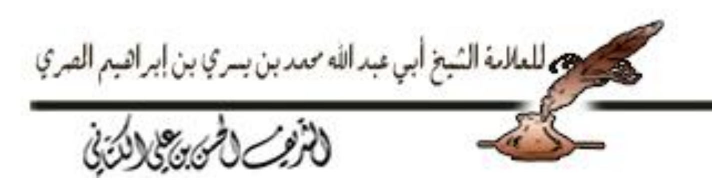
نائب رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة - القاهرة

نائب رئيس مجلس إدارة معهد تاجان الأزهري

باحث مشارك مجمع الفقه الإسلامي - جدة

عضو مؤسس الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام – رابطة العالم الإسلامي

عضو مجلس إدارة مركز قطر الثقافي الإسلامي - بالقاهرة



عضو مجلس أمناء ورئيس اللجنة العلمية منظمة النصرة العالمية ، الكويت

عضو مجلس أمناء الهيئة العليا لرابطة علماء المسلمين

مستشار شرعي شركة حرف، وشركة وثيقة للترجمة – القاهرة

أمين عام الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح

مؤلفاته:

من مؤلفات الشيخ حفظه الله:

في العقيدة:

طريق الهداية – مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة

المبتدعة وموقف أهل السنة والجماعة منهم

متن درة البيان في أصول الإيمان

فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول الأضرحة والقبور والموالد والنذور

فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول الشيعة

فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول البهائية والقاديانية

البدعة أسبابها ومضارها – للشيخ أحمد محمد شلتوت – عناية وتعليق

القواعد النافعة في تمييز البدع الواقعة

بيان للناس من الأزهر الشريف

في الفقه وأصوله:

الإحكام في قواعد الحكم على الآثام

الفتوى المعاصرة ما لها وما عليها

أوضح العبارات في شرح المحلى مع الورقات في أصول الفقه

فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول ربا البنوك والمصارف

فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول الختان

فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول النقاب

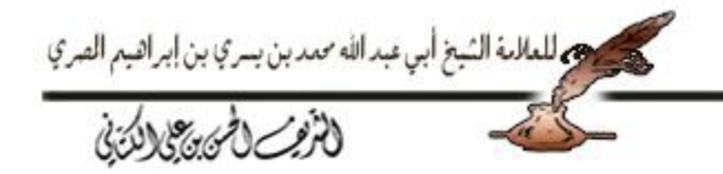
فقه العبادات والمعاملات للحنابلة

فقه العبادات والمعاملات للشافعية

فقه النوازل (تأليف مشترك)

ميثاق الإفتاء المعاصر

في الحديث:



الجامع في شرح الأربعين النووية

الإحكام في قواعد الحكم على الأنام

فتح الباري على مختصر البخاري حاشية على التجريد الصريح للزبيدي

التسديد شرح حديث النزول للحافظ ابن عبد البر

بحوث وكتب أخرى:

الجامع المبين عن غرر الأربعين (٣ مجلدات) تحت الطبع

الجناية العمد للطبيب على الأعضاء البشرية في الفقه الإسلامي (رسالة ماجستير)

التطاول الغربي على الثوابت الإسلامية

التجديد في عرض السيرة النبوية – مقاصده وضوابطه

الفضائيات الإسلامية – رؤية نقدية

المصلحة في التشريع الإسلامي

تاريخ التشريع (تأليف مشترك)

مبادئ علم أصول الدعوة (دراسة تأصيلية)

معالم في أصول الدعوة

ولتستبين سبيل المجرمين

حفظ الله الشيخ وبارك في عمره.





مُقَدِّمَة

في شبهات الصهاينة في احتلال الأرض المقدسة، والرد عليها:

أرض الميعاد (بالعبرية: **הארץ המובטחת** «الأرض» هي المقابل العربي لكلمة «هاإرص» العبرية التي ترد عادةً في صيغة «إرص يسرائيل» أي «أرض إسرائيل». فهي «أَرْض الله» (هوشع ٩:٣)، وهي الأرض التي يرعاها الإله (تثنية ١١:١٢)، ثم هي الأرض المختارة، وصهيون التي يسكنها الله، والأرض المقدَّسة (زكريا ٢:١٢) التي تفوق في قدسيتها أيَّ أرض أخرى لارتباطها بالشعب المختار.

وقد جاء في التلمود: "وَالآتِي عَلَيْهِ يَفْعَلُ كَإِرَادَتِهِ وَلَيْسَ مَنْ يَقِفُ أَمَامَهُ، وَيَقُومُ فِي الأَرْضِ الْبَهِيَّةِ وَهِيَ بِالتَّمَامِ بِيَدِهِ." (دا ١١ : ١٦). وهي كذلك «الأَرْضِ الْبَهِيَّةِ» (دانيال ١١:١٦).

ويعتقد اليهود أنها الأرض التي وعد الله بها نبيه يعقوب (إسرائيل). الوعد كما في التوراة كان أولا لإبراهيم، عليه السلام، وتجدد العهد بعد ذلك إلى ابنه إسحق، وإلى يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، عليهم جميعا الصلاة والسلام.

وأسندت أرض الميعاد لأولادهم، وكان وصفها في شروط من الأراضي من نهر النيل إلى نهر الفرات.

ويعتقـد اليهود أن الله تعالى وعد إبراهيم، عليه السـلام، وعاهده على أن تكون هذه الأرض لنسله. فهي «أرض المعاد» التي سيعود إليها اليهـود تحـت قيادة المشيَّح (المسيح المخلص)، أي الأرض التي ستشهد نهاية التاريخ.

فأرض إسرائيل هي مركز الدنيا لأنها توجد في وسـط العالم، تماماً كما يقف اليهود في وسـط الأغيار، وكما يشـكل تاريخهم المقدَّس حجر الزاوية في تاريخ العالم وتماماً كما تشـكل أعمالهم حجر الزاوية لخلاص العالم.

وقد ذكر هذا في عدة مواضع من التوراة ، ففي سفر التكوين ١٢: ١-٥ :

وَقَالَ الله لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. ٢ فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. ٣ وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ».

وفي سفر التكوين ١٢: ١٤-١٥ :

١٤ وَقَالَ الله لأَبْرَامَ، بَعْدَ اعْتِزَالِ لُوطٍ عَنْهُ: «ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، ١٥ لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ.

وقال أيضا له سفر التكوين ١٥: ٧ :

قَالَ لَهُ: «أَنَا الله الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هذِهِ الأَرْضَ لِتَرِثَهَا».

وفي سفر التكوين ١٨:١٥-٢١ : حدود أرض الميعاد هو توضيح لأراضي الشعوب القديمة المختلفة، على النحو التالي :

"وفي ذلك اليوم قطع الله مع ابرام عهدا، وقال :" لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات—أرض القينيين، القنزيين، القدمونيين والحثيين والفرزيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين ".

ويقال إن الآية لوصف ما يعرف "حدود الأرض" ففي التقاليد اليهودية، تحدد هذه الحدود إلى أقصى حدود الأرض الموعودة لنسل إبراهيم من خلال ابنه اسحق وحفيده يعقوب. وأكد الوعد ليعقوب، عليه السلام، في سفر التكوين ١٢:٢٨-١٥.

ويصدق ذلك أيضا قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِّ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم ملُوكًا وَآتَاكُم ما لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا من الْعَالَمِين ۝ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُّ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِين ۝ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن ندْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُون ۝ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُّ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِّ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مؤْمِنِين ۝ قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا ما دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُون ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِين ۝ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِين﴾ [المائدة ٢٠: ٢٦].

الرد على هذه الشبهات

أما أن الله تعالى وعد إبراهيم، عليه السلام، واصطفاه وجعله خليله، فهذا مما لا شك فيه، عندنا معشر المسلمين، لأن الله تعالى يقول: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)).

قال الحافظ ابن كثير، رحمه الله: " يقول تعالى منبها على شرف إبراهيم خليله ، عليه السلام وأن الله تعالى جعله إماما للناس يقتدى به في التوحيد ، حتى قام بما كلفه الله تعالى به من الأوامر والنواهي ؛ ولهذا قال) : وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات (أي : واذكر يا محمد لهؤلاء المشركين وأهل الكتابين الذين ينتحلون ملة إبراهيم وليسوا عليها ، وإنما الذي هو عليها مستقيم فأنت والذين معك من المؤمنين ، اذكر لهؤلاء ابتلاء الله إبراهيم ، أي : اختباره له بما كلفه به من الأوامر والنواهي)فأتمهن (أي : قام بهن كلهن ، كما قال تعالى) : وإبراهيم الذي وفى] (النجم : ٣٧ [، أي : وفى جميع ما شرع له ، فعمل به صلوات الله عليه ، وقال تعالى) : إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين] (النحل : ١٢٠ ، ١٢٣ [، وقال تعالى) : قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين] (الأنعام : ١٦١ [، وقال تعالى) : ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما

وما كان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين] (آل عمران : ٦٧ ، ٦٨[".

وقد اختلف العلماء [في تفسير الكلمات التي اختبر الله بها إبراهيم الخليل ، عليه السلام. فقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن سعيد أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال: الكلمات التي ابتلى الله بهن إبراهيم فأتمهن : فراق قومه في الله حين أمر بمفارقتهم . ومحاجته نمروذ في الله حين وقفه على ما وقفه عليه من خطر الأمر الذي فيه خلافه . وصبره على قذفه إياه في النار ليحرقوه في الله على هول ذلك من أمرهم . والهجرة بعد ذلك من وطنه وبلاده في الله حين أمره بالخروج عنهم ، وما أمره به من الضيافة والصبر عليها بنفسه وماله ، وما ابتلي به من ذبح ابنه حين أمره بذبحه ، فلما مضى على ذلك من الله كله وأخلصه للبلاء قال الله له: (أسلم قال أسلمت لرب العالمين) على ما كان من خلاف الناس وفراقهم.

وأما أن الله اصطفى بني إسرائيل على أهل زمانهم فأيضا هو مما لا شك فيه. فقد اصطفى الله أمة بني إسرائيل على سائر الأمم المشركة القائمة حينذاك، وجعل فيهم النبوة والكتاب والملك والشريعة

وقال عنهم: {ولقد اخترناهم على علم على العالمين} [الدخان:٣٢]. وقال سبحانه: {يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين} [البقرة:٧٤]. وقال تعالى: {ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم

على العالمين} [الجاثية:١٦]. وقال عز من قائل سبحانه: {أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين} [الأعراف:١٧٠].

وقد ظهرت بركات هذا الاصطفاء والاختيار في حياة بني إسرائيل :

أ- كثر فيهم الأنبياء المصلحون {ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة} [الجاثية:١٦].

ب- العز والتمكين بعد الذل والمهانة. {ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم} [الجاثية:١٦].

{وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا } [الأعراف:١٧٣]. {وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم} [البقرة:٤٩].

{وإذا فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون} [البقرة:٥٠].

{وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم} [النور:٥٥].

ج- كثرة النعم عليهم. {وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} [الأعراف:١٦٠].

{وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم} [البقرة:٦٠].

ويزعم اليهود أنهم شعب الله المختار إلى الأبد، وأن هذا الاختيار قائم على حسن حسبهم ونسبهم ولا علاقة له بالإيمان والعمل، ويحتجون بقول التوراة: "ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت من السنة الآتية" (سفر التكوين/ الإصحاح١٧).

ويعتبرون هذا العهد والاصطفاء ماضياً فيهم إلى قيام الساعة. ففي نص آخر تقول التوراة: "يدعو اسمه إسحاق وأقيم معه عهداً وأبدياً لنسله من بعده" (سفر التكوين/ الإصحاح١٧).

غير أن هذه الدعوى تتساقط بالحجج التالية:

هذا الوعد لذرية إبراهيم، عليه السلام، وليس فقط لذرية إسرائيل:

فإن إسماعيل، عليه السلام، سيكون أيضا أمة عظيمة مباركة كما في التوراة: (أَمَّا إِسْمَاعِيلُ، فَقَدِ اسْتَجَبْتُ لِطِلْبَتِكَ مِنْ أَجْلِهِ. سَأُبَارِكُهُ حَقّاً، وَأَجْعَلُهُ مُثْمِراً، وَأُكَثِّرُ ذُرِّيَّتَهُ جِدّاً فَيَكُونُ أَباً لاثْنَيْ عَشَرَ رَئِيساً، وَيُصْبِحُ أُمَّةً كَبِيرَةً). سفر التكوين ١٧ : ٢٠.

ويؤكد هذا حديث الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : ((إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم)) [رواه مسلم (٤/ ١٧٨٢) حديث رقم (٢٢٧٦)].

لقد أوضح الله سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام أنه بنسله ستتبارك جميع أمم الأرض فقال له : ((.. أباركك مباركة ، وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء .. ويرث نسلك باب اعدائه ، ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض)) [تك ٢٢ : ١٨] ، وكان الله، تعالى، أيضاً قد وعد ابراهيم قبل ذلك كما في [تك ١٥ : ١ - ٦] بأن من يخرج من احشاءه هو من سيرثه أي ان وارثه سيكون من صلبه .

لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يظل اسم ابراهيم مباركاً إلى الأبد وان يكون العهد بالنبوة والبركة، محصور في ولديه اسماعيل واسحق - عليهما السلام - لذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى لإسماعيل كما تقول التوراة بركة ووعوداً عظيمة لا تقل أهمية عن الوعود التي اعطاها لإسحق كما في النصوص التالية من التوراة:

- في سفر التكوين [١٧ : ١٥] يقول الله تعالى لإبراهيم عليه السلام : ((١٥وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «سَارَايُ امْرَأَتُكَ لاَ تَدْعُو اسْمَهَا سَارَايَ بَلِ اسْمُهَا سَارَةُ. ١٦وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ أَيْضاً مِنْهَا ابْناً. أُبَارِكُهَا فَتَكُونُ أُمَماً وَمُلُوكُ شُعُوبٍ مِنْهَا يَكُونُونَ». ١٧فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: «هَلْ يُولَدُ لاِبْنِ مِئَةِ سَنَةٍ؟ وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟». ١٨وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ للهِ: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ!» ١٩فَقَالَ اللهُ بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْداً أَبَدِيّاً لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. ٢٠وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيراً جِدّاً. اثْنَيْ عَشَرَ رَئِيساً يَلِدُ

وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. ٢١ وَلَكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هَذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الآتِيَةِ)) .

ففي هذا الكلام نلاحظ أن إبراهيم، عليه السلام، في الأية ١٨ يطلب من الله أن يبارك إسماعيل، عليه السلام، كذلك، فهو يقول لله تعالى : ((لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ!)) فاستجاب له تعالى، كما في الآية ٢٠ : ((وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيراً جِدّاً. اثْنَيْ عَشَرَ رَئِيساً يَلِدُ وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً.))

إلا أن الله سبحانه، اراد ان تبدأ البركة في اسحاق، عليه السلان، أولاً ، فقال لإبراهيم عليه السلام : ((وَلَكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هَذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الآتِيَةِ))، أي ان البركة ستظهر وستبدأ مع اسحاق ، لا كما فهم البعض بأن اسماعيل سيكون محروما من الوعد والنبوة.

لذلك نجد انه بعد ولادة اسحق، عليه السلام، بدأت الغيرة تدب في قلب سارة وبدأت تؤثر ابنها اسحاق على اسماعيل وتطلب من ابراهيم أن يعزل هاجر وابنها عن المشاركة في البيت . تقول التوراة [التكوين ٢١ : ٩] : ((وَرَأَتْ سَارَةُ أَنَّ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي أَنْجَبَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يمزح فَقَالَتْ لإِبْراهِيمَ : اطْرُدْ هَذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأن ابْنَ الْجَارِيَةِ لا يَرِثَ مَعَ ابْنِي إِسْحقَ. فَقَبُحَ الكلام جداً فِي عيني إِبْرَاهِيمَ مِنْ أَجْلِ ابْنِهِ. فَقَال اللهُ لَهُ : لاَ يَسُوءُ فِي نَفْسِكَ أَمْرُ الصَّبِيِّ أَوْ أَمْرُ جَارِيَتِكَ، وَاسْمَعْ لِكَلاَمِ سَارَةَ فِي كُلِّ مَا تُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ لأَنَّهُ بِإِسْحقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. وابْنِ الْجَارِيَةِ أَيْضاً سأجعله أمة لأَنَّهُ نسلك)).

وهذا يصدقه ما جاء في القرآن الكريم على لسان إبراهيم عليه السلام : ((ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم)) الآية ٣٧ من سورة ابراهيم . وتقول التوراة إن اسماعيل سكن في برية فاران ، إذ يقول سفر التكوين [٢١ : ١٧ _ ٢١] : ((وَسَمِعَ اللهُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَنَادَى مَلاَكُ اللهِ هَاجَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا: مَا الَّذِي يُزْعِجُكِ يَاهَاجَرُ؟ لاَ تَخَافِي، لأَنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ بُكَاءَ الصَّبِيِّ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُلْقًى. قُومِي وَاحْمِلِي الصَّبِيَّ، وَتَشَبَّثِي بِهِ لأَنَّنِي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً. ثُمَّ فَتَحَ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ وَسَقَتِ الصَّبِيَّ. وَكَانَ اللهُ مَعَ الصَّبِيِّ فَكَبُرَ، وَسَكَنَ فِي صَحْرَاءِ فَارَانَ، وَبَرَعَ فِي رَمْيِ الْقَوْسِ. وَاتَّخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ مِصْرَ.))

وبذلك يظهر لنا بطلان تمسك أهل الكتاب بقول ساره (اطرد هذه الجارية وابنها . .) دليلا على أن إسماعيل (عليه السلام) لا يرث النبوة .

وبحسب ماورد في تكوين [٢١ : ١٧] فإن اسماعيل قد تميز بأن الله قد سمع صوته فيعتبر إسماعيل ابن الصلاة : ((فسمع الله صوت الغلام)) وبحسب ماورد في تكوين [٢١ : ١٨] فإن الرب قال لهاجر : ((قومي احملي الغلام وشدي يدك به ، لأني سأجعله أمة عظيمة))

لقد ولد إسماعيل بحسب التوراة عندما بلغ إبراهيم من العمر ستة وثمانين سنة (تك ١٦:١٦) وعندما بلغ إسماعيل سن الثالثة عشر ختن (تكوين ١٧: ١٠- ٢٥) وبهذا الختان يكون اسماعيل قد اشترك في العهد الذي قطعه الله مع إبراهيم أبيه : ((هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك : يختن منكم كل ذكر فتختنون في لحم غرلتكم ،

فيكون علامة عهد بيني وبينكم)) (تكوين ١٧ : ١٠) وقد زاد من أهمية إسماعيل أن إبراهيم اختتن معه في يوم واحد (تكوين ١٧ : ٢٦) وانه باسماعيل قد تم تنفيذ عهد الختان.

لقد بات واضحاً الآن بأن اسماعيل عليه السلام موعود من الله بالآتي :

١ - البركة [١٧ : ٢٠] : ((هَا أَنَا أُبَارِكُهُ)) مع تذكرنا قول الرب لإبراهيم : ((ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض)) [تك ٢٢ : ١٨] وقوله : ((وابْنِ الْجَارِيَةِ أَيْضاً سأجعله أمة لأَنَّهُ نسلك)) [تك ٢١ : ١٣]

٢ - سيجعله أمة كبيرة [تك ١٧ : ٢٠] : ((وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً.))

٣ - سيجعله أمة عظيمة [تك ٢١ : ١٨] : ((لأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً))

ان امة اسماعيل عليه السلام هي أمة العرب وتسمى العرب المستعربة ، وتسمى بالعرب العدنانية ، ولم تعرف أمة اسماعيل هذه العظمة إلا عندما جاء الاسلام فباركها ، فهذا التعظيم وهذه الأمة الكبيرة لم يظهرا الا من محمد صلى الله عليه وسلم فإنه به بدأت بركة اسماعيل عليه السلام في الأمم وبه تحققت الوعود الإلهية السابقة لإسماعيل ... ولا ينكر هذا إلا مكابر .

ومن المعلوم بدهياً أن أبناء اسماعيل لم يكونوا سوى قبائل قليلة متناحرة بينها بالجزيرة العربية ، ويعبد غالبيتها الاصنام .وقد أهمل ذكر العرب على مدى التاريخ ، واصبحوا موضع احتقار من اليهود من ابناء يعقوب واسحاق ومن الامم الأخرى .

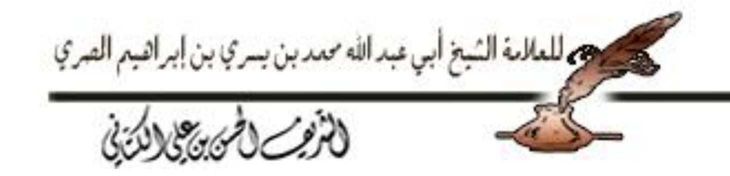
فهم الأمة المشركة الجاهلة ، ولم يتحقق لأبناء اسماعيل ذكر ولم يصيروا أمة عظيمة غالبة على اعدائها إلا بظهور رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بينهم .

ومن هنا نرى أيضاً أن الذي تكلم عنه موسى عليه السلام في سفر التثنية [٣٣ : ١ _ ٢] إذ قال : ((وتلألأ من جبل فاران)) إنما هو إشارة إلى إسماعيل عليه السلام والنبي الخاتم محمد، صلى الله عليه وسلم، الذي سيكون من نسله ، والذي تأكدت فيه الوعود الإلهية السابقه .

ان أمة اسماعيل العربية لم تعرف هذه العظمة إلا عندما جاء الإسلام فباركها ، ولم تكن لها يد على أحد إلا عندما قادها محمد صلى الله عليه وسلم . ولم تكن أيدي الغير عليها إلا عندما تبنوا البعد عن ما أنزله الله سبحانه وتعالى .

أن هذا الوعد مشروط باتباع كتاب الله والتزام أحكامه، وليس مطلقا:

تعليق موعود الله لبنى إسرائيل على استيفاء شروط: إن وعد الله بالسيادة والإمامة كان بالنسبة لبنى إسرائيل وعداً مشروطاً بتنفيذ التعاليم، وبصون أوامر الرب وبحفظ العهود والمواثيق التي أخذت عليهم.

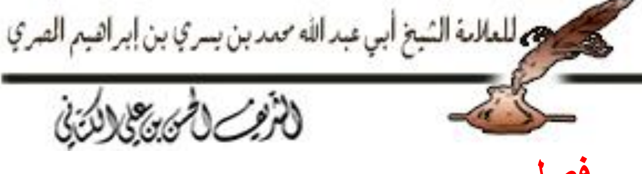


شرح المقدمة

قال المؤلف حفظه الله:

الحمد لله ناصر المؤمنين، وصلى الله وسلم وبارك على نبي الرحمة ونبي الملحمة، وعلى آله وصحبه الغُر الميامين، أما بعد:

فهذا متن العقيدة المقدسية، يميط اللثام عن منزلة القدس والأقصى في معتقد أهل الإسلام، نسأل الله أن يحرره عاجلًا غير آجلٍ بأيدي عباده المؤمنين، وجنده المفلحين، آمين.



فصل

في أن المسلمين هم الأتباع الحقيقيون

لأنبياء بيني إسرائيل

قال المؤلف حفظه الله:

١- يعتقد المسلمون أن الإسلام العام هو دين أنبياء الله كافة، وقد قال تعالى لنبيه إبراهيم ♠: ﴿أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وبالإسلام أوصى إبراهيم ويعقوب عليهما السلام فقالا: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقال موسى ♠: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وقال الحواريون لعيسى ♠: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].
ويعتقدون أن الرسالة الخاتمة هي الإسلام، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]. فلا يسع أحدًا أن يتدين بغيره قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

قال أبو محمد:

– يقول تعالى عن نوح عليه السلام: {فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}.

– وعن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ

نَفْسَــهُ ۚ وَلَقَدِ اصْــطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّــالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْــلِمْ ۖ قَالَ أَسْــلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْــطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْــلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنتُمْ شُــهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَــالَ لِبَنِيــهِ مَــا تَعْبُــدُونَ مِن بَعْــدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْــمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)}.

– وعن يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)﴾.

– وفي رسـالة سـليمان عليه السـلام لملكة سبأ: {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {٣١} أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ}.

– وعندما أرادت الملكة بلقيس اتباعه قالت: {... وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

– وعن موسـى عليه السـلام: {وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ}.

– وعن أتباع عيسـى عليه السـلام: {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَـى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَـارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}.

حتى فرعون لعنه الله عرف هذه الحقيقة: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} ولم يقل [وأنا من اليهود].

والجن كذلك يعرفون أنهم فريقان فقط (مسلمون وكفار) حيث قالوا: {وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا}.

ولذلك اعتبر الل عز وجل أن الكفر برسول واحد هو كفر بجميع الأنبياء والمرسلين كما هو واضح في سورة الشعراء حيث قال تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} ، {كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ} ، {كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ} ، {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ} ، {كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ}.

رغم أن كل قوم قد بُعِثَ فيهم رسول واحد فقط وقال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً}

وقد روى مسلم في صحيحه، من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ يَسْمَعُ بِي أحد من هذه الأمة لا يَهُودِيٌّ، وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كانَ مِنْ أَصْحَابِ النار"

أما المؤمنون.. فشأنهم {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون}

الخلاصة:

١- الدين الذي أرسل الله به الرسل وأنزل به الكتب هو دين الإسلام ، ولا يوجد شيء اسمه (الديانات السماوية) لأنه دين سماوي واحد ، والباقي إما ديانات أصلها الإسلام لكنها حرفت وبدلت فلم تعد سماوية وإما ديانات أرضية باطلة ، قال تعالى: {إِنَّ الدين عند الله الإسلام} وقال: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} .

٢- الكفر برسول واحد = كفر بجميع الأنبياء = كفر بالله جل وعلا.

٣- كل من كفر بالنبي محمد من اليهود والنصارى وغيرهم كفار بالله سبحانه وهم مخلدون في النار إذا ماتوا على ذلك.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا} .

إن هذا الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو في الأصل دين جميع الأنبياء والرسل، ودين جميع الأولياء والأتقياء من لدن آدم عليه السلام إلى آخر الأنبياء محمد عليهم السلام، مصداقا لقوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهَّ الإِسْلاَمُ}، ومصداقا لقوله سبحانه: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} . فالإسلام اختيار من الله تعالى، قد ارتضاه لعباده، ومَن تعبّد الله تعالى بغير هذا الدين كان على الضلال المبين.

لقد نص القرآن الكريم في آيات عديدة على أن دين الأنبياء جميعا -بدون استثناء- هو الإسلام، فنوح عليه السلام -وهو أبو الأنبياء والرسل- كان مسلما، قال تعالى مخبرا عنه وهو يحاجج قومه: {فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنَ اَجْرٍ إِنَ اَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنَ اَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}.

وإبراهيم عليه السلام كان أيضا مسلما، قال تعالى على لسانه وهو يدعو ربه رفقة ابنه إسماعيل: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ}.

وهذا يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام يوصي أبناءه بالإسلام فيقول لهم كما جاء في القرآن الكريم: {وَأَوْصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.

وهذا يوسف بن يعقوب عليهم السلام يصدح بكلمة الإسلام فيقول كما أخبرنا عنه الله تعالى في قرآنه الكريم: {رَبِّ قَدَ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَاوِيلِ الْاحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالَارْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}.

وسحرة فرعون بمجرد أن ظهر لهم الحق وزهق الباطل، وتيقنوا أن ما جاء به موسى ليس سحرا وإنما هو معجزة ربانية، آمنوا برب موسى وهارون، وصرحوا بأنهم مسلمون، قال الله تعالى حاكيا عنهم إسلامهم: {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ}. وموسى نفسه عليه السلام يأمر قومه بأن يتوكلوا على الله حتى يكونوا مسلمين حقا، قال الله تعالى مخبرا عن قول موسى لقومه: {وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمُ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ}.

وهذا سليمان بن داود عليهما السلام يكتب إلى ملكة سبأ ويطلب منها الدخول في الإسلام، قال تعالى مخبرا عن مضمون رسالة سليمان لملكة سبأ: {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ}.

وعيسى عليه السلام ما جاء إلا بالإسلام، ولم يأمر أصحابه إلا بالإسلام، قال تعالى: {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}.

ونحن أمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأمرنا ربنا فيقول: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}. بل والمومنون من الجن دينهم هو الإسلام، قال الله تعالى على لسان مؤمني الجن: {وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا}.

هذه بعض الآيات التي تظهر لنا أن الدين الذي ارتضاه الله تعالى منذ زمن أبينا آدم إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء وسلم تسليما؛ هو الإسلام، وليس هناك دين آخرَ غير الإسلام، ومن ابتغى غير هذا الدين فهو من الخاسرين كما قال تعالى.

فدين جميع الأنبياء والرسل إذن هو الإسلام، إذاً فما قصة اليهودية والنصرانية وغيرها من الديانات الأخرى؟

إن موسى وعيسى وغيرهما من الرسل عليهم السلام قد جاءوا قومهم بالإسلام، وقد رأينا بعضا من قولهم في كتاب الله تعالى فيما سبق، ولم يكن الاختلاف بين نبي وآخر إلا في أمور

بسيطة من الأحكام الجزئية العملية، والتي يتغير حكمها بتغير الزمان والمكان والبيئة، رحمة بالعباد ورفقا بهم. أما العقيدة والأخلاق والتربية والمنهج الأصلي الرباني فلا يتغير ولا يتبدل، بل جميع الأنبياء جاءوا بمنهج الله تعالى وهو الإسلام.

وهنا يجب التمييز بين أمرين اثنين في رسالة الرسل عليهم الصلاة والسلام: الأمر الأول الدين (أي الإسلام)، والأمر الثاني الشريعة. فالدين الذي بعث الله تعالى به الرسل هو الإسلام لا غير، وهو توحيد الله تعالى في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو طاعة الله تعالى والخوف منه والتقرب إليه بالطاعات، وهو البر والإحسان والصلاح والتعاون والمحبة والسلام، وهو تجنب المنكرات كالزنا والربا وعبادة الأوثان وشهادة الزور وغير ذلك، فهو إذن جميع الأمور التي لا تقبل النسخ ولا تقبل التغيير بتغير الزمان والمكان.

ولذلك صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله فيما رواه الإمام أحمد في مسنده وابن أبي شيبة في مصنفه وغيرهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق»، فصالح الأخلاق هي تلكم الأسس والأركان التي لا تتغير، والتي أمر الله عباده بها أو نهاهم عنها منذ القديم وإلى أن تقوم الساعة. وباختصار يمكن أن نُحصر الإسلام هنا في العقيدة والأخلاق، فهما معا لم يتغيرا منذ أن أرسل الله تعالى أول رسول إلى آخر الرسول.

أما الأمر الثاني المتغير حسب الظروف والأوقات فهو الشريعة، والشريعة هي مجموعة من الأحكام الشرعية المتعلقة بفقه المعاملات مثل البيع والشراء والأكل والشرب وبعض

الجزئيات الأخرى. فمثلا: قد حرم الله تعالى على اليهود بعض المطعومات ولم يحرمها من قبلُ على غيرهم، ولا حرمها على من بعدهم، قال تعالى في سورة الأنعام: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ}، فأخبرنا تعالى أنه حرم عليهم هذه المطعومات نكاية بهم جراء تعنتهم وعتوهم في الأرض مفسدين. فكانت هذه شريعة خاصة باليهود، فلذلك تميزوا عن غيرهم بهذه الشريعة.

وقد حرم الله تعالى على الأمم السابقة الغنائم، فلما جاء الإسلام رخص الله تعالى فيها وأحلها لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت محرمة على أتباع الرسل السابقين، وكذلك حرم الله على الأمم السابقة الصلاة إلا في المساجد، فلما جاء النبي كرمه الله تعالى وأمته بأن جعل له جميع الأرض مسجدا وطهورا، ورفع عنه الحرج الذي كان في الأمم السالفة، فقد روى الإمامان البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة».

وقد أخبرنا الله تعالى بأنه حط عن أمة محمد الأغلال التي كانت على الأمم السابقة؟، رحمة منه تعالى ومنة. قال سبحانه: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا

عِنْـدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَامُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالاَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}.

كما أحل الله تعالى لهذه الأمة بعض ما حرمه على غيرها من الأمم؛ فقد حرم أيضا عليها أمورا كانت حلالا عند الأمم السابقة كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، وقد فرض الله سبحانه على هذه الأمة صيام شهر رمضان كاملا، ولم يفرضه شهرا كاملا إلا على هذه الأمة، فكانت شريعة خاصة لمحمد وأمته.

فهذا إذن هو الفرق الحاصل بين الشرائع، فلكل رسول شريعة خاصة به، قد تختلف عن غيرها في بعض الأحكام الجزيئة العملية، أما العقيدة والأخلاق وأمهات العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج فأمور واحدة موحدة بين جميع الرسالات، وقد نص على هذا الأمر سبحانه وتعالى في سورة المائدة فقال: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}، أي أن لكل أمة ولكل رسول شرعة ومنهاجا يتبعه في تعليم الناس.

ويجب التنبيه في الأخير إلى أن هذه الشرائع وهذه الملل السابقة مثل اليهودية والنصرانية قد اندثرت مع الزمن، ولم يبق منها إلا القليل من شرع الله تعالى الحق، بعدما عمد رجال دين اليهود والنصارى من الأحبار والرهبان إلى تحريف الكلم عن مواضعه أحيانا، وإلى تبديل كلام الله تعالى المنزل على سيدنا موسى وعيسى حينا، إضافة إلى أن الله تعالى أنساهم حظا من الكتاب المنزل على أنبيائهم كما قال تعالى عنهم في سورة المائدة: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ}.

فلم يعد لأحد أن يشرّع أمرا غير ما شرعه الإسلام، ولم يعد لأحد أن يتمسك بشريعة غير شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، فمحمد عليه السلام خاتم الأنبياء، وشريعته خاتمة لجميع الشرائع، وكتابه خاتم لكل الكتب، قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}، وأصبح الإسلام بمجيء الخاتم عليه السلام يطلق على هذا الدين لا غير، أما غيره من الديانات فهي أباطيل وكفر وضلال.

فالحمد لله تعالى على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، فله الحمد والشكر على أن جعلنا مسلمين، وجنبنا الكفر والشرك المبين. اللهم ارزقنا السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة، اللهم أحينا مسلمين، وأمتنا مسلمين، وابعثنا مسلمين.

والله أعلم، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

فصل

في أن الـأقصى عقيدة

قال المؤلف حفظه الله:

٢- يعتقد المسلمون ويؤمنون بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وعلى هذا اتفقت كلمتهم واجتمعت أئمتهم وتلقاه خلفهم عن سلفهم، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وفي الحديث: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

قال أبو محمد:

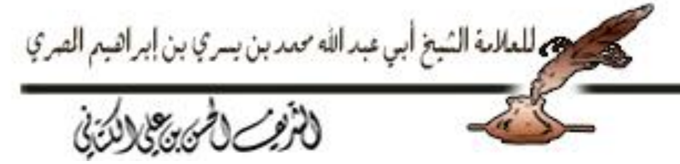
لا يخفى أنَّ أسس «العقيدة الإسلامية»: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وهذه الأمورُ الستةُ هي أصول «العقيدة الإسلامية الصحيحة» التي نزلَ بها كتابُ الله -عز وجل-، وبُعث بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ويتفرع عن هذه الأصول كل ما يجب الإيمان به من أمور الغيب، وجميع ما أخبر الله به ورسوله - صلى الله عليه وسلم -.

وهذه الأصول تُسمّى (أركان الإيمان):

---

(١) أخرجه مسلم (٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.



والركن في اللغة: الجانب الأقوى للشيء، وفي الاصطلاح: ما لا وجود لذلك الشّيء إلاّ به.

والإيمانُ لغـةً: نوعٌ من التصـديق ممـا يؤتمن عليـه المُخْبِر لأنَّـه مما لا يدركه المُخْبَر بحسـه[1]، واصطلاحاً: قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالجنان، وعملٌ بالأركان.

والكتاب والسـنة مملوءان بالأدلة الواضـحة المثبتة والموجبة للإيمان بهذه الأركان، ومن تلك الأدلة:

من القرآن الكريم:

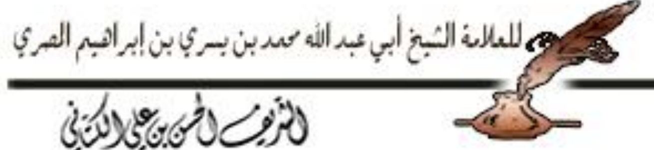
قـال الله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُـولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُـلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُـلِهِ وَقَالُوا سَـمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِـيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. أي المرجع والمآب وهو يتضمن الإيمان باليوم الآخر.

كذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُـولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُـولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُـلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقولـه تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِـقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

---

[1] كتاب «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص:٢٧٦).



ويُلْحَظُ أنَّ الأصـل السادس- وهو الإيمان بالقدر- لم يذكر في هذه الآية صريحاً؟ والجوابُ: أنَّ الإيمان بـالله يتضــمنـه، فـإنَّ القدر عائدٌ إلى علم الله وتقديره للمقادير ومشــيئته وقدرته وخلقه، وكل ذلك داخلٌ في الإيمان بالله.

ومن أدلة القدر الخاصة قوله تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

ومن السنة:

حديثُ جبريل (عليه السلام) المشهور حين سأل النبي – صلى الله عليه وسلم – عن الإِيمَان، فقال – صـلى الله عليه وسلم –: «الإِيمَان أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[١].

فهذه النصــوصُ دالةٌ على أنّ أركان الإيمان ســتة، وعلى وجوب الإيمان بها كلها، وأنه لا يتم إيمانُ العبـد إلاّ بهـا، فـالإيمان بهـا إجمـالاً فرضُ عين على كل مكلف، فمن جحدها أو جحد واحداً منها كَفَرَ؛ لأنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – فسّر الإيمان بهذه الأصول الستة.
الركنُ الأوَّل: الإيمان بالله تعالى

[١] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم (٨).

والإيمان بالله تعالى هو الأصـــلُ الأول من أصـــول الإيمان، بل هو أصـــلٌ لأصـــول الإيمان، فالإيمان بسائر أصول الإيمان داخلٌ في الإيمان بالله.

ولعظم شـأنهِ ذُكر في القرآن في سبعمائة وعشرين موضعاً تقريبا، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، والآيـات في هذا المعنى كثيرة يضـــيق المقام لسردها.

وقد جاءَ ذكرُ الإيمان بالله في السنة كثيراً كقوله – صلى الله عليه وسلم –: «مَنْ كان يُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيَقُـلْ خَيْراً أوْ لِيَصْـــمُتْ، ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ؛ فَلا يُؤْذِ جارَهُ، ومنْ كانَ يؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ[١].

والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى.

الثاني: الإيمان بربوبيته.

الثالث: الإيمان بألوهيته.

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته.

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، بابٌ حفظ اللســان، رقم (٦١١٠)، ومســلم، كتاب الإيمان رقم (٤٧).

الركن الثاني الإيمان بالملائكة:

تعريف الملائكة:

لغةً: الملائكة جمع مَلَك -بفتح اللام-، واشتقاقه من الألُوكة والمألُكَة، وهي الرِّسالة، فمَلَك أصله مألك -بزنة مَفْعَل- وجمعه ملائكة -بتقديم اللام على الهمزة-[1]، فظهر أنَّ لفظ الملائكة يدلُ لغةً على الإرسال، وهم كذلك كما قال تعالى: ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾ [فاطر: ١].

واصطلاحاً: عَالَمٌ غيبيّ مخلوقونَ مربوبون مدّبرون عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه.

وهذا التعريف مستفادٌ من جملة النصوص الواردة في كتاب الله عز وجل، وفي السنة النبوية في الحديث عن الملائكة، مِنْ ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

---

[1] راجع لسان العرب والقاموس

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦ – ٢٨].

وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : «خُلِقَتِ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ[١] مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ[٢]»[٣].

الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم حقيقةً، وأنهم قائمون بأنفسهم، يذهبون ويجيئون، ويصعدون ويهبطون، ويقومون بما يأمرهم الله به أتمّ قيام.

الثاني: الإيمان بمن سُمي منهم باسمه؛ كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

---

[١] لهب صاف لا دخان فيه.

[٢] أي كما وصفه الله تعالى في كتابه العزيز في مواضع متعددة: بأنه من تراب وماء أي طين قال تعالى: ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ [السجدة: ٧].

[٣] أخرجه مسلم في، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، رقم(٢٩٩٦).

الركن الثالث: الإيمان بالكتب السماوية:

الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان عقيدة الإسلام، دل على ذلك قوله – تعالى –: {يا أيها الذين آمنوا، آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا} (النساء: ١٣٦) وقد أخبر – صلى الله عليه وسلم – في حديث جبريل – أن الإيمان بالكتب السماوية، جزء من حقيقة الإيمان، وذلك بقوله: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه) [رواه البخاري ومسلم].

ويتضمن الإيمان بالكتب عدة أمور نذكر منها:

١- الإيمان بأنها كلام الله – تعالى –لا كلام غيره، وأن الله – تعالى – تكلم بها حقيقة كما شاء، وعلى الوجه الذي أراد.

٢- الإيمان بأنه كان واجباً على الأمم الذين نزلت عليهم تلك الكتب الانقياد لها، والحكم بها فيها كما قال – تعالى –بعد ذكر إنزال التوراة: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} (المائدة: ٤٤)، وقال: {وليحكُم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الفاسقون} (المائدة: ٤٧) فدلت الآيتان على وجوب أن يحكم أهل كل ملة بما أنزل الله عليهم، وذلك قبل أن يطرأ النسخ على تلك الكتب.

٣- اعتقاد أن جميع الكتب السماوية يصدق بعضها بعضاً ولا يكذبه، فكلها من عند الله – سبحانه –، قال – تعالى –: {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه

اختلافا كثيرا} (النسـاء الآية: ٨٢). فالإنجيل مصـدق لما تقدمه من كتب كالتوراة، قال – تعالى –: {وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة} (المائدة: ٤٦) والقرآن مصـدق لجميع الكتب السـماوية السـابقة قال – تعالى –: {والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصـدقا لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصـير} (فاطر: ٣١)، وإنما حصـل الاختلاف في التوراة والإنجيل بسبب التحريف الذي دخلهما.

٤- اعتقـاد أن كل من كذّب بها أو بشيء منها فقد كفر، كما قال – تعالى –: {والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} (الأعراف: ٣٦).

٥- الإيمان بأَنَّ نسـخ الكتب السـماوية اللاحقة لغيرها من الكتب السـابقة حق، كما نسخت بعض شـرائع التوراة بالإنجيل، قال الله – تعالى –: في حق عيسى – عليه السلام –: {ومصـدقـا لـما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فـاتقوا الله وأطيعون} (آل عمران: ٥٠)، وكما نسـخ القرآن كثيرا من شرائع التوراة والإنجيل، قال – تعالى –: {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيـل يـأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون} (الأعراف: ١٥٧).

الركن الرابع: الإيمان بالرسل والأنبياء:

معنى الإيمان بالرسل :

أن يؤمن المرء إيمانا جازما بكل نبي ورسـول عرفت نبوته ورسـالته عن طريق القرآن الكريم أو السـنـة الصـحيحة إجمالاً وتفصـيلاً. فمن عرف منهم بأسـمائهم آمنا بهم بأعيانهم على التفصيل ومن لم يعرف منهم بأسمائهم آمنا بهم على سبيل الإجمال دون أن ننكر نبوةَ أو رسالةَ أحدٍ منهم.

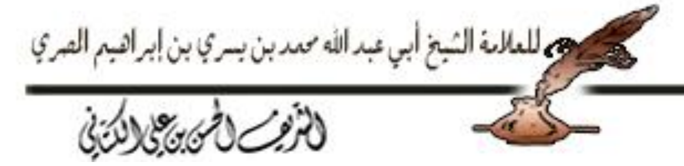
ما يتضمنه الإيمان بالرسل:

١- الإيمان بـأن رسـالتهم حق من الله تعـالى لا تفريق بينهم : فـالكفر بواحد منهم كفر بهم جميعا، كما قال الله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً {١٥٠} أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا {١٥١} النسـاء)) فمن كفر بموسـى أو عيسى عليهما السلام فقد كفر بالرسل جميعا وخرج بذلك عن دائرة الإسلام.

٢- الإيمان بكل من جاء ذكره بعينه و إسمه : وقد ذكر القرآن الكريم خمسةً وعشرين رسولاً ، أما من لم يذكر باسـمه فإن الواجب أن نؤمن به إجمالاً قال الله تعالى ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ {٧٨} غافر))

٣- التصديق بكل ما صح من أخبارهم وجاء به نص من الكتاب أو السنة الصحيحة.

٤- ونؤمن بمعجزات الأنبياء عليهم الصـلاة والسلام ، ونحفظ لهم حقهم، ونتأدب معهم، ولا نفضل عليهم أحداً من الناس لا الأولياء ولا الأئمة، ولا غيرهم.



٥- ونؤمن بأن خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً فلا نبي بعده،قال تعالى { مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا {٤٠} الأحزاب ، وشريعته هي الشريعة المهيمنة على سائر الشرائع، إلى يوم القيامة،قال تعالى :{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللَّه مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ {٤٨} وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ {٤٩} أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ {٥٠}المائدة .

ولا يكون العبد مؤمناً حتى يتبعها ويسلم لحكمها تسليماً، قال تعالى: (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُواْ فِيْ أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً) [النساء: ٦٥].

٦- ونؤمن بأن الله قد اتخذ محمداً صلى الله عليه وسلم خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، بعثه رحمة للعالمين، وأمره وأمر أمته بالتأسي بملة إبراهيم فقال: (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيْفَاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [النحل: ١٢٣]، وقال سبحانه: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا

بِكُمْ وَبَـدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَــاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْـتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِـيرُ {٤} رَبَّنَـا لَا تَجْعَلْنَـا فِتْنَـةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {٥} لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْـوَةٌ حَسَـنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ {٦}) [الممتحنة: ٤].

فنتأسى بذلك إلى أن نلقى الله، فنبرأ من المشركين وأنصارهم وأوليائهم، ونبغضهم ونبرأ ممَّا يعبدون من دون الله، ونبرأ من الأشياء الباطلة المخالفة لدين الله، ونظهر عداوتنا للمحادّين لله منهم، المحاربين للحق، المجاهرين بباطلهم، ولا يمنعنا ذلك من دعوتهم وبيان الحق لمن أراد سماعه منهم، وتمني هدايتهم.

قال تعالى { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِـيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُـدْخِلُهُمْ جَنَّـاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَـا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُـوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {٢٢} المجادلة.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يبعث الله الناس فيه للحساب والجزاء، وسمي بذلك؛ لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم.

وله أسماء كثيرة منها: يوم الفصل، ويوم التلاق، يوم البعث، ويوم الحساب، ويوم الآزفة، وغير ذلك قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٥٦].

الإيمان باليوم الآخر يتضمن أموراً:

الأوَّل: الإيمان بكل ما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذاب القبر ونعيمه:

(أ) فتنة القبر: وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه ودينه ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد – صلى الله عليه وسلم –، ويضل الله الظالمين فيقول الكافر: هاه هاه لا أدري. ويقول المنافق أو المرتاب: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

(ب) عذاب القبر ونعيمه: فأما عذاب القبر: فيكون للظالمين من المنافقين والكافرين وبعض العصاة، قال الله تعالى في – آل فرعون –: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦].

وفي حديث زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: قال – صلى الله عليه وسلم –: «تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِالله مِنْ عَذَابِ القبر[1].

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠].

ولهذه الأدلة ذهب أهل السنة والجماعة إلى الإيمان بفتنة القبر وعذاب القبر ونعيمه مفوضين علم حقيقة ذلك إلى الله، فإنَّ الإيمان بأحوال القبور هو من الإيمان بالغيب الذي هو مناط التكليف وما يترتب عليه من ثواب أو عقاب، ولهذا أثنى الله به على المتقين فقال: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٢، ٣].

وقد أنكر قومٌ من المتكلمين والزنادقة عذاب القبر ونعيمه واحتجوا بأنّه لو كُشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق.

وهذه الحجة باطلةٌ فإنها مبنية على الاحتجاج بالحس في معارضة نصوص الغيب التي يجب التسليم لها، وحواسنا لا تدرك ما حولنا إلاّ ما قدر لها، فنحن نؤمن بأنَّ الملائكة الموكلين بحفظ العباد وكتابة أعمالهم معنا، ولا ندركهم بشيء من حواسنا.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، رقم (٦٨٦٧).

الثاني: الإيمان بالبعث:

وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين، عراة غير مستترين، غرلاً غير مختتنين، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

والبعث: حق ثابت دلَّ عليه الكتاب والسنة وإجماع المسلمين. قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٥، ١٦]. وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً»[١] .

وأجمع المسلمون على ثبوته.

الثالث: الإيمان بالحساب والجزاء:

يحاسب العبد على عمله، ويجازى عليه، وقد دلَّ على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين، ويدخل في ذلك الإيمان بالميزان، وبصحف الأعمال فآخذٌ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله من وراء ظهره.

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، رقم (٦١٦٢)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم (٢٨٥٩).

قال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وفي حديث عدي بن حاتم -رضي الله عنه- عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَي الله لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلا تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالاً؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى. ثُمَّ لَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولاً؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلا يَرَى إِلا النَّارَ ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلا يَرَى إِلا النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[١].

الرابع: الإيمان بالجنة والنار:

وأنهما موجودتان الآن، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان؛ فأمَّا الدليل على وجودهما فقوله تعالى في الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله في النار: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤]، وسائر أدلة عذاب القبر ونعيمه تدل على وجود الجنة والنار.

وأمَّا الدليل على دوامهما فمثل قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا

---

[١] متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، رقم (١٣٤٧)، و مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، رقم (١٠١٦).

الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٦ – ١٠٨]، وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ في الموضعين فمعناه أنّ خلود أهل النار فيها، وخلود أهل الجنة فيها وبقاؤهما فبمشيئة الله سبحانه وتعالى فهما باقيتان بإبقاء الله لهما.

الركن السادس: الإيمان بالقدر

تعريف القدر لغة وشرعاً:

القَدَرُ لغةً: مصدر قَدَرَ يقدر قَدَرًا – وقد تسكن داله–، ويطلق تارةً على التقدير، وتارةً على المقدّر، فمن الأوّل قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ومن الثاني قوله – صلى الله عليه وسلم –: «قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ»[١].

وشرعاً: تقديرُ الله للكائنات في علمه وكتابته تقديراً مفصلاً يشمل مواقيتها وصفاتها وأعدادها وأنواعها وآجالها ونهايتها، وما شاء سبحانه وتعالى.

والقضاء لغةً: مصدر قضى ـ يقضي ـ قضاءً، وهو في اللغة يطلق على معان منها: الفراغ من الفعل كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا

---

[١] أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة، رقم (٢٦٦٤).

اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣]، ومنها الحكم ومنه قوله – صلى الله عليه وسلم –: «إِذَا قَضَى الله الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ».

وهو كالقدر تارةً يطلق على المقضي، وتارةً على القضاء بالمعنى المصدري وهو الحكم، فمن الأوَّل قولك فيما يحدث: هذا قضاء أي مقضي، ومن الثاني قولهم: يجب الرضا بالقضاء أي بحكمه سبحانه وتعالى.

والقضاء من الله نوعان: كوني وشرعي، فالكوني كقوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧]، والشرعيّ كقوله تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

الإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور– وهي مراتب القدر–:

الأول: الإيمان بعلم الله القديم:

وهو الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملةً وتفصيلاً، أزلاً وأبدًا، بما في ذلك أفعال العباد طاعتهم ومعاصيهم، قال الله تعالى: ﴿ أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَّ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ اللهُّ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢].

الثاني: الإيمان بالكتاب الأوَّل:

وهو الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ –وهو أمُّ الكتاب–، قال الله تعالى: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الحج: ٢٢].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: سمعتُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «كَتَبَ الله مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»[١].

الثالث: الإيمان بعموم المشيئة:

وهي الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء أكانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين، قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨]. وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

الرابع: الخلق:

---

[١] أخرجه مسلم كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم (٢٦٥٣).

وهو الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢] وقال: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢].

ويجب مع الإيمان بالقدر المتضمن للمراتب الأربع الإيمان بحكمته -سبحانه وتعالى- في أقداره وهو أنّ كل ما قدره تعالى فهو لحكمة يعلمها، وفعله -سبحانه وتعالى- كلّه حَسَنٌ وَخيرٌ وحِكمةٌ قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ [القمر: ٥].

ويجب أنْ يُعلم أنه لا يستقيم الإيمان بالقدر إلاّ مع الإيمان بالشرع وهو الأمر والنهي الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وأنّ كلّ ما أمر به؛ فهو طاعةٌ محبوبٌ مرضيّ له تعالى، وكل ما نهى عنه فهو معصية ومبغوض له تعالى، كما قال تعالى: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الزمر: ٧]، وهذا المعنى في القرآن كثير.



فصل

المسجد الأقصى في بيت المقدس

قال المؤلف حفظه الله:

٣- يعتقد المسلمون أن المسجد الأقصى هو الواقع بالقدس الشريف من أرض فلسطين الداخلة في الأرض المباركة الكائنة في الجنوب الغربي لبلاد الشام[١]، وهي الأرض التي نجَّى الله إبراهيم ولوطًا ^ إليها، قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١].

فعقيدة المسلمين أن أرض الأقصى هي أشرف بقعة في الأرض بعد مكة والمدينة حرسهما الله تعالى.

كما يعتقدون أن أرض الشام هي أرض المحشر والمنشر، فعن أبي ذر ÷ قال: قَالَ رَسُولِ اللهِ: «**الشَّامُ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ**»[٢].

قال أبو محمد:

---

(١) يعتقد المسلمون أن الأقصى هو المسجد المعروف بمدينة القدس، وأنه على الأرض وليس في السماء، وفي الشام وليس بالحجاز كما روَّج له بعض الضُّلَّال!

(٢) أخرجه الربعي في فضائل الشام (٤)، وصححه الألباني في تخريج فضائل الشام (ص١٤).

قصــد المؤلف، حفظـه الله، من هذه الفقرة الرد على المســتشرــقين ومن تابعهم من الكتاب المنتسـبين للإسـلام، وهم زنادقة أو في قلبهم مرض، حيث زعموا أن المسـجد الأقصى ليس هو الذي في بيت المقدس بفلسطين في بلاد الشام، بل هو مسجد آخر في الحجاز.

كما أنه قصد الرد على الرافضة الذين زعموا أن المسجد الأقصى في السماء وليس في الأرض.

فالذي يقول: إن المســجد الأقصىـ ليس بفلســطين، وإنه وقت وقوع الإسراء لم يكن اســمه المسجد الأقصى ولا بيت المقدس، وإنما كان اسمه إيلياء، وإن المسجد الأقصى الذي وقع إليه الإسراء كان بالطائف – مكذِّب للقرآن وللسنة، وللإجماع وللغة، وللعقل وللتاريخ!

فإن كان يعتقد صحة ما قال حقًّا، فعلى نفسه جنى، ودِينَه أضاع!

وإن لم يكن يعتقد صـحته، فهذا شـأن آخر، ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [القصص: ٦٩]!

القرآن يسميه المسجد الأقصى، ويحدد مكانه بفلسطين!

فأول من ســماه المســجد الأقصىــ، وحدد مكانه بأنه في فلســطين من أرض الشــام: القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

فإن قال: ليس في الآية تحديد لموضعه بأنه مسجد بيت المقدس بفلسطين؟

قلنا: هذا كلام العامِّي الجاهل، الذي لا يفهم لغة القرآن، والذي لا يعلم أن تعريف الشيء قد يكون بالنص، وقد يكون بالوصف، وقد يكون صراحة، وقد يكون بالإشارة المفهِمة، ولا يمكن لمثقف أَلِف قراءة: "ألف ليلة وليلة"، وأَدْمَن: "كَلِيلة ودِمْنة"، وهامَ مع: "هامْلِتْ"، واعتزل مع "عَزازِيل" - أن يفهم من لغة القرآن ما يفهمه العرب الأقحاح!

فلقد فهم جميع المفسرين قاطبة أن المراد بالمسجد الأقصى: مسجد بيت المقدس، بفلسطين، ونصوا على ذلك بالحرف والكلمة، وها هي قائمة بأسمائهم مرتبة على الوفَيَات:

١ - مقاتل بن سليمان (توفي: ١٥٠ هـ): تفسيره (٢/ ٥١٣).

٢ - يحيى بن سلام القيرواني (توفي: ٢٠٠ هـ): تفسيره (١/ ١٠١).

٣ - عبدالرزاق بن همام الصنعاني (توفي: ٢١٦ هـ): تفسيره (١/ ٣٦٥).

٤ - محمد بن جرير الطبري (توفي: ٣١٠ هـ) جامع البيان، تحقيق: شاكر (١٧/ ٣٣٣).

٥ - أبو الليث السمرقندي (توفي: ٣٧٣ هـ): بحر العلوم (٢/ ٣٠٠).

٦ - أبو إسحاق الثعلبي (توفي: ٤٢٧ هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٦/ ٥٥).

٧ - أبو الحسن الماوردي (توفي: ٤٥٠ هـ): النكت والعيون (٣/ ٢٢٦)

٨ - أبو الحسن الواحدي (توفي: ٤٦٨ هـ): التفسير الوسيط (٣/ ٩٤).

٩ - أبو المظفر السمعاني (توفي: ٤٨٩ هـ): تفسير السمعاني (٣/ ٢١٤).

١٠ - أبو محمد البغوي (٥١٠ هـ): معالم التنزيل (٣/ ١٠٥).

١١ - جار الله الزمخشري (توفي: ٥٣٨ هـ) في معرض تحقيقه لمسألة لغوية: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٦١٠).

١٢ - أبو محمد ابن عطية (توفي: ٥٤٨ هـ): المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٣٤).

١٣ - أبو الفرج ابن الجوزي (توفي: ٥٩٧ هـ): زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٨).

١٤ - الفخر الرازي (توفي: ٦٠٦ هـ): مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (٢٠/ ١١٧).

١٥ - القرطبي (توفي: ٦٧١ هـ): الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢١٠ - ٢١٢).

١٦ - القاضي البيضاوي (توفي: ٦٨٥ هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٤٧).

١٧ - النسفي (توفي: ٧١٠ هـ): مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٢٤٥).

١٨ - ابن جُزَيٍّ الكلبيُّ (ت: ٧٤١ هـ): التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٤٠).

١٩ - الخازن (توفي: ٧٤١ هـ): لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ١٠٩).

٢٠ - الحافظ ابن كثير (توفي: ٧٤٤ هـ): تفسير القرآن العظيم/ دار الفكر (٣/ ٧).

٢١ - أبو حيان الأندلسي (توفي: ٧٤٥ هـ): البحر المحيط (٧/ ١٠).

٢٢ - ابن عادل (توفي: ٧٧٥ هـ): اللباب في علوم الكتاب (١٢/ ١٩٦).

٢٣ - البقاعي (توفي: ٨٨٥ هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١/ ٢٨٩).

وأكتفي بهذا القدر من المفسرين، فغيرهم ممن جاء بعدهم ناقل عنهم، ومردِّد لما قالوه، ولنا مع هذه النقول وقفتان:

الأولى: أن بعضهم نقل الاتفاق، وحكى التواتر على أن المراد: المسجد الأقصى ببيت المقدس، قال الفخر الرازي: اتفقوا على أن المراد منه بيت المقدس، وكذا قال ابن عادل في اللباب.

وقال ابن عطية: ووقع الإسراء في جميع مصنفات الحديث، وروي عن الصحابة في كل أقطار الإسلام؛ فهو من المتواتر بهذا الوجه، وذكر النقاش ممن رواه عشرين صحابيًّا؛ فروى جمهور الصحابة، وتلقى جُلُّ العلماء منهم: أن الإسراءَ كان بشخصه صلى الله عليه وسلم، وأنه ركب البُرَاق من مكة، ووصل إلى بيت المقدس، وصلى فيه.

الثانية: أن بعض المفسرين لم يَكْتفِ بالقول بأن المسجد الأقصى هو مسجد بيت المقدس، بل حدَّد موضعه، ووصف مكانه، مع كونه معلومًا بالضرورة دينيًّا وتاريخيًّا وجغرافيًّا، وكذا المسجد الحرام!

وكأنه يعلم أننا سنُبتلى في زماننا هذا بمن تختلط عليهم مواقع الأرض، وتلتبس عليهم معالم الجغرافيا، فلا يفرقون بين شرق وغرب، ولا شمال وجنوب، ولا يعرفون أين تقع مقدسات المسلمين!

قال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله عزَّ وجلَّ أخبر أنه أسرى بعبده من المسجد الحرام، والمسجد الحرام هو الذي يتعارفه الناس بينهم إذا ذكروه، وقوله: ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ [الإسراء: ١] يعني: مسجد بيت المقدس، وقيل له: الأقصى؛ لأنه أبعد المساجد التي تزار، ويُبتغَى في زيارته الفضل بعد المسجد الحرام، فتأويل الكلام: تنزيهًا لله، وتبرئة له مما نحله المشركون من الإشراك والأنداد والصاحبة، وما يجلُّ عنه جلَّ جلاله، الذي سار بعبده ليلًا من بيته الحرام إلى بيته الأقصى.

وقال أبو الليث السمرقندي: ﴿ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [الإسراء: ١]: من الحرم، من بيت أم هانئ بنت أبي طالب، ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ [الإسراء: ١] أي: الأبعد، يعني: إلى مسجد إيلياء، وهو بيت المقدس، ﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [الإسراء: ١] بالماء والأشجار، وهو المدائن التي حوله، مثل: دمشق والأردن وفلسطين.

وقال أبو الحسن الماوردي: وقوله تعالى: ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ [الإسراء: ١] يعني بيت المقدس، وهو مسجد سليمان بن داود عليهما السلام، وسمي الأقصى؛ لبُعْد ما بينه وبين المسجد الحرام، ثم قال تعالى: ﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [الإسراء: ١] فيه قولان: أحدهما: يعني بالثمار ومجاري الأنهار، الثاني: بمن جعل حوله من الأنبياء والصالحين؛ ولهذا جعله مقدسًا.

وقال ابن جُزَيٍّ الكلبي: يعني بالمسجِدِ الحرام: مسجدَ مكة المحيط بالكعبة، وقد روى في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: بينما أنا نائم في الحِجْر إذ جاءني جبريل، وقيل: كان

النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء في بيته؛ فالمسجد الحرام على هذا: مكة؛ أي: بلد المسجد الحرام، وأما المسجد الأقصى فهو بيت المقدس الذي بإيلياء، وسُمِّي الأقصى؛ لأنه لم يكن وراءه حينئذ مسجد، ويحتمل أن يريد بالأقصى الأبعد، فيكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا الموضع البعيد في ليلة.

وقال ابن كثير: ﴿ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [الإسراء: ١] وهو مسجد مكة، ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ [الإسراء: ١] وهو بيت المقدس الذي بإيلياء، معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام؛ ولهذا جمعوا له هناك كلهم، فأمَّهم في محلَّتهم ودارهم؛ فدلَّ على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدَّم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

وقال البقاعي: ﴿ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [الإسراء: ١]؛ أي: من الكعبة المشرفة مسجد إبراهيم عليه السلام، قيل: كان نائمًا في الحطيم، وقيل: في الحِجْر، وقيل: في بيت أم هانئ - وهو قول الجمهور، فالمراد بالمسجد حينئذ الحرم؛ لأنه فناء المسجد، ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ [الإسراء: ١]؛ أي: الذي هو أبعد المساجد حينئذ، وأبعد المسجدين الأعظمين مطلقًا من مكة المشرفة، بينهما أربعون ليلة، فصلى بالأنبياء كلهم: إبراهيم وموسى ومن سواهما - على جميعهم أفضل الصلاة والسلام، ورأى من آياتنا ما قدرناه له، ورجع إلى بين أظهركم، إلى المسجد الأقرب منكم في ذلك الجزء اليسير من الليل، وأنتم تضربون أكباد الإبل في هذه المسافة شهرًا ذهابًا وشهرًا إيابًا.

والخلاصـــة: أن القرآن أفـاد أن الإسراء وقع من المســجد الحرام الذي يتعارفه الناس بمكة المكرمة، إلى المســجد الأقصىـ بإيلياء، أو ببيت المقدس، أو بأُورَى شَـلَّمْ - كلها أسماءٌ لمسمًّى واحد، هو هذا المكان، كما سيأتي تقريره - وأن القرآن هو الذي سماه المسجد الأقصى، وليس القصي؛ أي: الأبعد عن مسجد مكة، والذي ليس وراءه مسجد، ولا يتحقق هذا الوصف في الطائف، ولا في غيرها من البلاد المجاورة لمكة، كما لا يتحقق وصــف البركة حوله، لا فيه - لا ســيما المعنويـة منهـا - على وجه الأرض، في ذلك الزمان، في بقعة غير مكة، ســوى بيت المقدس بفلســطين؛ لكونها معاهد الأنبياء والمرسـلين، ومشـاهد الأولياء والصالحين، وكيف يتم الإعجـاز إذا وقع الإسراء إلى الطائف وبينها وبين مكة أقل من مســيرة ليلة؛ فإنها يمكن المجيء إليها والرجوع منها في ليلة بســير الخيل والإبل، فأين هذا من مســيرة شــهرين ذهابًا وإيابًا؟!

ولو كان كذلك، لكان تصديرُ السورة بالتسبيح المفيد لتنزيه الله عن المطاعن لغوًا من الكلام؛ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا!

السنَّة النبوية تسميه المسجد الأقصى تارة، وبيت المقدس تارة، وتحدِّد موضعه بفلسطين:

فأما تسميته بالمسجد الأقصى فقد وقع في بعض الأحاديث والآثار، ومن ذلك:

مـا أخرجـه ابن عرفة في جزئه المشـــهور، وأبو نعيم في الدلائل، وابن عســاكر في تاريخه من طريق أبي عبيدة بن عبدالله بن مســعود عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رســول الله صــلى الله عليه وســلم: ((ثم اندفعنا حتى انتهينا إلى المســجد الأقصىــ، فنزلت، فربطت الدابة بالحلقة

التي في باب المسجد، التي كانت الأنبياء عليهم السلام تربط بها، ثم دخلت المسجد، فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد)).

وأخرج أحمد وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل والضياء في المختارة - بسند صحيح - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم المسجد الأقصى قام يصلي، ثم التفتَ فإذا النبيُّون أجمعون يصلُّون معه.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى)).

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى)).

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ مسجدٍ وُضِع أول؟ قال: ((المسجد الحرام))، قلت: ثم أي؟ قال: ((المسجد الأقصى))، قلت: كم بينهما؟ قال: ((أربعون سنةً))، قلت: ثم أي؟ قال: ((حيثما أدركَتْك الصلاة، فصلِّ؛ فكلها مسجدٌ)).

ومما جاء في تسميته ببيت المقدس: ما أخرجه ابن أبي شيبة وابن مردويه من طريق ثابت عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أُتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل، فوق

الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرَفه، فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت ركعتين)).

وأخرج النسائي وابن مردويه من طريق يزيد بن أبي مالك، عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أُتيت ليلة أسرى بي بدابة فوق الحمار ودون البغل، خَطْوُها عند منتهى طرَفها، كانت تسخَّر للأنبياء قبلي، فركبتُه ومعي جبريل، فسِرْت، فقال: انزل فصلِّ، ففعلت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطيبة، وإليها المهاجر إن شاء الله، ثم قال: انزل فصلِّ، ففعلت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطور سيناء، حيث كلم الله موسى، ثم قال: انزل فصلِّ، فصليت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى، ثم دخلت بيت المقدس، فجمع لي الأنبياء عليهم السلام، فقدمني جبريل، فصليت بهم)).

وأخرج ابن أبي حاتم من وجه آخر عن يزيد بن أبي مالك، عن أنس رضي الله عنه قال: فلما بلغ بيت المقدس أتى إلى الحجر الذي ثمة، فغمزه جبريل عليه السلام بإصبعه، فثقبه، ثم ربطها، ثم صعد)).

وأخرج ابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من طريق عبدالرحمن بن هاشم بن عتبة عن أنس رضي الله عنه قال: حتى انتهى إلى بيت المقدس، فعرض عليه الماء والخمر واللبن، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن، فقال له جبريل عليه السلام: ((أصبتَ الفطرة)).

وأخرج البزار وابن أبي حـاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل، وصـححه، عن شـداد بن أوس رضي الله عنه قال: ((ثم بلغنا أرضًـا بدت لنا قصورها، فقال: انزل، فنزلت، ثم قال: صلِّ، فصليت، ثم ركبنا، فقال: أتدري أين صليت؟ فقلت: الله أعلم،فقال: صليت ببيت لحم، حيث ولد عيسى المسيح ابن مريم)).

وأخرج الطبراني في الأوسـط وابن مردويـه من طريق محمـد بن عبـدالرحمن بن أبي ليلى عن أخيه عيسى عن أبيه عبدالرحمن عن أبيه أبي ليلى وفيه: ثم انطلقا حتى أتيا بيت المقدس.

وأخرج الحـارث بن أبي أسـامـة والبزار والطبراني وابن مردويـه وأبو نعيم في الدلائل وابن عسـاكر من طريق علقمة رضي الله عنه، عن ابن مسـعود رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثم مضينا حتى أتينا بيت المقدس)).

وأخرج الطبراني وابن مردويه عن أم هانئ رضي الله عنها قالت: ((ثم انطلق حتى أتى بي إلى بيت المقدس)).

وأخرج أبو يعلى وابن عسـاكر عن أم هـانئ رضي الله عنهـا قـالـت: ((حتى انتهينا إلى بيت المقدس)).

وأخرج الترمذي والبزار والحاكم، وصـححه، وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: ((لما كان ليلة أسري بي، أتى جبريل الصخرة التي ببيت المقدس، فوضع أصبعه فيها، فخرقها، فشد بها البراق)).

وأخرج أحمد وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إني ليلة أسري بي وضعت قدمي حيث توضع أقدام الأنبياء عليهم السلام من بيت المقدس)).

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن عبدالله بن عمر وأم سلمة وعائشة وأم هانئ وابن عباس رضي الله عنهما، دخل حديث بعضهم في بعض، قالوا: أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة من شِعب أبي طالب إلى بيت المقدس، وفيه: وخرج العباس رضي الله عنه حتى إذا بلغ ذا طوى، فجعل يصرخ: يا محمد، يا محمد، فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لبيك لبيك))،فقال: ابن أخي، أعييتَ قومك منذ الليلة، فأين كنت؟ قال: ((أتيت من بيت المقدس))،قال: في ليلتك؟ قال: ((نعم)).

وأخرج مسلم والنسائي وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لقد رأيتني في الحِجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربًا ما كربت مثله قط، فرفعه الله لي أنظر إليه، ما سألوني عن شيء إلا أنبأتهم به)).

وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن مردويه وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس، ثم جاء من ليلته، فحدثهم بمسيره وبعلامة

بيت المقدس وبعيرهم، فقال ناس: نحن لا نصـدق محمدًا بما يقول، فارتدوا كفارًا، فضرب الله رقابهم مع أبي جهل.

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والنسائي والبزار والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل والضياء في المختارة وابن عساكر بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إني أسري بي الليلة))، قالوا: إلى أين؟ قال: ((إلى بيت المقدس))،قالوا: إيليا؟ قال: ((نعم))،قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانَيْنا؟! قال: ((نعم)).

وأخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لما كذبتني قريش لما أسري بي إلى بيت المقدس، قمت في الحِجر، فجَلَا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه)).

وأخرج الواسطي من طريق أبي حذيفة مؤذن بيت المقدس عن جدته أنها رأت صفيةَ زوج النبي رضي الله عنها وكعبًا رضي الله عنه يقول لها: يا أم المؤمنين، صلِّي ها هنا؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالنبيين عليهم السلام حين أسري به ها هنا، وأومأ أبو حذيفة بيده على القبلة القصوى في دبر الصخرة.

وأخرج الواسطي عن الوليد بن مسلم رضي الله عنه قال: حدثني بعض أشياخنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على بيت المقدس ليلة أسري به، فإذا عن يمين المسجد وعن

يساره نوران ساطعان، فقلت: ((يا جبريل، ما هذان النوران؟ قال: أما هذا الذي عن يمينك فإنه محراب أخيك داود – عليه السلام –وأما هذا الذي عن يسارك فعلى قبر أختك مريم)).

ومما اجتمعت فيه التسميتان:

ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ [الإسراء: ١] الآية.

قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، فحمله على البراق، فسار به إلى بيت المقدس.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله بالمدينة عن ليلة أسري به من مكة إلى المسجد الأقصى، وفيه: ((حتى أتيت بيت المقدس، فأوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الأنبياء عليهم السلام توثقها بها)).

وأخرج البزار وأبو يعلى وابن جرير ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة وابن أبي حاتم وابن عدي وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]، وفيه: ثم سار حتى أتى بيت المقدس، فنزل، فربط فرسه إلى صخرة، ثم دخل، فصلى مع الملائكة عليهم السلام.

وأخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أُسرِي بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى، أصبَح يحدِّث الناس بذلك، فارتد ناسٌ ممن كانوا آمنوا به وصدَّقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لك في صاحبك؛ يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أوَقال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك لقد صدق!

ولنا مع هذه الأحاديث والآثار وقفة تأملية؛ فإن من الملاحظ أن بعضها حدد - بكل دقة - مكان هذا المسجد، وذكر بعض المعالم الهادية إليه؛ فإن المتجه إلى الطائف لا يمر بطيبة، ولا بطور سيناء، وإنما هذا طريق المتجه إلى بيت المقدس، حيث تقع إلى الشرق من مصر، التي شرفها الله وباركها بمرور موكب سيد العالمين!

ثم أين يوجد بيت لحم الذي ولد فيه عيسى عليه السلام؟ وأين يوجد محراب داود وقبر مريم؟ وأين توجد الصخرة المقدسة التي كان يربط فيها الأنبياء دوابهم؟

وأين كانت معاهد الأنبياء والمرسلين، ولا نعلم نبيًّا خرج من الطائف، إلا أن يكون مسيلِمة الكذاب؟!

وهل عرف في أي عصر من عصور التاريخ أن الطائف كانت تسمى بإيلياء؟

وأين هذا الأقصى المزعوم بالطائف؟ ألا يوجد له أثر إلى الآن؟ أم طمسته عوامل التعرية؟! ولو كان موجودًا في مكان قريب يسهل الوصول إليه، وليس واقعًا تحت سلطة الاحتلال،

لأمكن لجميع المسلمين أن يشدوا الرحال إليه ابتغاء الأجر فيه؟! ولم يتحرقوا شوقًا إلى تحريره، وينالوا فضل الشهادة في سبيله؟!

أم ترى المسلمين كلهم على ضلال، وقد برئت منهم عقولهم حتى آمنوا بأسطورة لا وجود لها إلا في خيالهم؟

أم ترى القرآن خدعهم طيلة هذه القرون بوهم الإسراء والمعراج، كما خدعهم نبيهم، وما هي إلا فزعة في جوف الليل فزعها إلى الطائف، ثم عاد؟ سبحانك هذا بهتان عظيم!

اللهم إنا نبرأ إليك من ضلال عقولنا، ونعوذ بك من شرور نفوسنا، ونسألك أن تعصمنا من الفتن!

المسجد الأقصى وبيت المقدس في لغة العرب:

أما المسجد الأقصى- فهي تسمية القرآن والسنة لهذا المكان المبارك، كما قدمنا ذكره، لم يسمها بشرٌ- وهي ليست تسمية حادثة، كما يزعم المثقف، وكذلك التسمية ببيت المقدس وقعت في كلام النبوة، وفي كلام الصحابة في العصر الأول، وليست حادثة بعد، ولكن هل هذا المكان هو الموجود حاليًّا بفلسطين أم هو مكان آخر، كما يزعم المثقف؟!

لنرَ ماذا قال أهل اللسان العربي، الذي نزل به القرآن، ونفهم منه ما يفهمه العرب، لا ما يفهمه الهنود والأعاجم!

قال عياض (توفي: ٥٤٤ هـ) في مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٥٩): إيلياء بكسر أوله ممدود بيت المقدس، وقيل: معناه بيت الله، وحكى أبو عبيد البكري أنه يقال بالقصر أيضًا، ولغة ثالثة: إلياء، بحذف الياء الأولى وسكون اللام، وهو الأقصى أيضًا؛قال الله تعالى: ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ [الإسراء: ١]،وجاء في الحديث: مسجد الأقصى، على الإضافة.

قلت: رواه الخطابي في غريب الحديث (١/ ١٣٢) بلفظ: ومسجد بيت المقدس.

وقال الأزدي (توفي: ٤٨٨ هـ) في تفسير غريب ما في الصحيحين (ص: ٢٧٥): مسجد إيليا: هو المسجد الأقصى الذي ببيت المقدس.

وقال الخليل بن أحمد (توفي: ١٧٠ هـ) في العين (٨/ ٣٥٧): وإيلياء: هي مدينة بيت المقدس.

وقال الحميري (توفي: ٩٠٠ هـ) في الروض المعطار في خبر الأقطار (ص: ٥٥٦): المقدس: بإيليا، وكورة إيليا من فلسطين.

فقد أفادت هذه النصوص أن إيلياء هي مدينة بيت المقدس، أو التي يوجد بها بيت المقدس، وبيت المقدس، ويقال له: البيت المقدس، هو المسجد الأقصى، أو الذي به المسجد الأقصى، وإيلياء تاريخيًّا هي فلسطين، أو جزء من فلسطين، وليست مكانًا آخر من العالم!

ولا يخفى أن كلمة بيت المقدس عربية، وأما اشتقاقها، فقال ابن دريد (توفي: ٣٢١ هـــ) في جمهرة اللغة (٢/ ٦٤٦): والتقديس: التطهير...وقال قوم: بل التقديس البركة، وبه سميت الشام الأرض المقدسة...واشتقاق بيت المقدس من التقديس، وهو التطهير أيضًا.

وأما إيلياء بالمد وإيليا بالقصر ــ فهما أعجميان معربان، قال الأزهري (توفي: ٣٧٠ هـــ) في تهذيب اللغة (١٥/ ٣٣٢): إيلياء: وإيلياء: مدينة بيت المقدس، ومنهم من يقصر ــ فيقول: إيليا، وكأنهما روميان.

ونقل ابن بري (توفي: ٥٨٢ هـ): في التعريب والمعرب وهو المعروف بحاشية ابن بري (ص: ٣٧) عن أبي منصور قال: إيلياء بيت المقدس أيضًا، وهو معرب.

ومن أسمائها أورى شلم، وهي لفظة عبرانية، وتعريبها: أورسلم.

روى إبراهيم الحربي (توفي: ٢٨٥ هـــ) في غريب الحديث (٢/ ٧٨٩) من طريق ضمرة، عن ابن عطاءٍ، عن أبيه، في بعض الكتب: "أبشري أورى شلم براكب الحمار"، يريد بيت المقدس، قال الأعشى:

وقَدْ طُفْتُ للمالِ آفاقَه ♦♦♦ عُمَانَ فحِمْصَ فأُورَى شَلَم

وقال أبو نصرٍ: وأورى شلم، قال: هذا بالعبرانية.

وقال الجوهري (توفي: ٣٩٣ هـــ) في الصـحاح (٥/ ١٩٦١): [شلَّم] شلَّم، على وزن بقَّم: موضـع بالشـام، ويقال: هو اسـم مدينة بيت المقدس بالعبرانية، وهو لا ينصرـف للعجمة ووزن الفعل.

وقال المجد ابن الأثير (توفي: ٦٠٦ هــ) في النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٨٠) تعليقًا على بيت الأعشى:

والمشـهور أُورَى شـلَّم بالتشـديد، فخففه للضرورة، وهو اسم بيت المقدس، ورواه بعضهم بالسـين المهملة وكسرـ اللام كأنه عربه، وقال: معناه بالعبرانية: بيت السـلام، وروي عن كعب: أن الجنة في السـماء السـابعة بميزان بيت المقدس والصخرة، ولو وقع حجر منها وقع على الصخرة؛ ولذلك دعيت أورسلم، ودعيت الجنة دار السلام.

ومن أسمائها: فلسطين.

قـال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٧١): فِلَسْـطين هي بكسرـ الفاء وفتح اللام: الكورة المعروفة فيما بين الأردنِّ وديار مصر، وأم بلادها بيت المقدس.

ومن أسمائها - وهو غريب -: صِهْيَوْن!

قال الفيروزابادي (توفي: ٨١٧ هـ) في القاموس المحيط (ص: ١٣٠٤): وصِهْيَوْن، كبِرْذَوْنٍ: بيت المقدس، أو موضع به، زاد الزبيدي (توفي: ١٢٠٥ هــ) في تاج العروس (٣٨/ ٤٥٢):

وإليه أضيف أحد أبوابها، وهو مشرفٌ على الخندق المسمى بوادي النار، (أو الروم)، عن أبي عمروٍ أيضًا، وأنشد للأعشى:

وإنْ أَحْلبَتْ صِهْيَوْنُ يومًا عليكما ♦♦♦ فإنَّ رَحَى الحربِ الدَّكوكِ رَحَاكُما

وقال أبو سعد السمعاني (توفي: ٥٦٩ هـ) في الأنساب (١٢/ ٣٨٩) في نسبة (المقدسي): بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال والسين المهملتين، هذه النسبة إلى بيت المقدس، وهي البلدة المشهورة التي ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع، وفيها المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، والمواضع الشريفة، وكان إليها قبلة المسلمين سبعة عشر شهرًا أول ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، كثر بها الأئمة والمحدثون قديمًا وحديثًا، واستولى عليها الإفرنج سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، وهي في يدهم إلى الساعة - ردها الله تعالى إلى المسلمين!

ولنا مع هذه النقول وقفة؛ فإن هذه المدينة كثرت أساميها، العربية منها والأعجمية، وقد عرفها العرب بأساميها جميعًا، وإن اشتهر بينهم تسميتها بإيلياء، وببيت المقدس، وبالمسجد الأقصى، وبفِلَسْطين، وبأورشلم على قلة، كما وقع في شعر الأعشى، وبصِهْيَوْن على ندرة، وتسميتها بالمسجد الأقصى وقعت في القرآن والسنة، وتسميتها ببيت المقدس وقعت في السنة، وكل هذه الأسامي عندهم تشير إلى مكان واحد، هو المعروف حاليًّا للجاهل فضلًا عن العالم، وللأمي فضلًا عن المتعلم، وهو مسرَى رسولنا الكريم، وقبلة المسلمين الأولى التي دنسها اليهود، وانتزعوها عَنْوَة من بلاد الإسلام!

وأما ما زعمه المثقف، وسبقه إليه كاتبون مرجفون منذ سنوات لِهَوًى في نفوسهم، من أن الواقدي ذكر أن المسجد الأقصى في الطائف أو في طريق الطائف - فهاكَ كلامَ الواقدي بنصه؛ ليتبين مدى سخف استدلالهم وتحريفهم للكلم عن مواضعه، قال الواقدي (توفي: ٢٠٧ هـ) في كتابه المغازي (٣/ ٩٥٨): وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليالٍ خلون من ذي القعدة، فأقام بالجعرانة ثلاث عشرة، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج من الجعرانة ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة بقيت من ذي القعدة ليلًا، فأحرم من المسجد الأقصى الذي تحت الوادي بالعدوة القصوى، وكان مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان بالجعرانة، فأما هذا المسجد الأدنى، فبناه رجلٌ من قريشٍ، واتخذ ذلك الحائط عنده.

فهل يستطيع عاقل أن يفهم من هذا الكلام أن مراد الواقدي المسجد الأقصى الذي وقع إليه الإسراء، مع أن الواقدي يتكلم عن سنة ثمان من الهجرة، والإسراء وقع قبيل الهجرة!

وهل لو سمى الناس عدة مساجد بمسجد مكة أو مسجد المدينة، في عدة بلاد، يمكن أن يقال: إن مسجد مكة أو مسجد المدينة يقع في تلك البلاد؛ لمجرد المشاركة في الاسم أو في الوصف؟ أم ينصرف الذهن إلى العلم المشهور دون غيره؟!

وغاية ما في نص الواقدي وصف أحد المسجدين بالأقصى؛ لوقوعه في أقصى الوادي بالعدوة القصوى، والآخر بالأدنى؛ لوقوعه في أدناه، كما هو صريح كلامه.

ويؤكد هذا ما رواه الأزرقي (توفي: ٢٥٠ هـ) في أخبار مكة (٢/ ٢٠٧) عن محمد بن طارقٍ، قـال: اتفقـت أنـا ومجاهدٌ بالجعرانة، فأخبرني أن "المسـجد الأقصى ــ الذي من وراء الوادي بالعدوة القصوى مصلَّى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ما كان بالجعرانة"، قال: فأما هذا المسجد الأدنى فإنما بناه رجلٌ من قريشٍ، واتخذ ذلك الحائط.

فلم يوصـف المسـجد الأقصىـ المذكور بأمر من الأمور سوى أنه كان مصلًّى رسول الله صلى الله عليه وسـلم وقت إحرامه، وأنه هو الذي اتخذه النبي صـلى الله عليه وسـلم بنفسـه، كما تفيده المقابلة بينه وبين المسجد الأدنى بأنه بناه رجل من قريش!

ولو كان هو المسـجد الأقصى الذي وقع إليه الإسراء، لوقعت الإشارة إليه بذلك، أو لاكتفى بذكره بالأقصى، دون تفصيل لمعنى الأقصى؛ لكونه مشهورًا، فلما لم يقع شيء من ذلك، علمنا أنه أراد مسجدًا آخرَ غير المسجد الأقصى المبارك بفلسطين!

وبعـد، فلو وقع التواتر وحده – وقد وقع – على أن هذا المكان هو المكان الفلاني، لكان كافيًا في اعتقـاد ذلـك، موجبًا للعلم به، فكيف وقد وقع النص عليه في كلام أحكم الحاكمين، ثم في حديث سيد المرسلين، وقامت عليه شواهد التاريخ، ودلائل اللغة؟!

أم ترانا نكذِّب كل هذا، وننكِر عقولنا التي في رؤوسـنا، ونصـدِّق رواية مثقف لا خطام لها ولا زمام؟!

فيا أيها المثقف الذي يريد أن يغيِّر وجه الثقافة العربية!

حســبنا من هذه الثقافة التي تهدِم ولا تبني، وتُفسِــد ولا تصــلح، وتبعَث في القلوب الحيرةَ والاضطراب، بدلًا من أن تملأها بنور الحق واليقين!١

مذهب الشيعة الإمامية في بيت المقدس:

إن الشــيعة لهم رأي آخر في مكانة المســجد الأقصى المبارك كما يؤخذ من مراجعهم فمن ذلك ما يلي:

زعم الشيعة أن المسجد الأقصى المذكور في أول سورة الإسراء إنما هو البيت المعمور الذي في السـماء وليس المســجد الأقصى المعروف في بيت المقدس فقد ورد في تفسير الصافي للكاشاني ١/ ٦٦٩ – ٦٧٠ في تفسير قوله تعالى(سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المســجد الأقصىـ) يعني إلى ملكوت المســجد الأقصىـ. قال: " ذاك في السـماء، إليه أسري رسول الله صلى الله عليه وآله ". وجاء في تفسير القمي عن الباقر عليه السلام أنه كان جالساً في المســجد الحرام فنظر إلى الســماء مرة وإلى الكعبة مرة ثم قال { ســبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المســجد الحرام إلى المسجد الأقصى } وكرر ذلك ثلاث مرات ثم التفت إلى إسماعيل الجعفي فقــال أي شــئ يقول أهل العراق في هذه الآية يا عراقي ؟ قال يقولون أسري به من المســجــد الحرام إلى بيــت المقــدس، فقــال ليس كما يقولون ولكنه أسري به من هذه إلى هذه

---

١ "عفوا يا حضرة المثقف.. المسجد الأقصى ليس في الطائف!" د. محمد إبراهيم العشماوي، منشور في موقع الألوكة على الشبكة.

وأشـار بيده إلى السـماء وقال ما بينهما حرم . وقال العياشي عن أبي عبد الله قال: سـألت عن المساجد التي لها الفضل فقال: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، قلت: والمسـجد الأقصى جعلت فداك ؟ قال: ذاك في السـماء، إليه أسرى برسـول الله عليه وسلم، فقلت: إن الناس يقولون إنه بيت المقدس فقال: "مسـجد الكوفة أفضل منه] تفسير الصافي ٣/ ١٦٦. وجـاء في كتـاب منتهى الآمـال لعبـاس القمي ص ٧٠:[... والمشـهور على أن المسـجد الأقصى هو بيت المقدس و لكن يظهر من الأحاديث الكثيرة أن المراد منه هو البيت المعمور الذي يقع في السماء الرابعة وهو أبعد المساجد].

وروي الكليني في كتـابـه "الكـافي" والطوسي في "كتـاب التهـذيب"، وابن قولويه في كتاب "كامل الزيارات"، بالإسـناد عن أبي عبد الله الصادق قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين – أي علي رضي الله عنه – وهو في مسـجد الكوفة فقال: السـلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فردَّ عليه، فقال: جعلت فداك إني أردت المسـجد الأقصى، فأردت أن أسلم عليك، وأودعك، قال عليه السـلام: وأي شيء أردت بذلك ؟ ، فقال الفضـل، جعلت فداك، قال عليه السـلام: فبع راحلتك ، وكل زادك ، وصل في هذا المسجد – أي مسجد الكوفة –، فإن الصـلاة المكتوبة فيه حجة مبرورة ، والنافلة عمرة مبرورة ، والبركة منه على اثني عشر ميلاً ، يمينـه يمن ، ويسـاره مكرمـة ، وفي وسـطه عين من دهن ، وعين من لبن ، وعين من ماء ، شراب للمؤمنين ، وعين من مـاء ، طاهر للمؤمنين . منه سـارت سـفينة نوح، وصـلى فيه سبعون نبياً، وسبعون وصياً، أنا أحدهم، وقال بيده في صدره، ما دعا فيه مكروب بمسألة في

حاجة من الحوائج إلا أجابه الله تعالى، وفرج عنه كربته. الكافي للكليني ٣/ ٤٩١ – ٤٩٢ ، وسائل الشيعة ٣/ ٥٢٩ .

وقد حرَّف الشيعة حديث شد الرحال المشهور في الصحيحين: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى) وجاءوا برواية مكذوبة على علي رضي الله عنه ونصها: (عن محمد بن علي بن الحسين قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول عليه السلام، ومسجد الكوفة.) وسائل الشيعة ٥/ ٢٥٧.

ومن المعلوم أن الشيعة يقدسون أماكن لم تثبت لها أي قداسة لا في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ومن ذلك تقديسهم لكربلاء وخاصة قبر الحسين فعن أبي عبد الله قال: (إذا أردت الحج ولم يتهيأ لك، فائت قبر الحسين فإنها تكتب لك حجة، وإذا أردت العمرة ولم يتهيأ لك فائت قبر الحسين فإنها تكتب لك عمرة) وسائل الشيعة ١٠/ ٣٣٢.

بل تدرج بهم الغلو إلى الاعتقاد بأفضلية زيارة قبر الحسين في كربلاء على الحج فعن أبي عبد الله قال: (من زار قبر " الحسين " يوم عرفة كتب الله له ألف ألف حجة مع القائم عليه السلام وألف ألف: عمرة مع رسول الله، وعتق ألف نسمة وحملان ألف فرس في سبيل الله، وسماه الله عز وجل عبدي الصديق آمن بموعدي وقالت الملائكة: فلان صديق زكاه الله من فوق عرشه، وسمي في الأرض كروبياً) وسائل الشيعة ١٠/ ٣٦٠.

ومما يقدسه الشيعة مسجد الكوفة، فقد روى الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام عن هارون بن خارجة قال له: كم بينك وبين مسجد الكوفة، يكون ميلاً ؟، قلت: لا، قال: أفتصلي فيه الصلاة كلها ؟ قلت :لا، قال: أما لو كنت حاضراً بحضرته لرجوت أن لا تفوتني فيه صلاة أو تدري ما فضل ذلك الموقع، ما من نبي ولا عبد صالح إلا وقد صلى في مسجد الكوفة حتى إن الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لما أسري به إلى السماء قال جبرائيل أتدري أين أنت يا محمد ؟ أنت الساعة مقابل مسجد كوفان قال فاستأذن ربي حتى آتيه فأصلي فيه ركعتين فنزل فصلى فيه وإن ميمنته روضة من رياض الجنة وإن وسطه روضة من رياض الجنة وإن مؤخره عروسة من رياض الجنة والصلاة فيه فريضة تعدل بألف صلاة والنافلة فيه بخمسمائة صلاة وإن الجلوس فيه بغير تلاوة ولا ذكر لعبادة، ولو علم الناس ما فيه لأتوه ولو حبواً).

وورد عن أبي بكر الحضرمي قال: قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: أي البقاع أفضل بعد حرم الله وحرم رسوله؟ قال عليه السلام: الكوفة! يا أبا بكر! هي الزكية الطاهرة، فيها قبور النبيين والمرسلين، وغير المرسلين، والأوصياء الصادقين، وفيها مسجد سهيل ! الذي لم يبعث نبياً إلا وقد صلى فيه، وفيها يظهر عدل الله، وفيها يكون قائمه، والقوام من بعده، وهي منازل النبيين، والأوصياء الصالحين. وسائل الشيعة ٣/ ٥٤٧.

وهـذه الروايـات فهم منها كثير من الناس أن الشـيعة الإمامية لا يرفعون رأسـا بالمسـجد الأقصى، ولا يرون لـه فضـلا، وقـد صرح بذلك غلاتهم. لكن جمهور مراجعهم القدامى والمعاصرين يخالفون ذلك.

تفاسير الشّيعة

١) الشّـيخ الطوسي: شـيخ الطـائفة، وأوّل مفسّرـ للقرآن الكريم، من أعلام القرن الرابع الهجري، يقول في (البيان في تفسـير القرآن): "المسجد الأقصى هو بيت المقدس، وهو مسجد سليمان بن داود... إنما قيل له الأقصى، لبُعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام".

٢) الشّـيخ الطبرسي: من أعلام القرن الخامس الهجري، يقول في (جامع الجوامع): "أسرى وسرى بمعنى، ونكَّر قوله ليلاً لتقليل مدَّة الإسراء، وأنّه أسري به في ليلة من جملة اللّيالي من مكّة إلى الشّام مسيرة أربعين ليلة، وقد عرج به إلى السّماء من بيت المقدس.. والمسجد الأقصى هو بيت المقدس، لأنّه لم يكن حينئذٍ وراءه مسـجد". قال في (مجمع البيان): "فإنّ الإسراء إلى بيت المقدس وقد نطق به القرآن ولا يدفعه مسلم".

٣) الشـيخ الشـيباني: من أعلام القرن السَّـابع الهجري، قال في (نهج البيان عن كشف معاني القرآن): "الإسراء من المسـجد الحرام الى المسجد الأقصى عرفناه بنصّ القرآن والمعراج، وما يتبعه عرفناه بالسـنّة وقوله {الّذي باركنا حوله} يريد حول المسـجد الأقصىـ.. والّذي جاء عن أئمّتنا(ع)، أنَّ المعراج كان من المسجد الأقصى إلى البيت المعمور". وقد ذكر قول السّدّي أنّ المسجد الأقصى هو بيت إيليا، يعني بيت المقدس.

٤) الشيخ الكاشاني: من أعلام القرن التّاسع الهجري، قال في (زبدة التفاسير): "المسجد الأقصى بيت المقدس، لأنّه لم يكن حينئذٍ وراءه مسجد". وذكر رواية عن الرّسول(ص): ".. وركبت ومضيت حتى انتهيت إلى بيت المقدس.. ثم أخذ جبرئيل بيدي إلى الصّخرة، فأقعدني عليها، فإذا معراج إلى السَّماء".

٥) الشّيخ الطريحي: من أعلام القرن العاشر الهجري، قال في (تفسير غريب القرآن): "وقد عرج إلى السَّماء من بيت المقدس.. والمسجد الأقصى بيت المقدس، لأنَّه لم يكن وراءه حينئذٍ مسجد".

وهناك من المفسّرين من تبنّوا مثل هذا الرّأي أيضاً، مثل ابن أبي الجامع العاملي، والسيّد شبّر، وأبو الفيض النّاكوري، وغيرهم من الأعلام.

ومن مفسّري عصرنا، ممن ذهب إلى ما ذهب إليه كبار مفسّري الطائفة حول المسجد الأقصى:

٦) الشيخ مغنيّة: قال في (التفسير الكاشف): "والمسجد الأقصى هيكل سليمان، وسمّي مسجداً لأنّه محلّ للسّجود، وهو أقصى لبُعده عن مكّة".

وله إشارات جميلة مهمّة، منها أنّ إسماعيل أوّل نبيّ نطق العربيّة، وأنّ المسجدين يقعان في الشّرق، وهما بنيا في عهد قديم، إلا أنّ المسجد الحرام هو الأقدم، أقام قواعده إبراهيم الخليل، والمسجد الأقصى أقام قواعده نبيّ الله داود، ومن بعده سليمان، وفي فتوحات المسلمين، بني مسجد على عهد عمر بن الخطّاب سمي مسجد عمر، وعلى عهد عبدالملك بن مروان مسجد قبّة الصّخرة... فراجع تفسيره.

٧) السـيّد الطباطبائي: قال في (الميزان): "المسـجد الأقصى ـ هو بيت المقدس، والهيكل الّذي بناه داود وسـليمان، وقدَّسه الله لبني إسرائيل، وقد سمّي المسجد الأقصى لكونه أبعد مسجد بالنّسبة الى مكان النبيّ(ص) ومن معه من المخاطبين، وهو مكّة الّتي فيها المسجد الحرام.

٨) الشـيخ مكـارم شـيرازي: قال في (الأمثل): "الآية تتحدَّث عن إسراء النبيّ(ص)، أي سفره ليلاً من المسجد الحرام في مكَّة المكرَّمة، إلى المسجد الأقصى في القدس الشّريف".

٩) السيّد فضل الله: قال في (من وحي القرآن): "إلى المسجد الأقصى الّذي هو الأبعد بالنّسبة الى المسـجد الحرام، وهو بيت المقدس، الّذي عاش الأنبياء فيه عبادةً لله، ورسـالةً للنّاس". وذكر روايـة عن الصّـادق(ع) قـال: "لما أسري برسـول الله(ص) إلى بيـت المقدس، حمله جبرائيل على البراق، فأتيا بيت المقدس..."، والرّواية طويلة فيها تفصيل، فراجع

التَّفاسير الرّوائيَّة

إنّ التفاسـير الروائيّة، كتفسير البرهان للسيّد هاشم البحراني وغيره، لا تقدّم لنا رأياً واضحاً حول الآيـة والسّـورة، بـل هي لا تقوم بتفسـير الآيات، إنما تذكر روايات مرتبطة بالآيات وتفسـيرها. وما يهمّنا في هذا المجال، ما هو مرتبط بموضوعنا حول موقعيَّة المسجد الأقصى، فالرِّوايات المذكورة متعارضـة وغير مدقَّق في صـحَّتها، منها ما هو ضـعيف، ومنها ما هو مرسَل، وغير ذلك، مما يستدعي التوقّف وعدم الخوض في مثل هذه التّفاسير إلا بعد التّدقيق والتّأمّل والبحث، ولا يمكن الحكم وتحديد رأي صـاحب التّفسـير لمجرّد ذكره لهذه الرّواية أو تلك.

فـالروايات الإسرائيليّة والمرسـلة والضّـعيفة والموضـوعة، قد ملأت هذه التّفاسـير، لأنّ أصـحابها إنما هدفوا إلى الجمع تارةً، وإلى التّبويب تارة أخرى، كما فعل العلامة المجلسي ـ في البحار تماماً، وقد أشـار بشـكل تفصـيليّ إلى هذا الموضـوع، سماحة الشيخ جهاد فرحات، في كتابه "الشّيعة والمسجد الأقصى"، وبيّن ومثَّل بشكلٍ واضح جدّاً، فراجع.

قبلة المسلمين الأولى

قـد ذكرت الرّوايات، وبشـكل مسـتفيض يدعو للاطمئنان، أنّ قبلة المسـلمين كانت نحو المسجد الأقصى، وذكر الشّيخ فرحات جملةً من الرّوايات، أذكر منها روايتين:

١- عن الصَّـادق(ع): "صـلَّى رسـول الله(ص) إلى بيت المقدس بعد النبوَّة ثلاث عشرة سنة بمكَّة، وتسـعة عشر شهراً بالمدينة، ثم عيّرته اليهود، فقالوا إنَّك تابع لقبلتنا، فاغتمّ لذلك غمّاً شـديداً، فلمّا أصـبح صـلّى الغداة، فلمّا صلّى من الظّهر ركعتين، جاءه جبرائيل، فقال له: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}، ثم أخـذ بيـد النَّبيّ(ص)، فحوَّل وجهه إلى مكَّة... فقال المسـلمون صـلواتنا إلى بيت المقدس تضيع يا رسول الله؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: {وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيَمَانَكُمْ}، يعني صلاتكم، إلى بيت المقدس".[من لا يحضره الفقيه، ج١، ٢٧٢ ح٨٤٥].

٢- عن الحلبي عن أبي عبدالله(ع) قال: "سـألته هل كان رسـول الله يصلّي إلى بيت المقدس؟ قـال: نعم. فقلـت: أكـان يجعـل الكعبـة خلف ظهره؟ فقال: أمّا إذا كان بمكّة فلا، وأمَّا إذا هاجر إلى المدينة فنعم، حتّى حوّل إلى الكعبة".[الكافي، ج٣، ص٢٥٤، ح ١٦].

وقد ذكر العلماء جميعاً في كتبهم الفقهيّة، أنّ المسجد الأقصى هو من المساجد الأربعة، لتضافر الرّوايات حول ذلك، منها ما ورد عن أبي جعفر(ع): "المساجد الأربعة؛ المسجد الحرام، مسجد الرّسول، ومسجد بيت المقدس، ومسجد الكوفة. يا أبا حمزة، الفريضة فيها تعدل حجّة، والنافلة تعدل عمرة". [من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٢٢٩ ح٦٨٤].

بعض الإشارات القرآنيّة لبيت المقدس

. المسجد الأقصى ـ: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ}[الإسراء: ١].

• المكان القريب: {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ}[قـ: ٤١]

• الرّبوة ذات القرار: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}[المؤمنون: ٥٠].

• الأرض المقدَّسة: {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ}.

وأخيراً، أختم مع ثلاثة من العلماء قد ذكروا بيت المقدس:

١) الشّيخ كاشف الغطاء: "يعتقد الشّيعة الاماميّة أنَّ جميع الأنبياء الّذين نصّ عليهم القرآن الكريم رسل من الله وعباد مكرّمون بعثوا لدعوة الخلق إلى الحقّ، وأنّ الله سبحانه أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج من هناك بجسده الشّريف". [أصل الشيعة وأصولها].

٢) الشـيخ عبّاس القمّي: "اِعلم أنّه ثبت من الآيات الكريمة والأحاديث المتواترة، أنّ الحقّ تعالى أسرى برسـول الله في ليلة واحدة من مكّة المعظَّمة إلى المسجد الأقصى، ومن هناك عرج به إلى السّماوات"[منتهى الآمال، ص ٧٨].

٣) الشّـيخ جعفر السّـبحاني: "إنّ عروج رسول الله في ليلة واحدة من المسجد الحرام في مكّة إلى المسـجد الأقصى في فلسطين ومنه إلى السّماء". [العقيدة الإسلاميّة على ضوء مدرسة أهل البيت(ع)، ج ، ص ١٥٩].

فهم يرون أن الصـلاة فيه تعدل ألف صـلاة، وهذا الحكم من المسـلمات عند فقهاء الشـيعة، وهذا نص المسـألة (٥٦١) من كتاب «منهاج الصـالحين» للخوئي: «تسـتحب الصـلاة في المسـاجد، وأفضـلها المسـجد الحرام، والصـلاة فيه تعدل ألف ألف صلاة، ثم مسجد النبي، صـلى الله عليه وسـلم، والصـلاة فيه تعدل عشرـة آلاف صلاة، ثم مسجد الكوفة والأقصى والصلاة فيهما تعدل ألف صلاة ».

وقد وافق الخوئي الخميني، ومن المعاصرين السيسـتاني والحكيم والهاشـمي الشـاهرودي، وكذا تقي القمي في "مباني منهاج الصالحين" .

وأما الوحيد الخراسـاني في تعليقته على "المنهاج" فقد ذهب إلى أفضـلية مسـجد الكوفة على الأقصى حيث عبر (بل ثم الأقصى).

وجاء في "توضـيح المسـائل" - باللغة الفارسـية - لكل من الخميني والخوئي والگلبيگاني والروحانيين والسـيسـتاني والمنتظري والنوري واللنكراني والصـافي وبهجت والخراسـاني

والتبريزي: «أفضل المساجد: المسجد الحرام، ثم مسجد النبي، ثم مسجد الكوفة، ثم مسجد بيت المقدس»، إلا الشيخ بهجت، إذ قال بعد مسجد الكوفة: «يأتي مسجد السهلة والخيف والغدير ثم مسجد بيت المقدس ثم مسجد براثا .. إلخ».

وفي كتاب "العروة الوثقى" لكاظم اليزدي مع تعليقة الخميني و الخوئي و الگلبيگاني و الأراكي: «مسألة (٤): يستحب الصلاة في المساجد، وأفضلها المسجد الحرام فالصلاة فيه تعدل ألف ألف صلاة، ثم مسجد النبي، صلى الله عليه وسلم، والصلاة فيه تعدل عشرة آلاف، ومسجد الكوفة وفيه تعدل ألف صلاة، والمسجد الأقصى وفيه تعدل ألف صلاة أيضًا».

وفي "زبدة الأحكام" للخميني مع تعليقات الأراكي والخامنئي ،« مسألة (٢٢٧): تستحب الصلاة في المساجد ... وأفضلها المسجد الحرام، ثم مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم مسجد الكوفة والأقصى».

فالوارد في نص الفتوى هو (المسجد الأقصى)، بينما الوارد في الرواية أن الصلاة في بيت المقدس بألف صلاة، وهذا واضح أنهم لا يرون أن المسجد الأقصى في السماء، وأنهم يرون أن بيت المقدس والأقصى مكان واحد، والفارق هو سعة وضيق المكان فقط. وعلى هذا فقهاء الإمامية قديمًا وحديثًا، فقد ذكر أبو جعفر الطوسي في "التذكرة" وتابعه العلامة في نكت التذكرة في باب فضل المساجد والصلاة فيها هذه الرواية بعينها مستدلين بها على فضل بيت المقدس، بينما يذكرها الفقهاء المعاصرون للاستدلال على فضل المسجد الأقصى.

وهـذه الروايـة مرويـة بعـدة طرق، وموجودة في أكثر من كتاب من كتب الروايات عن أهل البيت عليهم السلام.

فقد ذكرها أبو جعفر الطوسي في "التهذيب" بإسـناده عن أحمد بن محمد (بن يحيى) عن محمد بن حسـان (الرازي) عن النوفلي عن السـكوني. ورواها ابن بابويه القمي الصـدوق مرسلة، ورواهـا أيضًـا في "ثواب الأعمال" عن أبيه عن أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد عن محمد بن حسان، ورواها البرقي في "المحاسن" عن النوفلي عن السكوني عن الإمام جعفر بن محمد الصادق، عليه السلام.

٢ يكره استقباله حال التخلي وقضاء الحاجة

وهذا الحكم ذكره العلامة الحلي في كتابه منتهى المطالب ١/ ٣٢٠: «السادس: يكره استقبال بيت المقدس لأنه قد كان قبلة، ولا يحرم للنسخ، وهو قول الشافعي أيضا».

٣ استحباب زيارته

فقد ذكر الشـهيد الأول في كتاب الدروس الشرعية ـــ باب المزار: «ويستحب زيارة منتجبي الصــحابة رضــوان الله عليهم أجمعين، وخصــوصًــا جعفر بن أبي طالب بمؤتة، والعباس وأولاده، وسـلمان بالمدائن، وعمار بصـفين، وحذيفة، وزيارة الأنبياء عليهم السـلام حيث كانوا، وخصـوصًـا إبراهيم وإسحاق ويعقوب بمشهدهم المعروف، وباقي الأنبياء بالأرض المقدسـة، وزيارة المسـجد الأقصىـ وإتيان مقامات الأنبياء، وزيارة قبور الشهداء والصلحاء من المؤمنين».

٤ استحباب دفن الموتى فيه و نقل الموتى إليه:

قال صــاحب الجواهر في جواهر الكلام ٤/ ٣٤٨: «وكيف كان، فمما ذكرنا ينقدح وجه ما ذكره الشـهيد، وتبعه عليه بعض من تأخر عنه من إلحاق نحو المقبرة التي فيها قوم صـالحون بمشـاهـد الأئمـة عليهم السـلام في رجحـان النقـل إليها لتناله بركتهم، وكذا الشـيخ في "المبسـوط"، قـال: (ويسـتحـب أن يدفن الميت في أشرف البقاع، فإن كان بمكة فبمقبرتها، وكذلك المدينة والمسجد الأقصى، ومشاهد الأئمة عليهم السلام، وكذا كل مقبرة تذكر بخير من شهداء وصلحاء وغيرهم).

فظهر من ذلك كله أنه لا جهة للإشكال في أصل رجحان ذلك رجاءً للنفع ودفعًا للضرر».

٥ تغليظ اليمين فيه

يغلظ اليمين في كل بلد بأشرف بقعة فيه، وإن كان في بيت المقدس فعند الصـخرة . أي يغلظ أكثر عند الصخرة، فلو لم يكن للصخرة قدسية كيف يغلظ القسم عندها؟

وبهذا يتبين بأن الراجح المفتى به عند الشـيعة الإمامية هو أن المسـجد الأقصى ـ هو المسـجد المعروف في بيت المقدس، وأن له فضـلا كبيرا فلذا تشد الرحال إليه، وتضاعف الصلاة فيه، وإن كان بعضهم قد يفضل عليه غيره.

وإنما حررت هذه المسـألة من أقوالهم إنصـافا للحق، وتأكيدا على أن المسلمين جميعا يرون أن المسجد الأقصى هو الذي في بيت المقدس بفلسطين وليس غيره. والله الموفق.

الشام هي أرض المحشر والمنشر:

يحشر الناس إلى الشام في آخر الزمان وهي أرض المحشر كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة:

منها ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما في ذكر خروج النار وفيه ((قال: قلنا يا رسول الله فماذا تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام))[1].

وروى الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية البهزي عن أبيه فذكر الحديث وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: ((هاهنا تحشرون، هاهنا تحشرون، هاهنا تحشرون - ثلاثاً - ركباناً، ومشاة، وعلى وجوهكم)) قال ابن أبي بكير: فأشار بيده إلى الشام فقال: إلى هاهنا تحشرون [2].

---

[1] رواه الترمذي (٢٢١٧)، وأحمد (٢/ ٨) (٤٥٣٦)، وابن حبان (١٦/ ٢٩٤) (٧٣٠٥). قال الترمذي: حسن صحيح غريب، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٦/ ٢٤٦)، وصححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)).

[2] رواه أحمد (٤/ ٤٤٦) (٢٠٠٢٥). قال الوادعي في ((الصحيح المسند)) (١١٢٩): صحيح.

وفي رواية الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت: يا رسول الله أين تأمرني؟ قال: ((هاهنا ونحا بيده نحو الشام))[1].

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ستكون هجرة بعد هجرة، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، تنذرهم نفس الله، تحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل من تخلف))[2].

قال ابن حجر: (وفي تفسير ابن عيينة عن ابن عباس: من شك أن المحشر هاهنا يعني الشام فليقرأ أول سورة الحشر، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ: اخرجوا، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر)[3].

---

[1] رواه الترمذي (٢١٩٢)، وأحمد (٥/ ٣) (٢٠٠٤٣)، والحاكم (٤/ ٦٠٨). قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقوى إسناده ابن حجر في ((فتح الباري)) (١١/ ٣٨٧).

[2] رواه أبو داود (٢٤٨٢)، وأحمد (٢/ ٨٤) (٥٥٦٢). والحديث سكت عنه أبو داود، وحسنه ابن حجر في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (٥/ ٤٩٧)، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (١١/ ١٥٣): إسناده صحيح.

[3] ((فتح الباري)) (١١/ ٣٨٠) ((تفسير ابن كثير)) (٨/ ٨٤).

والسـبب في كون أرض الشـام هي أرض المحشرـ أن الأمن والإيمان حين تقع الفتن في آخر الزمان يكون بالشـام. وقد جاء في فضـله والترغيب في سـكناه أحاديث صـحيحة منها ما أخرجه الإمام أحمد عن أبي الدرداء قال: قال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم: ((بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي؛ فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري، فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام))[1].

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((رأيـت ليلـة أسري بي عموداً أبيض كـأنه لؤلؤة تحمله الملائكة. قلت: ما تحملون؟ فقالوا: عمود الكتاب أمرنا أن نضعه بالشام)) [2].

وروى أبو داود بسـنده إلى عبد الله بن حوالة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة، جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق، قال ابن حوالة: خر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك، فقال: عليك بالشام، فإنها خيرة الله من

---

[1] رواه أحمد (٥/ ١٩٨) (٢١٧٨١). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٠/ ٦٠): رجال أحمد رجال الصحيح، وصحح إسناده ابن حجر في ((فتح الباري)) (١٢/ ٤٢٠).

[2] رواه الطبراني في ((مسـنـد الشـاميين)) (١/ ٣٤٥) (٦٠١). وقـال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٠/ ٦١): رجاله رجال الصـحيح غير صـالح بن رسـتم وهو ثقة، وحسن إسناده ابن حجر في ((فتح الباري)) (١٢/ ٤٢٠).

أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غدركم، فإن الله توكل لي بالشام وأهله))[1].

فصل

في أن المسجد الأقصى هو قبلة المسلمين الأولى وثاني المساجد بناء

قال المؤلف، حفظه الله:

٤_" يعتقد المسلمون أن الأقصى قبلة المسلمين الأولى، فعن البراء بن عازب، رضي الله عنه، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، صلى قِبَلَ بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا[2].

ويعتقدون أنه ثاني مسجدٍ وُضع في الأرض، فعن أبي ذر، رضي الله عنه، قال: «قلت: يا رسول الله، أي مسجدٍ وُضع في الأرض أول؟ قال: الْمَسْجِدُ الحَرَامُ. قال: قلت: ثم أي؟ قال:

---

[1] رواه أبو داود (٢٤٨٢)، وأحمد (٢/ ٨٤) (٥٥٦٢). والحديث سكت عنه أبو داود، وحسنه ابن حجر في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (٥/ ٤٩٧)، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (١١/ ١٥٣): إسناده صحيح.

[2] أخرجه البخاري (٤٠)، ومسلم (٥٢٥).

المَسْـجِدُ الأَقْصَى-. قلت: كم كان بينهما؟ قال: أَرْبَعُونَ سَـنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّـلَاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ، فَإِنَّ الفَضْلَ فِيهِ»"[1].

قال أبو محمد:

استقبالُ بيت المقدس وجعله قبلةً للمسلمين، ثابتٌ في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، قال سـبحانه وتعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُـولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْـهِ وَإِنْ كَـانَـتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّـذِينَ هَـدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِـيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} سورة البقرة الآية ١٤٣.

قال ابن كثير:[وقوله : {وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} أي: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل ذلك لا يضـيع ثوابها عند الله، وفي الصـحيح من حديث أبي إسـحاق السـبيعي، عن البراء، قال: مـات قومٌ كـانوا يصـلون نحو بيـت المقـدس، فقـال الناسُ: ما حالهم في ذلك؟ فأنزل الله تعـالى: {وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِـيعَ إِيمَانَكُمْ} ورواه الترمذي عن ابن عباس وصـححه. وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: {وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِـيعَ إِيمَانَكُمْ} أي: بالقبلة الأولى، وتصـديقكم نبيكم، واتباعه إلى القبلة الأخرى، أي: ليعطيكم أجرهما جميعاً {إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}] تفسير ابن كثير ١/ ١٩٧.

[1] أخرجه البخاري (٣٣٦)، ومسلم (٥٢٠).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَهُوَ بِمَكَّةَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالْكَعْبَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَعْدَ مَا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صُرِفَ إِلَى الْكَعْبَةِ) رواه أحمد والبزار والطبراني بسندٍ صحيحٍ، وصححه العلامة الألباني في "الثمر المستطاب" (ص٨٣٦).

وورد عن أنس رضي الله عنه:(أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصلي نحو بيت المقدس فنزلت: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} فمرَّ رجلٌ من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة فنادى: ألا إن القبلة قد حولت فمالوا كما هم نحو القبلة) رواه مسلم.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه:(أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم إلى المدينة صلَّى قِبَلَ بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قِبلتهُ قِبَلَ البيت، وأن أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قومٌ، فخرج رجلٌ ممن صلى معه، فمرَّ على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَلَ مكة، فداروا كما هم قِبَلَ البيت)رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية أخرى عن البراء بن عازب رضي الله عنه أيضاً(أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم: كان أول ما قَدِمَ المدينةَ نزل على أجدادِه، أو قال أخوالِه من الأنصارِ، وأنه صلى قِبَلَ بيتِ المقدسِ ستةَ عَشَرَ شهرًا، أو سبعةَ عَشَرَ شهرًا، وكان يُعجِبُه أن تكونَ قبلتُه قِبَلَ البيتِ، وأنه صلى أول صلاةٍ صلاَّها صلاة العصرِ، وصلى معَه قومٌ، فخرج رجلٌ ممن صلى معه، فمر على أهلِ

مســجدٍ وهم راكعون فقال: أشـهدُ باللهِ لقد صـلَّيْتُ مع رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قِبَلَ مكةَ، فداروا كما هم قِبَلَ البيتِ، وكانت اليهودُ قد أعجبَهم إذ كان يُصــلي قِبَلَ بيتِ المقدسِ، وأهلُ الكتابِ، فلما ولَّى وجهَه قِبَلَ البيتِ، أنكروا ذلك)رواه البخاري.

المسجد الأقصى ثاني مسجد بني في الأرض:

روى الإمام البخاري رحمه الله في صــحيحه بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُــلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ } قال:

- حَـدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَـدَّثَنَـا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُـولَ اللَّهِ: أَيُّ مَسْـجِدٍ وُضِـعَ أَوَّلَ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَسْـجِدُ الْأَقْصَى. قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ، ثُمَّ قَالَ: حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ وَالْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ.

وفي بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } قال:

- حَدَّثَنَا مُوسَـى بْنُ إِسْـمَاعِيلَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَـمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ. قَالَ: قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى. قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ.

وأما الإمام مسلم رحمه الله فرواه في صحيحه في (كتاب المساجد ومواضع الصلاة) حديث رقم(٥٢٠) فقال:

- حدَّثَنِي أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ: ح وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى. قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي كَامِلٍ ثُمَّ حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّهْ فَإِنَّهُ مَسْجِدٌ.

- حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ التَّيْمِيِّ قَالَ: كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَى أَبِي الْقُرْآنَ فِي السُّدَّةِ فَإِذَا قَرَأْتُ السَّجْدَةَ سَجَدَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَتِ أَتَسْجُدُ فِي الطَّرِيقِ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ:

سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ؟

قَالَ: الْمَسْــجِدُ الْحَرَامُ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْــجِدُ الْأَقْصَى. قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ عَامًا، ثُمَّ الْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ فَحَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ[1].

المســجد الأقصى: قال ابن كثير رحمه الله عند تفســير آية الإسراء: وهو بيت المقدس الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام، ولهذا جُمعوا له (أي النبي صلى الله عليه وسلم) هناك كلهم (أي الأنبياء) فأمّهم في محلتهم ودارهم.

وضع في الأرض: أي للعبادة والصلاة.

المسجد الحرام: أي الكعبة.

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في سواه إلا المسجد الحرام ، فصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة [فيما سواه]) [2].

---

[1] وكذلك أخرجه أحمد (٥/ ١٥٠) برقم (٢١٦٥٩)، والنسائي في الكبرى (١/ ٢٥٥) برقم (٧٦٩)، وابن ماجه (١/ ٢٤٨) برقم (٧٥٣).

[2] رواه أحمد وابن ماجه بإسنادين صحيحين (إرواء الغليل- الألباني ٤/ ٣٤١).

المسجد الأقصى: يعني مسجد بيت المقدس، قيل له الأقصى لبعد المسافة بينه وبين الكعبة، وقيل لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة، وقيل لبعده عن الأقذار والخبائث، والمقدس: المطهر عن ذلك.

والمسجد الأقصى: اسم لجميع المسجد مما دار عليه السور، وفيه الأبواب والساحات الواسعة والجامع القبلي وقبة الصخرة والمصلى المرواني والأروقة والقباب والمصاطب وأسبلة الماء وغيرها من المعالم، وعلى أسواره المآذن، والمسجد كله غير مسقف سوى بناء قبة الصخرة والجامع القبلي الذي يُعرف عند العامة بالمسجد الأقصى– وما تبقى منه في منزلة ساحة المسجد، وهو ما اتفق عليه العلماء والمؤرخون، وعليه تكون مضاعفة ثواب الصلاة في أي جزء مما دار عليه السور، وتبلغ مساحته ١٤٤ ألف متر مربع[١].

فَإِنَّ "الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى" اسْمٌ لِجَمِيعِ الْمَسْجِدِ الَّذِي بَنَاهُ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ صَارَ بَعْضُ النَّاسِ يُسَمِّي الْأَقْصَى الْمُصَلَّى الَّذِي بَنَاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي مُقَدَّمِهِ وَالصَّلَاةُ فِي هَذَا الْمُصَلَّى الَّذِي بَنَاهُ عُمَرُ لِلْمُسْلِمِينَ أَفْضَلَ مِنْ الصَّلَاةِ فِي سَائِرِ الْمَسْجِدِ ؛ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمَّا فَتَحَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَكَانَ عَلَى الصَّخْرَةِ زُبَالَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَنَّ النَّصَارَى كَانُوا يَقْصِدُونَ إهَانَتَهَا مُقَابَلَةً لِلْيَهُودِ الَّذِينَ يُصَلُّونَ إلَيْهَا فَأَمَرَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِإِزَالَةِ النَّجَاسَةِ عَنْهَا وَقَالَ لِكَعْبِ الْأَحْبَارِ: أَيْنَ تَرَى أَنْ نَبْنِيَ مُصَلَّى الْمُسْلِمِينَ ؟ فَقَالَ: خَلْفَ الصَّخْرَةِ فَقَالَ: يَا ابْنَ

---

[١] (المسجد الأقصى الحقيقة والتاريخ لعيسى القدومي).

الْيَهُودِيَّةِ خَالَطَتْك يَهُودِيَّةٌ بَلْ أَبْنِيهِ أَمَامَهَا . فَإِنَّ لَنَا صُدُورَ الْمَسَاجِدِ وَلِهَذَا كَانَ أَئِمَّةُ الْأُمَّةِ إذَا دَخَلُوا الْمَسْجِدَ قَصَدُوا الصَّلَاةَ فِي الْمُصَلَّى الَّذِي بَنَاهُ عُمَرُ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى فِي مِحْرَابِ دَاوُد.

الحديث فيه ميزة ما اختصت به أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من جعل الأرض لها مسجداً وطهوراً، ويؤيد ذلك ما أخرجه مسلم وغيره عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ.

قال الإمام ابن حجر رحمه الله في فتح الباري معقباً على الحديث: " قوله: "أربعون سنة" قال ابن الجوزي: فيه إشكال لأن إبراهيم بني الكعبة وسليمان بنى بيت المقدس وبينهما أكثر من ألف سنة انتهى، ومستنده في أن سليمان عليه السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى ما رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً بإسناد صحيح أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالاً ثلاثاً الحديث، وفي الطبراني من حديث رافع بن عميرة: أن داود عليه السلام ابتدأ ببناء بيت المقدس ثم أوحى الله إليه إني لأقضي بناءه على يد سليمان وفي الحديث قصة، قال وجوابه أن الإشارة (في حديث الباب) إلى أول البناء ووضع أساس المسجد، وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس، فقد روينا أن أول من بني الكعبة آدم ثم انتشر ولده في الأرض، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت

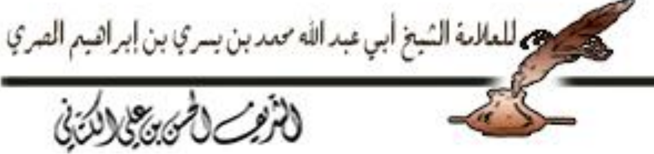
المقدس ثم بنى إبراهيم الكعبة بنص القرآن، وكذا قال القرطبي أن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتدأ وضعهما لهما بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيرهما، قلت: وقد مشى ابن حبان في صحيحه على ظاهر هذا الحديث فقال: في هذا الخبر رد على من زعم أن بين إسماعيل وداود ألف سنة، ولو كان كما قال لكان بينهما أربعون سنة وهذا عين المحال، لطول الزمان بالاتفاق بين بناء إبراهيم عليه السلام البيت وبين موسى عليه السلام، ثم إن في نص القرآن أن قصة داود في قتل جالوت كانت بعد موسى بمدة، وقد تعقب الحافظ الضياء بنحو ما أجاب به ابن الجوزي، وقال الخطابي: يشبه أن يكون المسجد الأقصى أول ما وضع بناءه بعض أولياء الله قبل داود وسليمان، ثم داود وسليمان فزادا فيه ووسعاه فأضيف إليهما بناؤه، قال: وقد ينسب هذا المسجد إلى إيلياء فيحتمل أن يكون هو بانيه أو غيره ولست أحقق لم أضيف إليه، قلت: الاحتمال الذي ذكره أولاً موجه (أي له وجه)، وقد رأيت لغيره أن أول من أسس المسجد الأقصى آدم عليه السلام وقيل الملائكة وقيل سام بن نوح عليه السلام وقيل يعقوب عليه السلام فعلى الأولين يكون ما وقع ممن بعدهما تجديداً كما وقع في الكعبة، وعلى الأخيرين يكون الواقع من إبراهيم أو يعقوب أصلاً وتأسيساً، ومن داود تجديداً لذلك وابتداء بناء فلم يكمل على يده حتى أكمله سليمان عليه السلام، لكن الاحتمال الذي ذكره ابن الجوزي أوجه، وقد وجدت ما يشهد له ويؤيد قول من قال أن آدم هو الذي أسس كلاً من المسجدين، ما ذكره ابن هشام في كتاب التيجان أن آدم لما بني الكعبة أمره الله بالسير إلى بيت المقدس، وأن يبنيه فبناه ونسك فيه، وبناء آدم للبيت مشهور، وقد تقدم قريباً حديث عبد الله بن عمرو أن البيت رفع زمن الطوفان حتى بوأه الله لإبراهيم،

وروى ابن أبي حاتم من طريق معمر عن قتادة قال: وضع الله البيت مع آدم لما هبط ففقد أصوات الملائكة وتسبيحهم، فقال الله له: يا آدم إني قد أهبطت بيتاً يطاف به كما يطاف حول عرشي فانطلق إليه، فخرج آدم إلى مكة وكان قد هبط بالهند، ومد له في خطوه فأتى البيت فطاف به، وقيل: إنه لما صلى إلى الكعبة أمر بالتوجه إلى بيت المقدس فاتخذ فيه مسجداً وصلى فيه ليكون قبلة لبعض ذريته، وأما ظن الخطابي أن إيليا اسم رجل ففيه نظر، بل هو اسم البلد فأضيف إليه المسجد، كما يقال مسجد المدينة ومسجد مكة، وقال أبو عبيد البكري في معجم البلدان: إيليا مدينة بيت المقدس فيه ثلاث لغات مد آخره وقصره وحذف الياء الأولى.

" فَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى كَانَ مِنْ عَهْدِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَكِنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَنَاهُ بِنَاءً عَظِيمًا. فَكُلٌّ مِنْ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ بَنَاهُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ لِيُصَلِّيَ فِيهِ هُوَ وَالنَّاسُ"[1].

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٥٨): " و "الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى" صَلَّتْ فِيهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ عَهْدِ الْخَلِيلِ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : { قُلْت يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلًا ؟ قَالَ : الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ قُلْت : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى قُلْت : كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ : أَرْبَعُونَ سَنَةً ثُمَّ حَيْثُ مَا أَدْرَكَتْك الصَّلَاةُ فَصَلِّ. فَإِنَّهُ مَسْجِدٌ وَصَلَّى فِيهِ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مَا لَا يُحْصِيهِ إلَّا اللَّهُ وَسُلَيْمَانُ بَنَاهُ هَذَا الْبِنَاءَ وَسَأَلَ رَبَّهُ ثَلَاثًا : سَأَلَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدِ مِنْ بَعْدِهِ وَسَأَلَهُ حُكْمًا يُوَافِقُ حُكْمَهُ وَسَأَلَهُ أَنَّهُ لَا يَؤُمُّ هَذَا الْمَسْجِدَ أَحَدٌ لَا يُرِيدُ إلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ إلَّا غَفَرَ

[1] (مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٥١).



لَـهُ } . وَلِهَذَا كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَأْتِي مِنْ الْحِجَازِ فَيَدْخُلُ فَيُصَـلِّي فِيهِ ثُمَّ يَخْرُجُ وَلَا يَشْرَبُ فِيهِ مَاءً لِتُصِيبَهُ دَعْوَةُ سُلَيْمَانَ . وَكَانَ الصَّحَابَةُ ثُمَّ التَّابِعُونَ يَأْتُونَ وَلَا يَقْصِدُونَ شَيْئًا مِمَّا حَوْلَهُ مِنْ الْبِقَاعِ وَلَا يُسَافِرُونَ إلَى قَرْيَةِ الْخَلِيلِ وَلَا غَيْرِهَا".

وقال الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" (١/ ١٦٢) دار الفكر:

ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ مِهْرَانَ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلُ قَالَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ قَالَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى. قُلْتُ كَمْ بَيْنَهُمَا قَالَ أَرْبَعُونَ سَنَةً قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ قَالَ ثُمَّ حَيْثُ أَدْرَكْتَ الصَّلَاةَ فَصَلِّ فَكُلُّهَا مَسْجِدٌ. وَعِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الَّذِي أَسَّسَ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى وَهُوَ مَسْجِدُ إِيلِيَا بَيْتِ الْمَقْدِسِ شَرَّفَهُ اللهُ. وَهَذَا مُتَّجِهٌ وَيَشْهَدُ لَهُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْحَدِيثِ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ بِنَاءُ يَعْقُوبَ وَهُوَ إِسْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ بِنَاءِ الْخَلِيلِ وَابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً سَوَاءً وَقَدْ كَانَ بِنَاؤُهُمَا ذَلِكَ بَعْدَ وُجُودِ إِسْحَاقَ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا دَعَا قَالَ فِي دُعَائِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ. رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمن عَصانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ. رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ. رَبَّنا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَما نُعْلِنُ وَما يَخْفى عَلَى اللهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ. الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعاءِ.

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمن ذُرِّيَّتِي رَبَّنا وَتَقَبَّلْ دُعاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسابُ ١٤: ٣٥- ٤١. وما جاء في الحديث من أن سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالا ثلاثا كما ذكرناه عند قوله (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) ٣٨: ٣٥ وَكَمَا سَنُورِدُهُ فِي قِصَّتِهِ فَالْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ جَدَّدَ بِنَاءَهُ كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ بَيْنَهُمَا أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ إِنَّ بَيْنَ سُلَيْمَانَ وَإِبْرَاهِيمَ أَرْبَعِينَ سَنَةً سِوَى ابْنِ حِبَّانَ فِي تَقَاسِيمِهِ وَأَنْوَاعِهِ وَهَذَا الْقَوْلُ لَمْ يُوَافَقْ عَلَيْهِ وَلَا سُبِقَ إِلَيْهِ.

فصل

في مضاعفة الثواب في المسجد الأقصى

قال المؤلف حفظه الله:

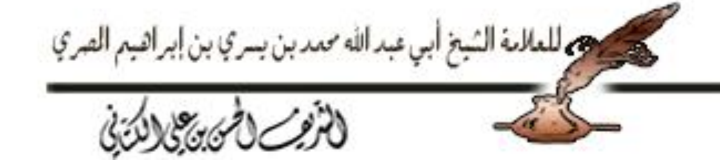
٤- يعتقد المسلمون أن الأقصى مما يستحب السفر إلى زيارته وشد الرحال إليه لبركته، ففي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى»[(١)].

ويعتقدون أن الصلاة فيه مضاعفة الثواب، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «تذاكرنا ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أيهما أفضل: مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسجد بيت المقدس؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صَلَاةٌ فِيْ مَسْجِدِيْ هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيْهِ، وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى هُوَ»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الحاكم (٨٥٥٣)، والطبراني في الأوسط (٦٩٨٣)، والبيهقي في الشعب (٣٨٤٩)، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.



قال أبو محمد:

في هذه الفقرة مسألتان، أحدهما: فضل شد الرحال للمسجد الأقصى، وثانيهما: فضل الصلاة فيه.

١. فضل شد الرحال للمسجد الأقصى:

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجد: مسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى))؛ البخاري (١١٣٩)، واللفظ له، ومسلم (١٣٩٧).

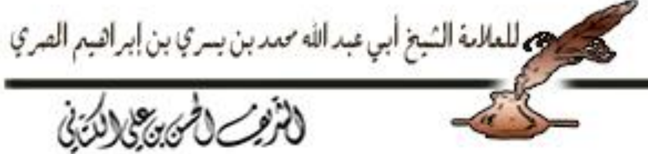
هذا حديث صحيح مشهور، رواه أئمة الحديث من طرق كثيرة صحيحة، عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم؛ كأبي هريرة، وأبي سعيد الخُدْري، وواثلة بن الأسقع وغيرهم.

هذا حديث عظيم، يزيد من رفعة ومكانة وعلو قدر المسجد الأقصى، فقد اجتمع ذكره مع أفضل المساجد على الإطلاق، في تجريد التوحيد وإخلاص النية لله سبحانه وتعالى، والانتقال والسفر من مكان إلى مكان بقصد التعبد.

وقد أوضح البغوي سبب التخصيص لهذه المساجد تحديدا بقوله: "تَخْصِيصُ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ لِمَا أَنَّهَا مَسَاجِدُ الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ أُمِرْنَا بِالاقْتِدَاءِ بِهِمْ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} الأنعام:٩٠.[١]

---

[١] شرح السنة (٢/ ٣٣٧).



وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةُ هذه المساجد الثلاثة وفضيلة شد الرحال اليها لِأَنَّ مَعْنَاهُ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ لَا فَضِيلَةَ فِي شَدِّ الرِّحَالِ إِلَى مَسْجِدٍ غَيْرِهَا، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةُ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ وَمَزِيَّتُهَا عَلَى غَيْرِهَا لِكَوْنِهَا مَسَاجِدَ الْأَنْبِيَاءِ وَلِأَنَّ الْأَوَّلَ قِبْلَةُ النَّاسِ وَإِلَيْهِ حَجُّهُمْ وَالثَّانِي كَانَ قِبْلَةَ الْأُمَمِ السالفة وَالثَّالِث أسس على التقوى.[1]

الحديث يؤكد خصوصية هذه المساجد في شريعتنا، وأهميتها وعلاقتها الوطيدة، وأنها أفضل المساجد على الإطلاق، حتى باتت كالأخوات لا تنفك عن بعضها البعض، وقد ترجم كثير من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم هذا الحديث عمليا وشدوا الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك.

هذه المساجد المقدسة التي يستحب شد الرحال إليها، وتُحتمل من أجلها المشاق، وتنفق النفقات في زيارتها والصلاة فيها لتحصيل الأجر والثواب؛ ينبغي أن يُبذل من أجلها وفي سبيل الحفاظ عليها الغالي والنفيس، وعدم التفريط في أي منها إطلاقا.

الحديث المذكور يؤكد حقيقة مهمة للغاية؛ وهي أن المسجد الأقصى ارتباطه عقدي وتعلقه شرعي وعلاقته إيمانية مع عامة المسلمين، وليس ارتباطا عابرا أو مؤقتا، فقد ربط عليه الصلاة والسلام قيمته وبركته ومكانته وقداسته، مع شقيقيه المسجد الحرام والمسجد النبوي.

[1] شرح النووي على مسلم (٩/ ١٦٨).

وجاء عن ميمونة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، رضي الله عنها، أنها قالت: "يا رسول الله أفتِنَا في بيت المقدس، فقال:" ايتوهُ فصلُّوا فيه، وكانت البلاد إذ ذاك حربًا، فإن لم تأتوه وتصلّوا فيه فابعثوا بزيتٍ يُسرَج في قناديله"[1].

وفي حديث آخر عن أم سلمة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنها سمعت رسول الله يقول: "منْ أَهَلَّ بِحَجَّة أوْ عُمْرَة من المسجد الأقصى إِلى المسجد الحرام غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر"[2].

---

[1] رواه أحمد وأبو داود (٤٥٧) وابن ماجه (١٤٠٧)، وقال الألباني: منكر. وقال شيخنا شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند: إسناده ضعيف، زياد بن أبي سودة ذكره الذهبي في "الميزان"، وقال: في النفس شيء من الاحتجاج به، وأورد له هذا الحديث، وقال: هذا حديث منكر جدًّا، ثم نقل عن عبد الحق قولَه فيه: ليس هذا الحديث بقوي، وقولَ ابن القطان: زياد، وعثمان ممّن يجب التوقف في روايتهما، وقال الحافظ في "الإصابة" (في ترجمة ميمونة): فيه نظر. وقال النووي في " المجموع " (٨/ ٢٧١) ما مختصره:" رواه أحمد وابن ماجه بإسناد لا بأس به، ورواه أبو داود مختصراً بإسناد حسن ". وقد عزاه الهيثمي (٤/ ٦ – ٧) لأبي يعلى وقال:" ورجاله ثقات ".

[2] إسناده صحيح. صححه المنذري والمناوي والمرداوي وغيرهم. انظر: "الترغيب والترهيب" للمنذري(٢/ ١٢١)، و"التيسير بشرح الجامع الصغير" للمناوى (٢/ ٧٨٦)، و"مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" للمباركفوري(٨/ ٤١٥)، و"شرح المسند" للبنا الساعاتي(١١/ ١١٢)

وروى أحمد في مسنده عن ذِي الأَصَابِعِ قوله ،قلت يا رسول الله، إِنِ ابْتُلِينَا بعدك بالبقاء أين تأمرنا؟ قال: " عليك ببيت المقدس فلعله أن ينشأ لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون"[1].

قال الحافظ ابن حجر: (في هذا الحديث فضيلة هذه المساجد ومزيتها على غيرها لكونها مساجد الأنبياء ولأن الأول قبلة الناس وإليه حجهم، والثاني كان قبلة الأمم السالفة، والثالث أسس على التقوى.

واختلف في شد الرحال إلى غيرها كالذهاب إلى زيارة الصالحين أحياء وأمواتاً، وإلى المواضع الفاضلة لقصد التبرك بها والصلاة فيها، فقال الشيخ أبو محمد الجويني: يحرم شد الرحال إلى غيرها عملا بظاهر هذا الحديث وأشار القاضي حسين إلى اختياره وبه قال عياض وطائفة، ويدل عليه ما رواه أصحاب السنن من إنكار بصرة الغفاري على أبي هريرة خروجه إلى الطور وقال له: لو أدركتك قبل أن تخرج ما خرجت، واستدل بهذا الحديث فدل على أنه يرى حمل الحديث على عمومه ووافقه أبو هريرة.

والصحيح عند إمام الحرمين وغيره من الشافعية أنه لا يحرم، وأجابوا عن الحديث بأجوبة منها:

---

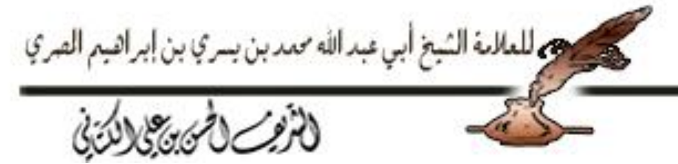
١ رواه أحمد في "مسنده" (١٦٢٨٨) بسند صحيح.

١- أن المراد أن الفضيلة التامة إنما هي من شد الرحال إلى هذه المساجد بخلاف غيرها فإنه جائز، وقد وقع في رواية لأحمد سيأتي ذكرها بلفظ -لا ينبغي للمطي أن تعمل- وهو لفظ ظاهر في غير التحريم.

٢- ومنها أن النهي مخصوص بمن نذر على نفسه الصلاة في مسجد من سائر المساجد غير الثلاثة فإنه لا يجب الوفاء به قاله ابن بطال، وقال الخطابي اللفظ لفظ الخبر ومعناه الإيجاب فيما ينذره الإنسان من الصلاة في البقاع التي يتبرك بها أي لا يلزم الوفاء بشيء من ذلك غير هذه المساجد الثلاثة.

٣- ومنها أن المراد حكم المساجد فقط وأنه لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد للصلاة فيه غير هذه الثلاثة. وأما قصد غير المساجد لزيارة صالح أو قريب أو صاحب أو طلب علم أو تجارة أو نزهة فلا يدخل في النهي، ويؤيده ما روى أحمد من طريق شهر بن حوشب قال سمعت أبا سعيد وذكرت عنده الصلاة في الطور فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا ينبغي للمصلي أن يشد رحاله إلى مسجد تبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي." وشهر حسن الحديث وإن كان فيه بعض الضعف.

٤- ومنها أن المراد قصدها بالاعتكاف فيما حكاه الخطابي عن بعض السلف أنه قال لا يعتكف في غيرها وهو أخص من الذي قبله ولم أر عليه دليلاً، واستدل به على أن من نذر إتيان أحد هذه المساجد لزمه ذلك، وبه قال مالك وأحمد والشافعي والبويطي واختاره أبو إسحاق المروزي. وقال أبو حنيفة لا يجب مطلقاً، وقال الشافعي في الأم: يجب في المسجد



الحرام لتعلق النسك به بخلاف المسجدين الأخيرين وهذا هو المنصور لأصحاب الشافعي... وقال: واستدل به على أن من نذر إتيان غير هذه المساجد الثلاثة لصلاة أو غيرها لم يلزمه غيرها لأنها لا فضل لبعضها على بعض فتكفي صلاته في أي مسجد كان.) انتهى كلام الحافظ باختصار[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (لا يجب بالنذر السفر إلى غير المساجد الثلاثة لأنه ليس بطاعة لقول النبي: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد." فمنع من السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة فغير المساجد أولى بالمنع؛ لأن العبادة في المساجد أفضل منها في غير المساجد وغير البيوت بلا ريب، ولأنه قد ثبت في الصحيح عنه أنه قال:

"أحب البقاع إلى الله المساجد." مع أن قوله: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد." يتناول المنع من السفر إلى كل بقعة مقصودة بخلاف السفر للتجارة وطلب العلم ونحو ذلك فإن السفر لطلب تلك الحاجة حيث كانت، وكذلك السفر لزيارة الأخ في الله فإنه هو المقصود حيث كان.

وقد ذكر بعض المتأخرين من العلماء أنه لا بأس بالسفر إلى المشاهد واحتجوا :"بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي قباء كل سبت راكباً وماشياً." أخرجاه في الصحيحين، ولا حجة لهم فيه لأن قباء ليست مشهدا بل مسجد، وهي منهي عن السفر إليها باتفاق الأئمة

---

[1] في "الفتح" في شرح هذا الحديث (٣/ ٦٥).

لأن ذلك ليس بسفر مشروع، بل لو سافر إلى قباء من دويرة أهله لم يجز، ولكن لو سافر إلى المسجد النبوي ثم ذهب منه إلى قباء فهذا يستحب، كما تستحب زيارة قبور أهل البقيع وشهداء أحد.)[1]

وقال أيضا: (وشد الرحل إلى مسجده مشروع باتفاق المسلمين كما في الصحيحين عنه أنه قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا." وفي الصحيحين عنه أنه قال: "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام." فإذا أتى مسجد النبي فإنه يسلم عليه وعلى صاحبيه كما كان الصحابة يفعلون.

وأما إذا كان قصده بالسفر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم دون الصلاة في مسجده فهذه المسألة فيها خلاف، فالذي عليه الأئمة وأكثر العلماء أن هذا غير مشروع ولا مأمور به لقول النبي: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى.")[2].

---

[1] في "مجموع الفتاوى" (٢٧/ ٢١).

[2] في "الفتاوى" (٢٧/ ٢٦).

وروى سعيد في (سننه)، حدثنا حبان بن علي، حدثني محمد بن عجلان، عن أبي سعيد مولى المهري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تتخذوا بيتي عيدا، ولا بيوتكم قبورا، وصلوا عليَّ حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني)) [1].

وقال سعيد: حدثنا عبدالعزيز بن محمد، أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر، فناداني، وهو في بيت فاطمة يتعشى. فقال: هلم إلى العشاء؟ فقلت لا أريده. فقال: مالي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إذا دخلت المسجد فسلم. ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تتخذوا بيتي عيدا، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم)). ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء [2].

فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث، لاسيما وقد احتج من أرسله به وذلك يقتضي ثبوته عنده، ولو لم يكن روي من وجوه مسندة غير هذين. فكيف وقد تقدم مسندا؟

---

[1] رواه سعيد بن منصور في ((سننه)) مرسلاً كما في ((اقتضاء الصراط المستقيم)) لابن تيمية (ص: ٣٢٢)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (١٣/ ٦٢).

[2] رواه سعيد بن منصور في ((سننه)) مرسلاً كما في ((اقتضاء الصراط المستقيم)) لابن تيمية (ص: ١٠٦)، ورواه عبد الرزاق في ((المصنف)) (٣/ ٧١). قال ابن القيم في ((إغاثة اللهفان)) (١/ ٣٠١)، وابن عبد الهادي الحنبلي في ((الصارم المنكي)) (ص: ٣٢٢): مرسل. قال الألباني في ((أحكام الجنائز)) (ص٢٢٠): مرسل بإسنادٍ قوي.

ووجه الدلالة: أن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيدا. فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان، ثم إنه قرن ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: ((ولا تتخذوا بيوتكم قبورا)) أي: لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم. وفي (الصحيحين) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا))[1].

٢. فضل الصلاة في المسجد الأقصى:

ورد في فضل الصلاة في المسجد الأقصى المبارك عدة أحاديث ولا تعارض بينها فقد ورد ب (١٠٠)صلاة وفي حديث آخر (٥٠٠)صلاة وفي حديث آخر ب (٢٥٠) صلاة وللتوفيق بين الاحاديث نوضح راي العلماء فيما يلي لبيان فضل الصلاة في المسجد الأقصى ومضاعفتها.

٣-فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أيهما أفضل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسجد بيت المقدس؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم

[1] رواه البخاري (٤٣٢)، ومسلم (٧٧٧).

المصلى، وليوشكن ألا يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً أو قال خير من الدنيا وما فيها))[١].

من فوائد هذا الحديث:

قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم "ولنعم المصلى هو" في الحديث فيه دلالات كثيرة، منها:

١-هذا الحديث من أعلام النبوة لأن فيه البشارة بفتح بيت المقدس قبل أن يفتح.

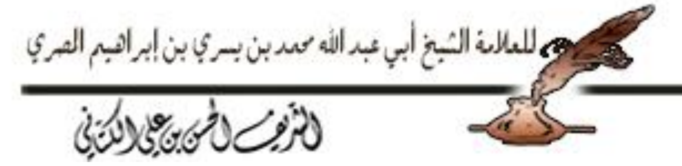
٢-اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم بالسؤال عن المسجد الأقصى المبارك وأجر الصلاة فيه.

٣-الحديث فيه دلالة بالغة على مكانة المسجد الأقصى المبارك في نفوس المسلمين، مكانته العظيمة في الشرع.

٤-فيه ثناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المسجد الأقصى المبارك.

---

[١] رواه الطحاوي في مشكل الآثار (١ / ٢٤٨) والبيهقي في الشعب (٣ / ٤٨٦ / ٤١٤٥). والحاكم في المستدرك (٨/ ١٤٨ برقم ٨٢٣٠): الطبراني في معجمه الأوسط (٧/ ١٠٣ برقم ٦٩٨٣): وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.



٥-فيه أجر الصلاة في المسجد الأقصى المبارك تعدل ٢٥٠ صلاة فيما سواه[١].

٦-فيه دلالة واضحة على أن قضية المسجد الأقصى المبارك ستبقى حية في نفوس أبناء هذا الدين لا يزعزعها إنكار الأعداء وافتراءات المعتدين.

٧-وفيه إشارة إلى عظم المسؤولية الموكولة على أهل القدس.

٨-وفيه لفتة مهمة إلى أنه قد يأتي زمان لا يستطيع أحد من المسلمين الإقامة حول المسجد الأقصى.

٩-أن نسخ القبلة الأولى – المسجد الأقصى المبارك – لم يلغ منزلتها الشرعية في الإسلام، ولم يُجعل كغيره من المساجد، بل بقيت منزلته محفوظة.

١٠- أن قضية المسجد الأقصى المبارك وبيت المقدس لا تنفصل أبداً عن قضية الإسلام الكبرى.

وها نحن نعيش في زمن نلمس فيه صدق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما سيكون عليه وضع المسجد الأقصى في ظل الاحتلال اليهودي الحاقد، بل ما عليه الان من خلال ممارساته اليومية بكل الطرق لتفريغ بيت المقدس من المسلمين وتهجيرهم والتضييق عليهم، ومن أبرز هذه الممارسات:

---

[١] لأن الصلاة في المسجد النبوي ب ١٠٠٠ صلاة فيما سواه، وألف مقسومة على ٤ تساوي ٢٥٠.

١-الأطواق المتمثلة بالمغتصبات حول الأقصى والقدس بأكملها بأطواق خانقة.

٢-غلاء الأراضي وارتفاع أسعارها حول الأقصى- تحديداً وفي بقية القدس وخصوصاً البلدة القديمة.

٣-الحصار الاقتصادي على المسلمين في القدس، وقطع الصلات الاجتماعية معهم.

٤-الطوق الأمني حول القدس وبداخلها الذي يضيق على المسلمين فيها من كل الجوانب (دينياً واقتصادياً واجتماعياً) ويقطع أواصر الاتصال فيها، وفي المقابل يعطي صلاحيات كبيرة للمغتصبين اليهود للإقامة فيها.

٥-الطرد المبرمج لأهالي القدس عبر سن سلسلة من القوانين الجائرة.

٦-الأخطار المتواصلة لكل من يسكن ويقيم في القدس من المسلمين، وذلك بالاعتداء عليهم والتضييق عليهم والأذى الجسماني الذي قد يصل للقتل.

٧- التهويد المستمر لشوارعها وأحيائها، بل وصل الأمر حتى إلى مقابرها!! كما يحدث لمقبرة "مأمن الله" في القدس والتي تحوي على قبور كثير من الصحابة والصالحين وغيرهم، إضافة لغيرها من المقابر حول أسوار المسجد الأقصى المبارك.

٨- الجدار الفاصل والغير مسبوق! والذي عزل القدس بالكامل عن محيطها الفلسطيني، مما يرسخ العزل الديموغرافي لها.

٩-الاعتداء المستمر على المسجد الأقصى المبارك، وخصوصاً ما يحدث الآن من مشروع هدم باب المغاربة بالكامل، وتهويد منطقة سلوان المحاذية للمسجد الأقصى من ناحيته الجنوبية بسلسلة من المشاريع التي تسهل اقتحام المسجد في أي وقت يريده اليهود، وإيجاد موطئ قدم لهم فيه! وغيرها الكثير.

يقول الشيخ د. محمد طاهر مالك في تحقيقه "مشيخة ابن طهمان": "ومن المؤسف أن وقائع الأحداث تشير إلى أننا في طريق تحقيق هذا الحديث الذي هو من دلائل النبوة، وأن مؤامرات الأعداء على المسجد الأقصى- وبيت المقدس ستستمر وتتصاعد وتشتد لدرجة أن يتمنى المسلم أن يكون له موضع صغير يطل منه على بيت المقدس أو يراه منه، ويكون ذلك عنده أحب من الدنيا جميعاً، ولا شك أن يكون بعد ذلك الفرج والنصر إن شاء الله، ولله الأمر من قبل ومن بعد، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون".

أقوال أهل العلم في فضل الصلاة في المسجد الأقصى، والراجح فيها:

١-أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن أجر الصلاة في مسجده يعدل ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، فقال صلى الله عليه وسلم: "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام" متفق عليه.

فدل هذا على أن أجر الصلاة في المسجد الأقصى المبارك على ما عندنا من حديث الباب تعدل مائتين وخمسين صلاة.

٢- قال الطحاوي رحمه الله: " ثم طلبنا الوقوف على فضل الصلاة في المسجد الأقصى على ما سوى هذه المساجد الثلاثة فوجدنا ان الله سبحانه وتعالى زاد من أتاه فصلى فيه ما رواه أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه (أي بمائتين وخمسين صلاة)، ثم زاده الله تعالى في ذلك أن جعله كخمس مائة صلاة ،ثم زاده الله فيه فجعل صلاته فيه كألف صلاة فيما سواه"[١] . وهذا يدل دلالة واضحة على أن اختيار الطحاوي، رحمه الله، في فضل الصلاة في المسجد الأقصى المبارك تدرج في الفضل شيئاً فشيئاً حتى استقر الفضل بمساواته بأجر الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

٣-أما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقد مال إلى أن أجر الصلاة فيه بخمسمائة صلاة، فقال :" وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ أَفْضَلُ الْمَسَاجِدِ وَيَلِيهِ مَسْجِدُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَلِيهِ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى ...وأَمَّا فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فَقَدْ رُوِيَ "أَنَّهَا بِخَمْسِينَ صَلَاةٍ" وَقِيلَ "بِخَمْسِمِائَةِ صَلَاةٍ" وَهُوَ أَشْبَهُ. وعلى هذا القول جمهور أهل العلم"[٢]، حيث حسّن حديث "الخمسمائة صلاة" وقد نقل عن الحافظ ابن حجر كذلك تحسين الحديث في "فتح الباري" (٣/ ١١٣٣).

---

[١] في "بيان مشكل الآثار" (٢/ ٧٦).

[٢] في "مجموع الفتاوى" (٢٧/ ٨).

والصّواب – إن شاء الله – أنّه لا تعارض في أحاديث الفضائل، لأنّ فضل الله على عباده يزداد ولا ينقص، ونظيره الأحاديث الّتي تثبت أجر صلاة الجماعة خمسا وعشرين، وأخرى سبعا وعشرين، فيؤخذ بالزّائد في الفضائل.

ويمكن أن يقال:

١-المضاعفة في (الصلوات في الأيام العادية بالأوقات الخمسة بالأقصى-"(بمائتين وخمسين صلاة)، فيما روي عن أبي ذر رضي الله عنه. ((صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى...)).

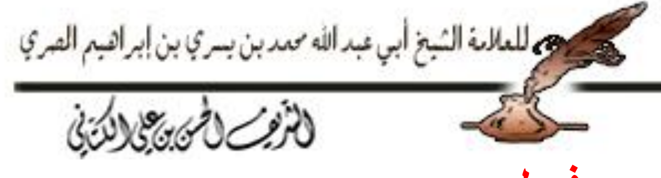
٢-وفي رمضان وفي الاعتكاف وعرفات والأيام الفاضلة كالجمع ("بِخَمْسِمِائَةِ صَلَاةٍ") كما في الحديث الذي رواه ابي الدرداء رضي الله عنه. ((وَفِي مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَمْسُمِائَةِ صَلَاةٍ)).

٣-وفي الرباط والجهاد (بألف صلاة) كما روي عن ميمونة: "يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس:((أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره)).

والله أعلم وأحكم وأجل[1].

---

[1] من بحث للشيخ د. مروح نصار بعنوان "فضل الصلاة في المسجد الأقصى المبارك".



فصل

في أن الأقصى أرض إسراء

ومعراج نبينا صلى الله عليه وسلم

قال المؤلف، حفظه الله:

٦ _ يعتقد المسلمون أن الإسراء بنبينا صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في بعض ليلة حق، وأنه صلَّى فيه بالأنبياء إمامًا، ثم عُرِج به إلى السماوات العلا حيث انتهى إلى سدرة المنتهى، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١].

وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ»[١].

قال أبو محمد:

أولاً: تعريف الإسراء والمعراج:

الإسراء لغة من السَّرى، وهو السير ليلاً، وقال السخاوي في تفسيره: إنما قال: ليلاً. والإسراء لا يكون إلاَّ بالليل؛ لأن المدَّة التي أُسْرِيَ به فيها لا تُقْطَع في أقل من أربعين يومًا، فقُطعت به في ليلٍ واحد، فكان المعنى: سبحان الذي أسرى بعبده في ليلٍ واحد من كذا وكذا، وهو موضع التعجب، وإنما عدل عن ليلة إلى ليل؛ لأنهم إذا قالوا: سرى ليلة. كان ذلك في الغالب لاستيعاب الليلة بالسرى، فقيل: ليلاً. أي في ليل. انظر: تاج العروس، مادة (السرى) ٣٨/ ٢٦٢.

وقيل:

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٢)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

أما المعراج: فهو رحلة سماوية تمت بقدرة الله عز وجل لرسول الله عليه الصلاة والسلام من بيت المقدس إلى السماوات العلا ثم إلى سدرة المنتهى ثم اللقاء بالله سبحانه وتعالى.

حال النبي صلى الله عليه وسلم قبل الإسراء والمعراج:

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله في مكة فترة طويلة، ولما لم يجد قبولا كبيرا للدعوة أحب أن يفتح بابا جديدا للدعوة في مكان آخر، فذهب إلى الطائف ومشى على قدمه مسافة طويلة جداً، ولما وصل اليها وبدأ يدعوهم الى الله إذا بهم يغرون به سفهاءهم وغلمانهم وصبيانهم فآذوه والقوه بالحجارة حتي أدموا قدميه صلى الله عليه وسلم وألجئوه إلى خارج الطائف، وعاد مهموما حزينا.

ومع ذلك لما جاءه جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال قائلا له:

كما جاء عن عروة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال (لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا) صحيح البخاري.

((الأَخْشَبَان)): الجَبَلان المُحيطان بمكَّة. وَالأخشبُ: هُوَ الجبل الغليظ.

كانت هذه المعجزة مكافئة ربانية من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم على ما لاقاه من آلام وأحزان طوال فترة الدعوة، وكأن الله تعالى يقول لحبيبه المصطفى: إن كان اهل مكة وأهل الطائف قد طردوك فإن رب السماوات والارض يدعوك، قم ايها المصطفى لترحل من عالم الأرض إلى عالم السماء، رفعه الله تعالى إليه ووضع عليه من حلل الرضا ما أنساه كل ما لاقاه من حزن وألم.

قصة الإسراء والمعراج:

قال تعالى ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾.

وقال تعالى ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم: ١ – ١٨].

العتمة .. وقت الانتقال:

بدأت مراسم رحلة الإسراء بعد عملية شقِّ الصدر مباشرة، وكان هذا في جوف الليل، حيث روى البيهقي عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ بإسناد صحيح قَالَ: "قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ أُسْرِيَ بِكَ؟" قَالَ: "صَلَّيْتُ لأَصْحَابِي صَلاَةَ الْعَتَمَةِ بِمَكَّةَ مُعْتِمًا، وَأَتَانِي جِبْرِيلُ عليه السلام[١].

والمفترض أن صلاة العتمة هي صلاة العشاء؛ ولكن حيث إن صلاة العشاء كما نعرفها لم تكن قد فُرِضت بعدُ؛ حيث إنها ستُفرض في رحلة المعراج كما هو مشهور، فإنَّ المقصود هنا من صلاة العتمة هو الركعتان اللتان يصليهما المسلمون في المساء؛ حيث كانت صلاة الفرض قبل الإسراء والمعراج عبارة عن ركعتين بالصباح وركعتين بالمساء، ولقد سُمِّي الإسراء بذلك لأن السرى هو السير ليلاً، وقد صرَّح بذلك ربُّ العالمين في القرآن الكريم فقال: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً..} [الإسراء: ١]، وأضاف كلمة "ليلاً" للدلالة على أن السرى حدث في جزء من الليل، وليس في كامل الليلة، وهذا أبلغ في الإعجاز.

البراق .. وسيلة الانتقال:

بدأت عملية الإسراء، وهي الانتقال من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس بتوفير وسيلة الانتقال، وهي دابَّة ليست من دوابِّ الأرض اسمها البُرَاق! روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أُتِيتُ

---

[١] البيهقي: دلائل النبوة ٢/ ٣٥٥، وقال البيهقي: هذا إسناد صحيح. والطبراني: المعجم الكبير (٧١٥٨)، والبزار: البحر الزخار ٨/ ٤١١.

بِـالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّـةٌ أَبْيَضُ طَوِيـلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْـلِ، يَضَـعُ حَـافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ". قَالَ: "فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ"[١].

وفي رواية للترمذي عنْ أَنَسٍ رضي الله عنه "أَنَّ النَّبِيَّ صـلى الله عليه وسـلم أُتِيَ بِالبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مُلْجَمًا مُسْرَجًا، فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَبِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا؟ فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْهُ. قَالَ: فَارْفَضَّ عَرَقًا"[٢]. وعند البيهقي عن شَـدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه بِإِسْنَادٍ صَحِيح قَالَ: "وَأَتَانِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِدَابَّةٍ بَيْضَاءَ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، فَقَالَ: ارْكَبْ فَاسْتَصْعَبَتْ عَلَيَّ، فَدَارَهَا بِأُذُنِهَا، ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهَا[٣].

وفي حـديث أبي سـعيد الخدري رضي الله عنه عند البيهقي في الدلائل، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عند ابن اسحاق قال: "فَإِذَا أَنَا بِدَابَّةٍ أَدْنَى، شَبِيهَةً بِدَوَابِّكُمْ هَذِهِ، بِغَالِكُمْ هَذِهِ، مُضْطَرِبُ الأُذُنَيْنِ، يُقَالُ لَهُ: الْبُرَاقُ، وَكَانَتِ الأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ تَرْكَبُهُ قَبْلِي"[٦].

وفي مسـند الحارث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ مُضْـطَرِبُ الأُذُنَيْنِ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَـعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ فَرَكِبْتُهُ"[٧].

ومن هذه الروايات نرى أن جبريل عليه السـلام جاء النبي صـلى الله عليه وسـلم بدابَّة بيضـاء، وهي أكبر من الحمار وأصـغر من البغل، والواقع أن الفرق ليس كبيرًا في الحجم بين الحمار والبغل، ومع ذلك ذكر الرسـول صـلى الله عليه وسـلم هذا التقدير ليُؤَكِّد أنه يصـف دابَّة معينة رآها وركبها، فليس هنا مجال لافتراض أن الأمر كان مجرَّد رؤيا، وقد وصـفه كما في رواية الحارث- بأنه مضـطرب الأذنين؛ أي أن الأذنين ممشوقتان طويلتان

---

[١] مسـلم: كتـاب الإيمان، باب الإسراء برسـول الله صـلى الله عليه وسـلم إلى السـماوات وفرض، (١٦٢)، وأحمد (١٢٥٢٧).

[٢] الترمذي: كتاب تفسـير القرآن، باب ومن سـورة بني إسرائيل (٣١٣١)، وقال: حديث حسـن. وصـحح إسـناده الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي، ٣/ ٢٦٧.

[٣] البيهقي: دلائل النبوة ٢/ ٣٥٥، وقال البيهقي: هذا إسناد صحيح.

بلا لحم كثير، كما وصــف موقفًا غريبًا حـدث لـه عند الركوب، وهو أن الدابَّة نفرت واســتصــعب ركوبها على رســول الله صلى الله عليه وسلم، وتدخَّل جبريل عليه السلام ليســوس الـدابَّـة، فـأمســك بـأذنها -أو فدارها كما تقول الرواية- ثم خاطبها خطاب العقلاء، فقال لها: "أَبِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا؟ فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْهُ". فســال عرق الـدابة خجلاً ورهبة، فهي دابة تفهم الكلمات ومعانيها، ولعلَّ ســبَب نفورها في البداية أنها لم تُرْكَب منذ عدَّة قرون؛ حيث إنها خاصــة بالأنبياء، وقد فَصَـل بين رسول الله صلى الله عليه وسـلم وعيسـى عليه السلام ستة قرون كاملة، وفي هذا الكلام من جبريل عليه السـلام تطمين منه لرسـول الله صـلى الله عليه وسـلم أنه مُقبلٌ على رحلة تكريمية، وقد أرسـل له الكريم سبحانه سيد الملائكة جبريل مع هذه الدابَّة العجيبة. ثم وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة الدابَّة الفائقة فوَضَّح أنها تضع قدمها عند منتهى بصرها، والله أعلم بحِدَّة بصرـها! ورسـول الله صـلى الله عليه وسلم هنا يصف السرعة الحقيقية للدابَّة، كما أنه يُمهِّد السـامع نفسـيًّا لاسـتيعاب رحلة الإسراء العجيبة إلى بيت المقدس؛ خاصــة أنها لم تكن رحلة مباشرة، إنما تَوَقَّف رســول الله صــلى الله عليه وســلم في عدَّة أماكن كما سنُبيِّن إن شاء الله.

أما تسـمية الدابَّة بالْبُرَاقُ فقد يكون مُشْـتَقًّا مِنَ الْبَرِيقِ لأنه صـلى الله عليه وسلم ذكر أن لَوْنه أَبْيَض، أَوْ مِنَ الْبَرْقِ لأَنَّهُ صـلى الله عليه وسـلم وَصَـفَهُ بِسُرْعَةِ السَّيْرِ، أَوْ مِنْ قَوْلِهِمْ شَـاةٌ بَرْقَاءُ إِذَا كَانَ خِلاَلَ صُوفِهَا الأَبْيَضِ طَاقَاتٌ سُودٌ، وَلاَ يُنَافِيهِ وَصْفُهُ فِي الْحَدِيثِ بِأَنَّ الْبُرَاقَ أَبْيَضُ لأَنَّ الْبَرْقَاءَ مِنَ الْغَنَمِ مَعْدُودَةٌ فِي الْبَيَاضِ[٨].

الأماكن التي صلى فيها رسول الله في رحلة الإسراء:

انطلق البراق برسـول الله صـلى الله عليه وسلم في اتجاه بيت المقدس؛ ولكنه تَوَقَّف عدَّة مرات ليصلي الرسول صلى الله عليه وسلم في عدَّة أماكن في طريقه. قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: "فَانْطَلَقَتْ تَهْوِي بِنَا: يَقَعُ حَافِرُهَا حَيْثُ أَدْرَكَ طَرْفُهَا، حَتَّى بَلَغْنَا أَرْضًا ذَاتَ نَخْلٍ فَأَنْزَلَنِي، فَقَالَ: صَلِّ. فَصَلَّيْتُ، ثُمَّ رَكِبْنَا فَقَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ قُلْتُ: اللهُ أَعْلَمُ. قَالَ: صَـلَّيْتَ بِيَثْرِبَ، صَـلَّيْتَ بِطَيْبَةَ. فَانْطَلَقَتْ تَهْوِي بِنَا يَقَعُ حَافِرُهَا حَيْثُ أَدْرَكَ طَرْفُهَا، ثُمَّ بَلَغْنَا أَرْضًـا فَقَالَ: انْزِلْ. فَنَزَلْتُ، ثُمَّ قَالَ: صَـلِّ. فَصَـلَّيْتُ، ثُمَّ رَكِبْنَا، فَقَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَـلَّيْتَ؟ قُلْتُ: اللهُ أَعْلَمُ. قَالَ: صَـلَّيْتَ بِمَدْيَنَ، صَـلَّيْتَ عِنْدَ شَجَرَةِ مُوسَى عليه السـلام. ثُمَّ انْطَلَقَتْ تَهْوِي بِنَا يَقَعُ حَافِرُهَا حَيْثُ أَدْرَكَ طَرْفُهَا، ثُمَّ بَلَغْنَا أَرْضًا بَدَتْ

لَنَا قُصُورٌ، فَقَالَ: انْزِلْ. فَنَزَلْتُ، فَقَالَ: صَلِّ. فَصَلَّيْتُ، ثُمَّ رَكِبْنَا، قَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ قُلْتُ: اللهُ أَعْلَمُ. قَالَ: صَلَّيْتَ بِبَيْتِ لَحْمٍ، حَيْثُ وُلِدَ عِيسَى عليه السلام المسيح ابن مَرْيَمَ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ مِنْ بَابِهَا الْيَمَانِيِّ فَأَتَى قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ فَرَبَطَ بِهِ دَابَّتَهُ"[1].

لقد صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدَّة أماكن شهدت -أو ستشهد- أحداثًا مهمَّة في تاريخ الإنسانية؛ فقد صلَّى في يثرب حيث سيُهاجر بعد قليل، وحيث ستقام الدولة الأولى للإسلام، وصلَّى عند شجرة موسى عليه السلام في مدين، وهي الشجرة التي جاء ذكرها في كتاب الله في قوله تعالى: {فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} [القصص: ٢٤]، وعند هذه الشجرة تلَّقى موسى عليه السلام البشرى بالأمان في رحلة هجرته من مصر إلى مدين، وهو موقف سعيدٌ يشرح صدر مَنْ يسمعه، فكيف بالصلاة عندها! ولنضع في اعتبارنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيهاجر من مكة بعد حوالي ثلاث سنوات من هذه الرحلة، فكأنَّ هذه الزيارة تذكير له بحفظ الله تعالى لأنبيائه وأوليائه، ثم صلَّى ببيت لحم؛ حيث شهدت هذه البقعة معجزة ميلاد عيسى عليه السلام دون أب؛ وذلك إشارة إلى قدرة الله العزيز الحكيم، كما أنه المكان الذي شهد كلام عيسى عليه السلام في المهد؛ ليُنقذ الله بذلك أُمَّه مريم عليها السلام من اتهامات بني إسرائيل الباطلة.

وفي مشهد مؤثِّر مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم -كما جاء في رواية مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه- على قبر موسى عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَتَيْتُ -وَفِي رِوَايَةِ هَدَّابٍ: مَرَرْتُ- عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ"[2].

وحدَّدت رواية للبخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مكان هذا القبر بشكل

---

[1] البيهقي: دلائل النبوة ٢/ ٣٥٥، وقال البيهقي: هذا إسناد صحيح. والطبراني: المعجم الكبير (٧١٥٨)، والبزار: البحر الزخار ٨/ ٤١١.

[2] مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، (٢٣٧٥).

أكبر؛ وذلك عندما نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب موسى عند موته، فقال: "فَسَأَلَ -أي موسى- اللهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ". قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ"[١].

فالقبر على هذا الوصف في أرض سيناء المصرية، في شمالها الشرقي؛ وذلك على حدود الأرض المقدسة فلسطين، وكان موسى عليه السلام يشتاق إلى تنفيذ أمر ربِّه بدخول الأرض المقدسة، إلا أن قومه خذلوه، فكتب اللهُ عليهم التيه في سيناء أربعين سنة كاملة؛ قال تعالى: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [المائدة: ٢٦]، فلما جاء موعد موت موسى عليه السلام طلب من الله أن يُدنيه من الأرض التي يحبُّ، فأجاب الله دعاءه، وهو تذكير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأُمَّته بعاقبة التخاذل عن أمر الله؛ ومن هنا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم التذكير لأُمَّته بأمر الأرض المقدَّسة، وتحقيق ما تخلَّف بنو إسرائيل عن فعله؛ وقد بشَّر أن فتح بيت المقدس سيكون قريبًا، فقد روى عوف بن مالك، قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةِ تبوك وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: "اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ..."[٢]. فأشار إلى أن فتح بيت المقدس سيكون قريبًا من موته صلى الله عليه وسلم؛ فليحْذَر المسلمون أن يُكَرِّروا خطيئة بني إسرائيل.

الوصول إلى بيت المقدس والصلاة بالمسجد الأقصى:

انتهى الرسول صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام إلى بيت المقدس، فأحدث جبريل ثقبًا في الصخرة بإصبعه وربط بها البراق، قال بُرَيْدَةُ رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَمَّا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي انْتَهَيْتُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَخَرَقَ جِبْرِيلُ

---

[١] البخاري: كتاب الجنائز، باب من أحب الدفن ليلاً في الأرض المقدسة أو نحوها، (١٢٧٤)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، (2372)،.

[٢] البخاري: أبواب الجزية والموادعة، باب ما يحذر من الغدر، (3005).

الصَّخْرَةَ بِإِصْبَعِهِ وَشَدَّ بِهَا الْبُرَاقَ"[1].

ثم دخل الرسول صلى الله عليه وسلم المسجد الأقصى- وصلى فيه، وجاء في رواية البيهقي: "ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ مِنْ بَابِهَا الْيَمَانِيِّ فَأَتَى قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ فَرَبَطَ بِهِ دَابَّتَهُ وَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ مِنْ بَابٍ فِيهِ تَمِيلُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، فَصَلَّيْتُ مِنَ الْمَسْجِدِ حَيْثُ شَاءَ اللهُ". وفي رواية مسلم: "فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ". قَالَ: "ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ"[2]. في هذه الرواية الأخيرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلَّى ركعتين؛ ولكنه لم يذكر تفاصيل توحي أنه صلَّى بالأنبياء في هذا التوقيت؛ بل على العكس يُوحي السياق أنه صلَّى منفردًا، وهذا يجعلني أميل مع الرأي القائل أنه صلَّى بالأنبياء عند عودته من العروج إلى السماء كما يرجح الحافظ ابن كثير، وليس قبله، ويُؤَكِّد هذا أنه قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف شكل الأنبياء عندما قابلهم في السموات، فغلب على الظنِّ أنه صلَّى بهم بعد عودته من رحلة السماء.

رسول الله يختار اللبن:

بعد ذلك جاء جبريل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وسلم بقدحين من خمر ولبن، أو لبن وعسل، فاختار اللبن، وكان الخير في ذلك الاختيار. قال أبو هريرة رضي الله عته: "أُتِيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِإِيلِيَاءَ بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ، قَالَ جِبْرِيلُ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ، لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ"[3].

ولنلاحظ هنا أن الخمر لم تكن قد حُرِّمت بعدُ؛ لكنها كانت دومًا شيئًا مذمومًا في

---

[1] الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل (٣١٣٢)، وقال: حديث حسن. وابن حبان (٤٧)، واللفظ له، والحاكم (٣٣٧٠)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي، ٣/ ٢٦٧، والتعليقات الحسان ١/ ١٧٤.

[2] مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات، .(162).

[3] البخاري: كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل الإسراء، (٤٤٣٢)، ومسلم: كتاب الأشربة، باب جواز شرب اللبن، (168).

الجاهلية والإسلام؛ لأنها تُذهب بالعقل، وتخدش المروءة؛ ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشربها أبدًا حتى قبل بعثته الشريفة، ومن هنا كان اختياره للبن أمرًا فطريًّا.

وفي رواية البيهقي تأتي بعض التفاصيل الجديدة؛ حيث قال صلى الله عليه وسلم: "وَأَخَذَنِي مِنَ الْعَطَشِ أَشَدُّ مَا أَخَذَنِي، فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ، وَفِي الآخَرِ عَسَلٌ، أُرْسِلَ إِلَيَّ بِهِمَا جَمِيعًا، فَعَدَلْتُ بَيْنَهُمَا ثُمَّ هَدَانِي اللهُ عز وجل فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُ، حَتَّى قَرَعْتُ بِهِ جَبِينِي، وَبَيْنَ يَدَيَّ شَيْخٌ مُتَّكِئٌ عَلَى مَثْرَاةٍ لَهُ، فَقَالَ: أَخَذَ صَاحِبُكَ الْفِطْرَةَ إِنَّهُ لَيُهْدَى"[1].

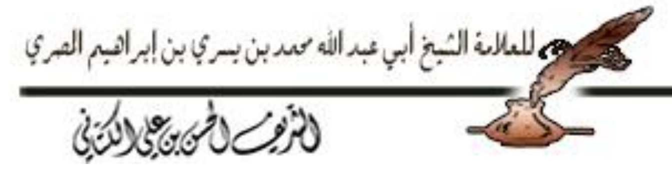
والعسل غذاء عظيم؛ لكنه ليس كاللبن، فالله تعالى اختار للإنسان الذي يأتي إلى هذا العالم الجديد أن يبدأ رحلته على الأرض بشرب اللبن! فأجرى هذا اللبن في ثدي الأم، وحثَّ المسلمين على جعل هذا الغذاء لمدَّة عامين كاملين؛ قال تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ} [البقرة: ٢٣٣]، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ.."[2].

وصار اللبن أحد الأمور التي شرعها الله للحفاظ على هذه الفطرة، هذا بالإضافة إلى أننا قلَّما نجد بيتًا في العالم لا يستعمل اللبن بشكل دائم ومستمرٍّ؛ سواء في صورته الأصلية السائلة أو كأحد منتجاته التي لا تُحصى الآن، هذا بخلاف العسل الذي يُستعمل على نطاق محدود إذا قورن باللبن، وليس فيه الغذاء المتكامل الذي في اللبن، ومن هنا كان اختيار اللبن هو اختيار الفطرة السليمة كما جاءت التعليقات من جبريل عليه السلام، أو ممن قدَّم اللبن لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يخفى علينا أن هذا

---

[1] البيهقي: دلائل النبوة ٢/ ٣٥٥، وقال البيهقي: هذا إسناد صحيح. والطبراني: المعجم الكبير (٧١٥٨)، والبزار: البحر الزخار ٨/ ٤١١.

[2] البخاري: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، (١٣١٩)، ومسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال، .(2658)



كلـه كـان بتوفيق الله وهدايته له، وقد صرَّح بذلك الشـيخ الذي ذُكِر في رواية البيهقي، فقال: "إِنَّهُ لَيُهْدَى".

ثم تبدأ رحلة السماء، وقد جاء في رواية مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ما يُؤَكِّد أن العروج إلى السماء كان في ليلة الإسراء نفسها؛ حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصفًا موقف شرب اللبن وما تبعه: "ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ.."[1].

فهذا سياق يُرَتِّب الأحداث ترتيبًا واضحًا؛ حيث يجعل العروج إلى السماء بعد الخروج من المسجد الأقصى وشرب اللبن.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ " أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ - وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ - قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ - قَالَ - فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِى يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ - قَالَ - ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِى جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ - صلى الله عليه وسلم - اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِى وَدَعَا لِى بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَىِ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِى بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِى إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ - صلى الله عليه وسلم -. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِىَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِى بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قَالَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ

[1] مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات، .(162)

فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ – صلى الله عليه وسلم – فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى – صلى الله عليه وسلم – فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ – صلى الله عليه وسلم –. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ – صلى الله عليه وسلم – مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِى إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلاَلِ – قَالَ – فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِىَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا. فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّى قَدْ بَلَوْتُ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّى فَقُلْتُ يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِى. فَحَطَّ عَنِّى خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّى خَمْسًا. قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. – قَالَ – فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّى تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً – قَالَ – فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى – صلى الله عليه وسلم – فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّى حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ ". صحيح مسلم.

ومعني " وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ": أي هل اذن له بالصعود الى السماء، وليس كما يتوهم بانه بعث اليه بالرسالة.

وقال السيوطي أيضًا: "الحكمة في كون آدم في الأُولى أنه أوَّل الأنبياء وأوَّل الآباء، وهو أصلٌ فكان أوَّلاً في الآباء، ولأجل تأنيس النبوَّة بالأُبُوَّة، وعيسى في الثانية لأنه أقرب

الأنبياء عهدًا من محمد، ويليه يوسف؛ لأنَّ أُمَّة محمد يدخلون الجنَّة على صورته، وإدريس قيل: لأنه أوَّل مَنْ قاتل للدِّينِ فلعلَّ المناسبة فيها الإذن للنبي بالمقاتلة ورفعه بالمعراج؛ لقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٧]، والرابعة من السبع وَسَط معتدل، وهارون لقربه من أخيه موسى، وموسى أرفع منه لفضل كلام الله، وإبراهيم لأنه الأب الأخير، فناسب أن يتجدَّد للنبي بلُقْيَاه أُنْس لتوجُّهه بعده إلى عالم آخر، وأيضًا فمنزلة الخليل تقتضي أن تكون أرفع المنازل، ومنزلة الحبيب أرفع؛ فلذلك ارتفع عنه إلى قاب قوسين أو أدنى".

وقال أيضًا: اقتصر الأنبياء على وصفه بالصالح، وتواردوا عليها؛ لأن الصلاح تشمل خلال الخير؛ ولذا كرَّرها كلٌّ منهم عند كل صفة.

وقد ذكر القرطبي كذلك أن الحكمة في تخصيص موسى بمراجعة النبي في أمر الصلاة، قيل: لأنه أوَّل من تلقَّاه عند الهبوط؛ ولأنَّ أُمَّته أكثر من أُمَّةِ غيره؛ ولأنَّ كِتَابَه أكبر الكتب المنزَّلة قبل القرآن تشريفًا وأحكامًا، أو لكون أُمَّة موسى قد كُلِّفت من الصلوات بما لم تُكَلَّف به غيرُها من الأمم، فثقلت عليهم، فأشفق موسى على أُمَّة محمد، ويُؤَيِّد ذلك ما ذُكِر في الرواية السابقة بقوله: "أنا أعلم بالناس منك". ولعلَّ الحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة الإسراء والمعراج أنه لَمَّا عُرِج به في تلك الليلة تعبَّد الملائكة، وأن منهم القائم فلا يقعد، والراكع فلا يسجد، والساجد فلا يقعد، فجمع الله له ولأُمَّته تلك العبادات كلها؛ يصليها العبد في ركعة واحدة، بشرائطها من الطمأنينة والإخلاص، وفي اختصاص فرضيتها بليلة الإسراء إلى عظيم بيانها؛ ولذلك اختصَّ فرضها بكونه بغير واسطة بل بمراجعات تعدَّدت.

ونضيف إلى ذلك أن الله تعالى أراد أن يُعِدَّ رسوله لمرحلة جديدة من مراحل الدعوة الإسلاميَّة، هذه المرحلة تُشبه المرحلة التي رأى فيها موسى آيات الله تعالى، وهي مرحلة مجابهة فرعون؛ فقد قال الله تعالى عن موسى: ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ آَيَاتِنَا الْكُبْرَى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [طه: ٢٢-٢٣]. فموسى الذي سيقابل فرعون الطاغية قد هُيِّئَ بهذه الرؤية لاحتقار كلِّ القوى الأرضيَّة ما دامت معه قوَّة الله تعالى، والرسول كان مأمورًا بالصبر طيلة الفترة المكية، ثم إنه بعد الهجرة أمر بالمجابهة، وكان الإسراء والمعراج قبل الهجرة بقليل - بعام واحد على أصحِّ الأقوال - فكانت رؤية آيات الله الكبرى تمهيدًا لهذه المرحلة التي سيقف فيها رسول الله بالقلة من أصحابه في وجه الدنيا كلها، فقال

تعـالى في أوائل سـورة النجم عن المعراج: ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم: ١٨].

صلاته صلى الله عليه وسلم بالأنبياء في المسجد الأقصى:

أولاً:

ثبت في السنَّة الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلَّم أمَّ إخوانه الأنبياء في رحلته إلى بيت المقدس .

١. عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : (... وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّى فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَائِمٌ يُصَلِّي أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَائِمٌ يُصَلِّى أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ – يَعْنِي : نَفْسَهُ – فَحَانَتِ الصَّلاَةُ فَأَمَمْتُهُمْ[١] .

٢. عن ابن عباس قال : فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى قَامَ يُصَلِّي فَالْتَفَتَ ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا النَّبِيُّونَ أَجْمَعُونَ يُصَلُّونَ مَعَهُ[٢] .

ثانياً:

اختلف العلماء هل كانت تلك الصلاة قبل عروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء أم بعد أن هبط منها ، والراجح : الأول .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – :

قال عياض : يحتمل أن يكون صلَّى بالأنبياء جميعاً في بيت المقدس ، ثم صعد منهم إلى السماوات مَن ذُكر أنه صلى الله عليه وسلم رآه ، ويحتمل أن تكون صلاته بهم بعد أن هبط من السماء فهبطوا أيضاً ... .والأظهر : أن صلاته بهم ببيت المقدس كان قبل العروج[٣] .

---

[١] رواه مسلم (١٧٢) .

[٢] رواه أحمد (٤ / ١٦٧) وفي إسناده كلام ، لكن يشهد له ما قبله .

[٣] " فتح الباري " (٧ / ٢٠٩) .

ثالثاً:

يجب على المسلم أن يعتقد أن الحياة البرزخية لا تجري عليها سَنن الحياة الدنيوية ، وإذا كانت حياة الشهداء البرزخية عند ربهم كاملة : فإن حياة الأنبياء أكمل ، لذا فعلى المسلم الإيمان بهذه الحياة دون التعرض لكيفيتها وحقيقتها إلا بنصوص من الوحي المطهَّر .

قال تعالى – في حياة الشهداء - : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) آل عمران/ ١٦٩ – ١٧١ .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم : (الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ)[1] .

وفي " عون المعبود " (٣ / ٢٦١) :

" قال ابن حجر المكي : وما أفاده من ثبوت حياة الأنبياء حياة بها يتعبدون ويصلون في قبورهم ، مع استغنائهم عن الطعام والشراب كالملائكة : أمرٌ لا مرية فيه ، وقد صنَّف البيهقي جزءًا في ذلك ....

وورد النص في كتاب الله في حق الشهداء أنهم أحياء يرزقون ، وأن الحياة فيهم متعلقة بالجسد : فكيف بالأنبياء والمرسلين " .

انتهى

قال الشيخ الألباني – رحمه الله - :

ثم اعلم أن الحياة التي أثبتها هذا الحديث للأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما هي حياة برزخية ، ليست من حياة الدنيا في شيء ، ولذلك وجب الإيمان بها دون ضرب الأمثال لها ومحاولة تكييفها وتشبيهها بما هو المعروف عندنا في حياة الدنيا .

---

[1] رواه أبو يعلى في " مسنده " (٣٤٢٥) وصححه محققه .
وصححه الشيخ الألباني في " سلسلة الأحاديث الصحيحة " (٦٢١) .

هذا هو الموقف الذي يجب أن يتخذه المؤمن في هذا الصدد : الإيمان بما جاء في الحديث دون الزيادة عليه بالأقيسة والآراء ، كما يفعل أهل البدع الذين وصل الأمر ببعضهم إلى ادِّعاء أن حياته صلى الله عليه وسلم في قبره حياة حقيقية ! قال : يأكل و يشرب ويجامع نساءه !! وإنما هي حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى .
" السلسلة الصحيحة " (٢ / ١٢٠) .
رابعاً:

هل كان التقاء النبي صلى الله عليه وسلم بإخوانه الأنبياء بأجسادهم مع أرواحهم ، أم بأرواحهم دون أجسادهم ؟ قولان لأهل العلم .
قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – :
وقد استشكل رؤية الأنبياء في السماوات ، مع أن أجسادهم مستقرة في قبورهم بالأرض ، وأجيب : بأن أرواحهم تشكلت بصور أجسادهم ، أو أحضرت أجسادهم لملاقاة النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة تشريفاً له وتكريماً [١] .
والراجح : أنه التقى أرواحهم متشكلة بصور أجسادهم ، باستثناء عيسى عليه السلام ، حيث رُفع بروحه وبدنه ، وثمة خلاف في " إدريس " عليه السلام والراجح أنه ملتحق بباقي إخوانه الأنبياء لا بعيسى عليه السلام .
فالأنبياء عليهم السلام أبدانهم في قبورهم ، وأرواحهم في السماء ، فما قدَّره الله تعالى لهم من اللقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم إنما هو بأرواحهم المتشكلة بصورة أجسادهم الحقيقية ، وهو ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن رجب وآخرون .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :
وأما رؤيته – أي : رؤية موسى عليه السلام – ورؤية غيره من الأنبياء ليلة المعراج في السماء ، لما رأى آدم في السماء الدنيا ، ورأى يحيى وعيسى في السماء الثانية ، ويوسف في الثالثة ، وإدريس في الرابعة ، وهارون في الخامسة ، وموسى في السادسة ، وإبراهيم في السابعة ، أو بالعكس : فهذا رأى أرواحَهم مصوَّرة في صور أبدانهم .

---

[١] " فتح الباري " (٧ / ٢١٠) .

وقد قال بعض الناس : لعله رأى نفس الأجساد المدفونة في القبور ؛ وهذا ليس بشيء .
" مجموع الفتاوى " (٤ / ٣٢٨) .
وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي – رحمه الله – :
والذي رآه في السماء من الأنبياء عليهم السلام : إنما هو أرواحهم ، إلا عيسى ، فإنه رفع بجسده إلى السماء .
" فتح الباري " (٢ / ١١٣) .
وهو ترجيح أبي الوفاء بن عقيل ، كما نقله عنه الحافظ ابن حجر ، والظاهر أنه قول الحافظ نفسه ، وقد ردَّ على بعض شيوخه في تبنيهم للقول الآخر ، حيث قال – رحمه الله – .
اختلف في حال الأنبياء عند لقي النبي صلى الله عليه وسلم إياهم ليلة الإسراء : هل أسري بأجسادهم لملاقاة النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ؟ أو أن أرواحهم مستقرة في الأماكن التي لقيهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأرواحهم مشكَّلة بشكل أجسادهم كما جزم به أبو الوفاء بن عقيل ؟ واختار الأول بعض شيوخنا ، واحتج بما ثبت في مسلم عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (رأيت موسى ليلة أسري بي قائماً يصلِّي في قبره) فدل على أنه أسري به لما مر به .
قلت : وليس ذلك بلازم ، بل يجوز أن يكون لروحه اتصال بجسده في الأرض ، فلذلك يتمكن من الصلاة ، وروحه مستقرة في السماء .
" فتح الباري " (٧ / ٢١٢) .
وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه ليس باستطاعة بدن موسى عليه السلام ولا غيره أن ينتقل من مكان لآخر ، بل هذه حال الروح ، فلذا عندما رأى النبي صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام يصلِّي في قبره ، ثم رآه في بيت المقدس ، ثم في السماء السادسة : فليس ذلك الانتقال إلا لروحه عليه السلام دون بدنه .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :
ومعلوم أن أبدان الأنبياء في القبور ، إلا عيسى وإدريس ، وإذا كان موسى قائماً يصلِّي في قبره ثم رآه في السماء السادسة مع قرب الزمان : فهذا أمر لا يحصل للجسد .
" مجموع الفتاوى " (٥ / ٥٢٦ ، ٥٢٧) .
قال الشيخ صالح آل الشيخ – حفظه الله – :

والأظهر من القولين عندي : أنَّ ذلك كان بالأرواح دون الأجساد ، خلا عيسى عليه السلام ؛ وذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم حين التقى بالأنبياء وصلُّوا معه صلى الله عليه وسلم :

– إما أن يُقال : صَلَّوا معه بأجسادهم ، وقد جُمِعَت أجسادهم له من القبور ، ثم رَجعت إلى القبور وبقيت أرواحُهم في السماء .

– وإما أن يُقال : هي بالأرواح فقط ؛ لأنَّهُ لقيهم في السماء .

ومعلوم أنَّ الرّفع إنما خُصَّ به عيسى عليه السلام إلى السماء رَفْعاً حيّاً ، وكونهم يُرْفَعُون بأجسادهم وأرواحهم إلى السماء دائماً ولا وجود لهم في القبور : هذا لا دليل عليه ، بل يخالف أدلة كثيرة : أنَّ الأنبياء في قبورهم إلى قيام الساعة .

فمعنى كونهم ماتوا ودُفنوا : أنَّ أجسادهم في الأرض ، وهذا هو الأصل .

ومن قال بخلافه قال : هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه بُعِثَتْ له الأنبياء فَصَلَّى بهم ولقيهم في السماء .

وهذه الخصوصية لابدَّ لها من دليل واضح ، وكما ذكرتُ فالدليل التأمُّلي يعارضه .

وعلى كلٍّ : هما قولان لأهل العلم من المتقدمين والمتأخرين .

" شرح العقيدة الطحاوية " (شريط رقم ١٤) .

إخباره صلى الله عليه وسلم بالمعجزة للمشركين:

قال ابن كثير: أن أبا جهل لعنه الله رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الحرام و هو جالس واجم فقال له: هل من خبر؟ فقال نعم فقال: و ما هو؟ فقال: إني أسرى بي الليلة إلى بيت المقدس قال: إلى بيت المقدس؟ قال: نعم قال: أرأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم أتخبرهم بما أخبرتني به؟ قال: نعم فأراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك و أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم ليخبرهم ذلك و يبلغهم فقال أبو جهل: هيا معشر قريش و قد اجتمعوا من أنديتهم فقال أخبر قومك بما أخبرتني به فقص عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى و أنه جاء بيت المقدس هذه الليلة و صلى فيه فمن بين مصفق و بين مصفر تكذيبا له و استبعادا لخبره و طار الخبر بمكة و جاء الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه فأخبروه أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فقال: إنكم تكذبون عليه فقالوا: و الله إنه ليقوله فقال: إن كان قاله فلقد صدق.

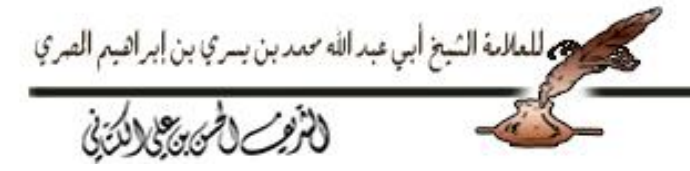
ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و حوله مشركو قريش فسأله عن ذلك فأخبره فاستعلمه عن صفات بيت المقدس ليسمع المشركون و يعلموا صدقه فيما اخبرهم به و في الصحيح: أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال فجعلت أخبرهم عن آياته فالتبس على بعض الشيء فجلى الله لي بيت المقدس حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأنعته لهم فقالوا: أما الصفة فقد أصاب و ذكر ابن إسحاق فأخبرنا عن عير لنا قادم من الشام، فأخبرهم رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، بخبر القافلة التي يتقدمها جمل أورق، كما أخبرهم أنها ستصل يوم كذا مع طلوع الشمس، وعندما خرجوا ينتظرون وصول القافلة مع طلوع الشمس قالوا عندما رأوها: إن هذا سحر مبين.

فأقام الله عليهم الحجة و استنارت لهم المحجة فآمن من آمن على يقين من ربه و كفر من كفر بعد قيام الحجة عليه كما قال الله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠] أي اختبارا لهم و امتحانا. السيرة النبوية لابن كثير.

لماذا كان الإسراء إلي بيت المقدس؟

ونأتي الآن الى محاولة الاجابة على سؤال المقدمة وهو لماذا كان الإسراء إلي بيت المقدس؟ ـ ولم يكن مثلاً إلي المدينة حيث سيهاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويقيم فيها أول مجتمع مسلم في أمته ـ أو إلى الطور حيث كلم الله موسى ، أو إلى السماء مباشرة..

ومهما قلنا عن أماكن غير القدس حدثت فيها أحداث عظام ، أو ارتبطت بها ذكريات تتعلق بالرسالات والنبوات السابقة ـ فإننا نجد أن بيت المقدس يحوز من ذلك الكثير مما يتعلق بالحنيفية منذ أبى الحنفاء إبراهيم الخليل أبى الأنبياء ، والذى ربط فى حياته ما بين المسجدين المعظمين في مكة المكرمة والقدس المباركة بالبناء ، والإعمار والزيارة والصلاة والاستقبال والعبادة ـــ وأصبح هذا الربط على يده معنوياً بالتقديس والزيارة ، ومادياً بوضعه ولده إسماعيل فى مكة ، وبنائهما الكعبة ، وحجه إليها ، ودعائه ربه بإرسال النبى الخاتم فيها ، ـــ حتى يعرف المؤمنون من بعده أن العلاقة أكيدة بين أجيال الحنيفية ـــ وأن القداسة تشمل كل هذه المقدسات التي هى مشاعر ورموز لإيمان الأمة الممتدة من عصره إلى آخر الزمان ـــ وسمى هو أفرادها بالمسلمين: {ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل} ..والآيات التى ذكرت قصة الإسراء تبين هذا التعانق ، وتوجز الأحداث مبينة مراحل من الإيجاب والسلب في التصديق بوحى الله ـــ وأنه واحد ـ وأن



المنحرفين عنه سينالهم من الذل والعنت والعذاب ما يستحقون ـ وجاء القرآن مصدقا لما بين يديه ، كما جاء ليحدد حقيقة الحنيفية ويبث الهدى من جديد مبشراً من يعود إلى طريقه الأقوم ، ومنذراً بالهوان والفشل والعذاب لكل من يفسد الحنيفية ويخرج عن هديها.

ومن هنا وجب ان ننظر بعمق الى هذا الربط العجيب في سرد الآيات الكريمة من أول سورة الإسراء حتى ندرك أن الأمر واحد والوحى واحد فبعد أن نقرأ قوله تعالى:

{سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ـ الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير}..

ثم نجد الآية التى بعدها تنقل الموقف إلى رسالة موسى فتقول:

{وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا}..ثم تحكم الربط بين كل أهل الإيمان الصحيح في عمر كل الرسالات فتقول الآية بعد ذلك:

{ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً}..

فامتد الزمن والتقى أهل الإيمان منذ عصر الطوفان إلى هذه الأمة المختارة.. ثم تبين الآيات بعد ذلك ـــ أن هذا التكريم والاجتباء مرتبط بطاعة الله والإصلاح في الأرض والالتزام بهذه الحنيفية ـ فمن تركها فله الذل في الدنيا والعذاب في الآخرة.

{أن هذا القرأن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً . وأن الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليما}..

وانظر إلى هذا التعانق العجيب ـــ فقد أوتى موسى الكتاب هدى لبنى إسرائيل كحلقة خاصة بعصر معين ـــ اما هذا القرآن فهو هداية دائمة وعامة ، وبشارة لكل المؤمنين لا لبنى إسرائيل أو العرب وحدهم ـ فهو تمام البداية وكمال الدين وختام الأمر.

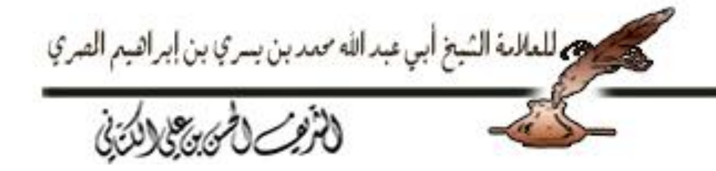
وانظر إلى هذا الرمز العجيب في الربط بين موسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم وبيان لما أعطى كل منهما.

فنبينا صلى الله عليه وسلم له مقام المعاينة والمشاهدة:

{لنريه من آياتنا}..

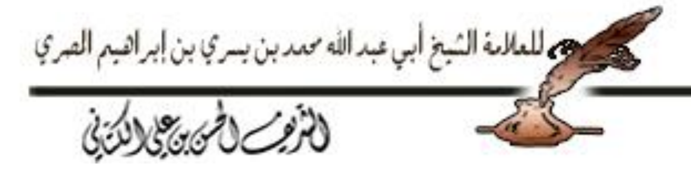
فهو يسمع الوحى ويرى الآيات ليخبرنا ، فنصدقه فيما سمع وفيما رأى ـــ لنكون شهوداً على الأمم السابقة ، ويكون هو شهيداً علينا وعلى المرسلين:

{وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم



شهيدا}..
وموسى عليه السلام مقامه مقام السماع والمكالمة ـ فهو أوتى الكتاب ـ وكلمه الله تكليما:
{يا موسى إنى إصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين}..
وكان هذا جواباً على سؤاله ربه أن يراه ــ فقيل له: حسبك ما أعطيت من الكتاب والمكالمة.
والله سبحانه بين الارتباط بين هذه الأماكن العظيمة وأنها تجمعها خصوصية تميزها عن سواها.
فالمسجد الحرام هو حرم ومبارك وهو أول بيت وضع للناس:
{إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً}..
وانظر معى إلى الربط بين سيدنا إبراهيم ومقامه الذى هو من الآيات البينات.. وهو بيت الله المحرم ، وهو القيام للناس ، وفى الجانب الآخر يذكر الله تعالى أن بيت المقدس هو المسجد الأقصى وأنه سبحانه بارك حوله:
وقد سمي الأقصى- لأنه أبعد المساجد المقدسة إلى الشمال والمسجد الحرام هو أولها بناء ومكانا إلى الجنوب ــ وبينهما المسجد النبوي الشريف وهو المسجد الأوسط وآخرها بناء رمزا لتمام الدين وظهور الأمة الوسط.
وهذه المدن الثلاث مكة والمدينة والقدس قرى مباركة مقدسة ، وهى القرى التى أشار إليها القرآن ، وذكر أنها مباركة فى قصة سبأ فى قوله عنهم وهم أقصى الجنوب:
{وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة}..
أما لماذا أم نبينا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم جميع الأنبياء والمرسلين فى تلك الليلة.
فلأن كل نبى بلغه الله بنبوة سيدنا محمد ورسالته وأنه سيأتى مصدقاً لكل ما مع الأنبياء والمرسلين ــ وأن عليهم أن يؤمنوا به ويبايعوه وينصروه وأخذ عليهم العهد والميثاق بذلك وأن يشهدوا بذلك وهو سبحانه معهم من الشاهدين:
{وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمه ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقرتم وأخذتم على ذلك إصرى قالوا أقررنا قال

فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين} ..
وحتى يتحقق ذلك العهد يقينا ومعاينة لتتم شهادتهم ويتأكد إقرارهم به جمعهم الله سبحانه فى وقت واحد ومكان واحد ليشهدوا ويبايعوا ويقروا باتباعهم له وإيمانهم به ، ويصفوا من خلفه ليتقدمهم أماماً فى الشهادة والحضور ، كما أقروا به فى الغيب ـ وليكون ذلك آية على أن كلمة الله إلى الإنسانية واحدة ، جمعت كل معانيها ومراميها في كتاب مصدق لكل كتاب سبق ، ومهيمن على كل توجيه سلف:
{وأنزلنا إليك الكتاب مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه} ..
وليشهدوا جميعاً بالختم كما شهدوا بالبدء والتدرج والتوالي في عصورهم وعصور من سبقوهم من الأنبياء والمرسلين وهكذا يتم الهدى والنور بدءاً وختاماً.
وقد قالوا إن المعراج كان من فوق تلك الصخرة المباركة التي عليها القبة الشريفة ، وهي غير المسجد الأقصى ، وعلى خطوات منه إلى الشمال ، وقيل إن المعراج هو الذى تعرج عليه أرواح المؤمنين إلى الملأ الأعلى ، وقد وقع المعراج بعد الإسراء وفى ليلته ـ لتتم البيعة فى الأرض وهى مستقر الإستخلاف ـ وفي السماء وهى دار الكرامة والألطاف ..وختاماً فإن الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس تأكيد على وحدة هذين المسجدين المباركين المسجد الحرام والمسجد الأقصى لأنهما أول مسجدين بنيا في الأرض لعبادة الله ، وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي مسجد بني أولاً فقال : المسجد الحرام ، قالوا : ثم ماذا ؟ قال : المسجد الأقصى ، قيل : كم بينهما ، قال : أربعون سنة ، والذي بناهما هو أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وحتى يكون الأمر واضحاً غاية الوضوح ذكر القرآن الكريم المسجد الأقصى في آية الإسراء تنبيهاً إلى هذا الأمر ، رغم أن المسجد الأقصى كان قد تهدم ، ولم يبن إلا في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٢ للهجرة المباركة ، تأكيداً على أن هذا المسجد سوف يبقى ميراثاً للأمة المسلمة ، وقد صلى إليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأمر من الله عز وجل منذ فرضت الصلاة قبل الهجرة بثلاث سنين ، وبعد الهجرة ثمانية عشر شهراً ، ثم استجاب الله تعالى لرغبة نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه قوله : { قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام } .. فهو بذلك القبلة الأولى ، وثالث المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها ، كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى)

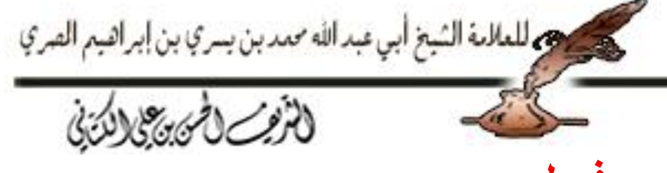


" متفق عليه " .وهذا تأكيد على ارتباط هذه المساجد الثلاثة بعضها ببعض ، وأنها في أمانة هذه الأمة المسلمة التي بعث فيها خاتم الأنبياء ، وسيد ولد آدم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن الاعتداء على أي منها كالاعتداء عليها جميعاً ، وأن إمامة النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء ليلة الإسراء كان في مكان المسجد الأقصى ، وأن الأنبياء كلهم تبع له ، وأنه هو خاتمهم وأفضلهم ، وأن الله تعالى قد جمعهم بقدرته لنبيه صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء ليصلي بهم تأكيداً على ختم نبوته لنبوة جميع الأنبياء والمرسلين ، وأنه هو المتبع إلى يوم القيامة من دونهم ، ولو أن أي نبي بعث لما وسعه إلا أن يتبع النبي محمداً صلى الله عليه وسلم ، وإلى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حين قال : (والذي نفسي بيده لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني) وكذلك عيسى ابن مريم فإنه حين ينزل يصلي مع إمام المسلمين تأدباً مع خاتم الأنبياء ، واتباعاً له عليهم صلاة الله وسلامه اجمعين .

معجزة من معجزات النبي - صلى الله عليه وسلم - حارت فيها بعض العقول:

فزعمت أنها كانت بالروح فقط، أو كانت مناما، لكن الذي عليه جمهور المسلمين من السلف والخلف أنها كانت بالجسد والروح، قال الإمام ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري: إن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة، في اليقظة بجسده وروحه – صلى الله عليه وسلم – وإلى هذا ذهب جمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك، إذ ليس في العقل ما يحيله، حتى يحتاج إلى تأويل.. وكذلك قال النووي – رحمه الله – في شرحه لصحيح مسلم.. ومن الأدلة كذلك على أن الإسراء والمعراج بالجسد والروح استعظام كفار قريش لذلك، فلو كانت المسألة مناما لما استنكرته قريش، ولما كان فيه شيء من الإعجاز.





فصل

عظم أجر الرباط في بيت المقدس

قال المؤلف حفظه الله:

٧_ يعتقد المسـلمون أن الرباط ببيت المقدس وحوله من أعظم الرباط في سـبيل الله! ففي الحديث: «وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ لَا يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ شَطَنِ فَرَسِهِ مِنَ الْأَرْضِ حَيْثُ يَرَى مِنْهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا. أو قال: خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(١).

وعن معاوية، رضي الله عنه، يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ الله، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، قال معاذ بن جبل: وَهُمْ بِالشَّامِ»(٢).

قال أبو محمد:

إن من أفضـل الطاعات، وأجلِّ القربات التي يدفع الله بها عن المسـلمين الشرـور الكثيرة، وتتحقق بها المصالح العظيمة، الرباط في سبيل الله.

---

(١) أخرجه الحاكم (٨٥٥٣)، والطبراني في الأوسط (٦٩٨٣)، والبيهقي في الشعب (٣٨٤٩)، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤١).

والمقصود بالرباط: هو الإقامة في الثغور، وهي الأماكن التي يخاف على أهلها من أعداء الإسلام، والمرابط هو المقيم فيها، المعد نفسه للجهاد في سبيل الله والدفاع عن دينه وإخوانه المسلمين.

قال ابن عطية: "والقول الصحيح هو أن الرباط هو الملازمة في سبيل الله، أصلها من ربط الخيل، ثم سُمي كل ملازم لثغر من ثغور الإسلام مرابطًا، فارسًا كان أو راجلًا"[1].

قال الحافظ في "فتح الباري"[2]: "والرباط هو: ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار وحراسة المسلمين منهم".

وقد وردت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة تبين فضل الرباط في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

قال بعض المفسرين: "المرابطة هنا: مرابطة المجاهدين في نحر العدو، وحفظ ثغور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين"[3].

---

[1] المحرر الوجيز (١/ ٥٦٠).

[2] (٦/ ٨٥).

[3] المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير رحمه الله (ص٢٦٩).

والرباط من أفضل الأعمال، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا"[1].

وروى مسلم في صحيحه (١٩١٣) من حديث سلمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ" .

والميت يختم له على عمله إلا المرابط في سبيل الله، روى الترمذي في سننه من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ، فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيُؤَمَّنُ مِنْ فَتَّانِ الْقَبْرِ" [2].

قال القرطبي: "وفي هذين الحديثين دليل على أن الرباط أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت كما جاء في صحيح مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"، فإن الصدقة الجارية، والعلم المنتفع به، والولد الصالح الذي يدعو لأبويه؛ ينقطع ذلك بنفاد الصدقات، وذهاب العلم، وموت الولد،

---

[1] البخاري (٢٨٩٢)، ومسلم (١٨٨١).

[2] رواه الترمذي (١٦٢١) وقال: حديث حسن صحيح.

والرباط يضاعف أجره إلى يوم القيامة؛ لأنه لا معنى للنماء إلا المضاعفة وهي غير موقوفة على سبب فتنقطع بانقطاعه، بل هي فضل دائم من الله تعالى إلى يوم القيامة، وهذا لأن أعمال البر كلها لا يُتمكن منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منه بحراسة بيضة الدين، وإقامة شعائر الإسلام، وهذا العمل الذي يجري عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الأعمال الصالحة"[1].

والمرابط يؤمن من الفزع الأكبر، روى الإمام أحمد في "مسنده"[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا، وُقِيَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ، وَأُومِنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَغُدِيَ عَلَيْهِ وَرِيحَ بِرِزْقِهِ مِنَ الْجَنَّةِ وَكُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْمُرَابِطِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ".

وعينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله، روى الترمذي في "سننه"[3] من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ".

---

[1] تفسير القرطبي (٥/ ٤٨٩).

[2] رواه أحمد في "مسنده" (١٥/ ١٣٧) برقم ٩٢٤٤، وقال محققوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

[3] رواه الترمذي (١٦٣٩) وقال: حديث ابن عباس حديث حسن غريب، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير برقم (٤١١٣).

وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: هل الأفضل المجاورة بمكة أو بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم؟ أو بمسجد الأقصى؟ أو بثغر من الثغور لأجل الغزو؟

فأجاب رحمه الله: "المرابطة بالثغور أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة كما نص على ذلك أئمة الإسلام عامة، وقال أيضًا: ما أعلم في ذلك خلافًا بين العلماء ، وليست هذه المسألة عند من يعرف دين الإسلام، ولكن لكثرة ظهور البدع في العبادات وفساد في الأعمال صار يخفى مثل هذه المسألة عن كثير من الناس[١]، فالثغور هي البلاد المتاخمة[٢] للعدو من المشركين وأهل الكتاب، التي يخيف العدو أهلها، ويخيف أهلها العدو، والمرابطة بها أفضل من المجاورة بالحرمين باتفاق المسلمين، كيف والمرابطة بها – أي في ثغور المسلمين – فرض على المسلمين، إما على الأعيان، وإما على الكفاية، وأما المجاورة فليست واجبة على المسلمين"[٣].

قال عبد الله بن المبارك للفضيل بن عياض رحمهما الله:

يَا عَابِدَ الحرَمْين لَوْ أَبصْرتَنَا..... لعلمت أنك في العِبَادَةِ تلعبُ

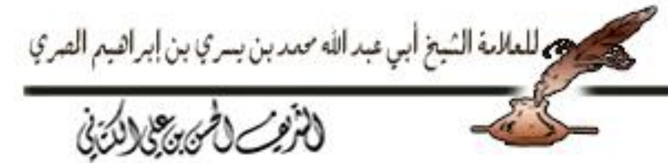
من كان يخضبُ خَدَهُ بدمُوعِهِ.... فَنُحُورُنَا بدمائِنا تتخَضبُ

---

[١] مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧).

[٢] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤١٨).

[٣] مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧).



أو كان يُتعِبُ خَيْلَهُ في بَاطِلٍ...... فخُيولُنَا يومَ الصبيحةِ تتعبُ

ريحُ العبِيرِ لَكُمْ ونَحْنُ عَبيرُنا....رَهج السنابِكِ والغُبارُ الأطيبُ

ولقد أتانا من مقَالِ نبيِّنَا........ قَولٌ صَحيحٌ صَادقٌ لا يَكْذِبُ

لا يَستَوي غُبارُ خَيل الله في...... أَنْفِ امرِئٍ ودُخانُ نارٍ تَلَهَبُ

هذا كِتَابُ الله يَنطِقُ بَيْنَنَا.....لَيْسَ الشَّهِيدُ بمَيِّتٍ لا يَكْذِبُ

فضل الرباط في بلاد الشام عامة وبيت المقدس خاصة:

ومن مظاهر بركة أرض الشـــام: أن المقيم فيها يعتبر مجاهدًا في ســبيل الله ومرابطًا؛ لأن هذه الأرض عُرْضــة للغزو في كـلِّ وقـت لمكـانتهـا وشرفهـا؛ فهي محل أطماع الغزاة والفاتحين، ولـذلـك فهي تحتاج إلى أن يرابط فيها المرابطون، فيكونوا على أهبة الاســتعداد لأيِّ طارئ، ولهذا كان قدر أهل الشام وفلسطين أنهم مرابطون إلى يوم القيامة.

فعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال: قال رســول الله – صــلى الله عليه وســلم –: ((أهل الشام وأزواجهم وذريَّاتهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله، فمن

احتـل منهـا مـدينـة من المـدائن، فهو في ربـاط، ومن احتـل منهـا ثغرًا من الثغور، فهو في جهاد))[1].

والثغور التي يمكن أن تكون منافذ ينطلق منها العدو إلى دار الإسلام يجب أن تُحصَّن تحصينًا منيعًـا؛ حتى لا تكون جـانـبَ ضَـعفٍ يسـتغلـه العـدو ويجعلـه منطلقًا له، ولهذا جعل الله للمرابطين في سـبيله الثواب العظيم، وقد بيَّن رسـول الله - صـلى الله عليه وسـلم - فضـل الرِّباط ومنزلة المرابطين وما أعده الله لهم في أحاديث كثيرة، منها:

ما رواه سـلمان الفارسي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((رباط يوم وليلة خيرٌ من صـيام شـهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأُجري عليه رزقه وأمن الفتَّان))[2].

---

[1] رواه ابن عسـاكر في "تاريخ دمشـق" (١/ ٢٨٢)، وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١٠/ ٦٠)، والهندي في "كنز العمال" (١٢/ ١٢٣) ح (٣٥٠٢٧).

[2] أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرِّباط في سبيل الله - عز وجل، برقم (١٩١٣).

وروى سهل بن سعد – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((رباط يومٍ في سـبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها، وموضـع سـوط أحدكم من الجنة خيرٌ من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خيرٌ من الدنيا وما عليها))[1].

إن (فلسـطين) الآن أرض للرباط بالنسبة لجميع المسلمين، وفي مقدمتهم أهلها، وإن تقرر في الفقه الإسـلامي وجوب الإقامة بالنسـبة للأفراد في دار الإسلام المعتدى عليها وعدم جواز الهجرة، إن كان في ذلك مصـلحة ظاهرة للإسـلام والمسـلمين، فإن من المخاطر التي تنتظر أرض فلسـطين حال الهجرة منها من تهويد معالمها وطمس هويتها الإسـلامية والعربية، ما لم يعد خافياً على أحد، فإذا انضـم إلى ذلك المنافع المتوخاة من رباط أهلنا وثباتهم في أرضـهم برغم كل ما يتعرضون له، ظهر الأمر أكثر.

وما اندحار العدو الصهيوني من (غزة هاشم) مؤخراً إلا نتيجة طبيعية لذلك الثبات والرباط وباعتراف الصـهاينة أنفسـهم، أنه جاء تحت ضغط ممارسة شعبنا لرباطه في أرضه من خلال عناصر مقاومته، وتحت وطأة الخوف من العامل الديمغرافي (السكاني) المتفجر في وجوههم، فهم (الصـهاينة) يعلمون يقيناً أن ثبات أهلنا في فلسـطين ورباطهم هناك، وتزايد أعدادهم،

---

[1] متفق عليـه؛ البخـاري، كتـاب الجهاد، باب الغدوة والروحة في سـبيل الله، برقم (٢٧٩٤)، ولفظه من الطرف رقم (٢٨٩٢)، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله برقم (١٨٨١).

في ظل الهجرة المعاكسة التي يتعرض لها الكيان الصهيوني، وهو الدافع المباشر والأساسي لقيامهم بالاندحار من غزة، لا يعبؤون بمن وراءهم.

((فرباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها))، وفي السنة النبوية أن ابن حوالة رضي الله عنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: ((سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة، جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق، قال ابن حوالة: خِرِ لي يا رسول الله إن أدركت ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: عليك بالشام، فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عبادة، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غدركم، فإن الله توكل لي بالشام وأهله)). أخرجه أبو داود في سننه برقم (٢٤٨٣).

فكيف إذا علمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر عن وجود هجرة كبرى في المستقبل نحو أرض الرباط (فلسطين) لا العكس: ((ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزَمُهم مُهاجَرَ إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم، تقذرهم نفس الله وتحشرهم النار مع القردة والخنازير)). أخرجه أبو داود في سننه برقم (٢٤٨٢).

لم يكن أهلنا في فلسطين ليمتلكوا زمام أمرهم إبان التهجير القسري الذي تعرضوا له خلال حرب عام ١٣٦٨ (١٩٤٨م)، وبعدها في عام ١٣٨٧ (١٩٦٧م)، بل كانوا على خلاف ما أشاع العدو الصهيوني عنهم من تركهم لأرضهم بمحض إرادتهم، أشد ثباتاً واستمساكاً بأرضهم في وجه عدوان عتاة المجرمين من الصهاينة، ولقد سجل التاريخ لنا من المجازر والمذابح التي قام بها الصهاينة واعترفوا بها لاحقًا، ما يؤكد شدة تماسكهم بأرضهم وثباتهم

عليهـا، من دير يـاسـين إلى كفر قاسـم إلى مجزرة قبية إلى خان يونس، حتى مجزرة المسـجد الإبراهيمي الشريف منذ سنوات خلت، ولولا رباط شعبنا وثباته، وفهمه لجوهر دينه وحقيقة الأوامر الشرعية الموجهة تجاهه بخصوص مواجهته مع العدو الصهيوني، بوصفه طليعة الأمة وحصنها الأول - بخلاف ما قام به ثلة من الفقهاء وما أشاعوه من فهم خاطئ- لكنا الآن ندرس في كتب التاريخ عن شعب سكن أرض فلسطين في حقبة من التاريخ، والله وحده يعلم إن كانت مناهجنا سوف تسمح لنا بالتلفظ باسمه بعد موافقة ((السيد)) الأمريكي المطاع.

فصل

القدس للمسلمين ولا تسقط بالتقادم

قال المؤلف حفظه الله:

٨_ يعتقد المسلمون أن الإسلام هو هوية القدس، وأن القدس جزءٌ أصيلٌ من هوية المسلمين، وبانتقاص الأرض المباركة فإن العقيدة والشريعة والتاريخ والمواثيق تأمر باستعادتها عبر جهاد مشروع، بل مفروض!

وقد تقرر في محكمات دين المسلمين أن بلادًا أُسري إليها بنبيهم، صلى الله عليه وسلم، وحكمها المسلمون منذ فتحها الفاروق عمر، رضي الله عنه، هي من بلاد المسلمين، ولو غلب عليها الأعداء الغاصبون مدةً من الزمان.

قال أبو محمد :

من أشراط الساعة فتح بيت المقدس، فقد جاء في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أعدد ستاً بين يدي الساعة)) فذكر منها ((فتح بيت المقدس))[1] .

ففي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تم فتح بيت المقدس سنة ست عشرة من الهجرة كما ذهب إلى ذلك أئمة السير، فقد ذهب عمر رضي الله عنه بنفسه، وصالح أهلها، وفتحها، وطهرها من اليهود والنصارى، وبنى بها مسجداً في قبلة بيت المقدس [2].

روى الإمام أحمد من طريق عبيد بن آدم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب الأحبار: (أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك! فقال عمر: ضاهيت اليهودية، لا ولكن أصلي حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء فبسط رداءه، فكنس الكناسة في ردائه وكنس الناس)[3].

---

[1] رواه البخاري (٣١٧٦).

[2] ((البداية والنهاية)) (٧/ ٥٥-٥٧).

[3] رواه أحمد (١/ ٣٨) (٢٦١). قال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (٧/ ٦٠): إسناده جيد، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٤/ ٩): رواه أحمد وفيه عيسى بن سنان القسملي وثقة ابن حبان وغيره وضعفه أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات، وحسن إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (١/ ١٣٦).

وقد اتجهت أنظار المسلمين إلى فلسطين منذ وقت مبكر ، امتد إلى الأيام الأولى لبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث كان المسجد الأقصى بها موضع قبل المسلمين في الصلاة التي وجبت على المسلمين منذ الأيام الأُوَل ، ثم زاد هذا الاهتمام بعد أن أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إليها ، إذ نزلت في تلك الحادثة آيات تتلى على مسامع المسلمين كل حين ، ثم ازداد هذا الاهتمام بعد أن عرض القرآن الكريم بالتفصيل كثيرا من الأحداث التي وقعت للأنبياء الذين عاشوا أو مروا بها ، واستقر في وجدان المسلمين أنها جزء من العالم الإسلامي بعد مكة مباشرة حتى قبل أن تعرف المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية الأولى.

ولذلك ما إن فرغ النبي صلى الله عليه وسلم أو كاد من فرض سيطرة الإسلام على الجزيرة العربية حتى صرف انتباهه نحوها لتكون المسرح الثاني لنشر الإسلام بعد استقراره بجزيرة العرب ، وخاصة بعد أن انسال الإسلام شرق الأرض ، فأسلم أهل تبالة وجرش وبطون من قضاعة، يقول ابن إسحاق :" ثُمّ قَفَلَ رَسُولُ اللهِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ (أي قادما من حجة الوداع) فَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ بَقِيّةَ ذِي الْحِجّةِ وَالْمُحَرّمَ وَصَفَرَ ، وَضَرَبَ عَلَى النّاسِ بَعْثًا إلَى الشّامِ ، وَأَمّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مَوْلَاهُ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُوطِئَ الْخَيْلَ تُخُومَ الْبَلْقَاءِ وَالدّارُومِ مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ ، فَتَجَهّزَ النّاسُ وَأَوْعَبَ مَعَ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوّلُونَ " وعقد له اللواء آخر يوم من صفر ١١هـ.

ولكن مرض رسول الله ووفاته في ١٢ ربيع الأول أخّر خروج هذا الجيش حتى أمره الخليفة أبو بكر الصديق بذلك، فخرج في أول ربيع الثاني ١١ هـ . بعد أن زوده بنصحه قائلا : "اغز

حيث أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم من ناحية فلسطين، وعلى أهل مؤتة، فإن الله سيكفي ما تركت".

ولكنه لم يتقدم كثيرًا، بل بلغ الموضع الذي قُتِلَ أبوه زيد بن حارثة فيه، وهو من أرض الشام فرجع؛ لأن الرسول أمره في حياته بالمسير إليه

ثم اشتعلت نيران الفتنة من المرتدين فأرجأ الصديق فتح فلسطين حتى أخمدها تماما في خلال عام واحد ، ثم أسرع الجيش الإسلامي بعد انتهائه ليباشر فتح فلسطين ، فقد ذكر أبو جعفر الطبري عن محمد بن إسحاق أن تجهيز أبي بكر الجيوش إلى الشام كان بعد قفوله من الحج سنة اثنتي عشرة ، وأنه حينئذ بعث عمرو بن العاص قبل فلسطين.

وحتى لا يترك للروم فرصة للدفاع عن وجودهم بها فإنه أرسل مجموعة جيوش متفرقة في باقي أنحاء الشام لتشتت على الروم شمل جيوشهم .

فقضى على الرِّدَّة، وأرسى دعائم المِلَّة، ثم انسابَتْ جُيُوشُه الفاتحة صوبَ الشَّام تحقيقًا للبِشَارة، ومات الصِّدّيقُ رضي الله عنه وجيوشُ الإسلام قاب قَوْسَيْن أو أدنى من تحقيق البشارة، وخَلَفه الفاروقُ عُمرُ، وجيوشُ الحق تواصل فتحها؛ حتى بلغت بيت المقدس، فحاصر المُسْلِمُون أهلها، ثم تصالحوا بعد الحصار على أن يقدم الخليفة عمرُ رضي الله عنه من المدينة ليباشرَ الصلح بنفسه؛ لما علموا من سيرته وعدله.

فكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بشرطِ أهل إيلياء، فشاور عمرُ أصحابه في الخروج، ثم انشرح صدرُه إلى القدوم على بيت المقدس، واستخلف عليًّا على المدينة[1]، وسار إلى حيثُ مدينة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكتب إلى أُمَراء الأجناد أن يستخلفوا على أعمالهم ويوافوه بالجابية، وفي رواية أخرى: أنه وافاهم عند بيت المقدس.

فلما بلغ الجابية من أعمال الشام نزل بها، وخطب خطبة بليغة طويلة مشهورة كان منها قوله رضي الله عنه: "أيها الناس، أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم، واعملوا لآخرتكمُ تُكْفَوْا أمر دنياكم، واعلموا أنَّ رجلاً ليس بينه وبين آدم أب، ولا بينه وبين الله هوادة، فمن أراد لَحْبَ وجه الجنة - أي طريقها - فليلزم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد..." إلخ خطبته البليغة[2].

وجاءه رجل من يهود دِمَشْق فقال له: "السلام عليك يا فاروق، أنت صاحبُ إيلياء لا والله لا ترجعُ حتى يفتحَ اللهُ إيلياء"[3].

---

[1] نظر: "الفتوح" لابن أعثم (١/ ٢٢٤ - ٢٢٥)، و"تاريخ الطبري" (٢/ ٤٤٩)، و"البداية والنهاية" (٧/ ٤٥ - ٤٦).

[2] البداية والنهاية" (٧/ ٤٦)، قال الذهبي: "وقدم إلى الجابية - وهي قصبة حوران - فخطب بها خطبة مشهورة متواترة عنه" انظر: "تاريخ الإسلام" (٣/ ١٦٢)، و"معجم البلدان" لياقوت (٢/ ٩١).

[3] "تاريخ الطبري" (٢/ ٤٤٨)، و"المنتظم" (٤/ ١٩٢).

وصالح عمرُ أهل الجابية ثم سار وقادته إلى بيت المقدس، وكان رضي الله عنه في غايةِ التواضع والاستكانة والذِّلَّة للهِ رب العالمين، قال أبو الغادية المزني: "قدم علينا عمرُ الجابية، وهو على جمل أورق، تلوح صلعته للشمس، ليس عليه عمامةٌ ولا قلنسوة، بين عُودَيْن، وطَاؤه فرو كبْش نجدي، وهو فراشه إذا نزل، وحقيبتُه شملةٌ أو نَمِرةٌ محْشوةٌ ليفًا وهي وسادته، عليه قميص قدِ انخرق بعضه، ودَسَم جيبُه"[1].

هكذا نقلوا في وصف مركبه وملبسه، وهيئته وعُدَّتِه، ولو أراد رضي الله عنه للبس الحرير، ومشى على الديباج، وركب أصيلات الخيل. ولو شاء لحمل معه المتاع الكثير، ولأحاطت به المراكب، وحفّت به المواكب؛ ولكنه رضي الله عنه علم قيمة الدنيا فأعطاها مُستحقها، وعلم قدر الآخرة ففرغ قلبه لها، وعمل عملها، وسعى لها سعيها.

وقد حاول أمراءُ الجيش أن يُحسِّنوا من هيئته المتواضعة أمام الأعداء؛ ولكن مَنْ يقدرُ على مَنْ؟ أيقدرون على عمرَ الذي كان كبيرُ الشياطين يخافُه، ويسلكُ فجًّا غير فجّهِ؟!

---

[1] "تاريخ الإسلام" (٣/ ١٦٢)، وانظر: "الفتوح" لابن أعثم (١/ ٢٢٦)، و"البداية والنهاية"، وفيه أطول مما ذكرت، وعزاه لابن أبي الدنيا (٧/ ٤٩).

قال له أبو عبيدة رضي الله عنه: "يا أمير المؤمنين، لو ألقيت عنك هذا الصوف، ولبست البياض من الثياب، لكان أهيبَ لك في قلوب هؤلاء الكفار، فقال عمر رضي الله عنه: "لا أحب أن أُعَوّد نفسي ما لم تعتده، فعليكم معشر المسلمين بالقصد"[1].

وباءت مُحَاولة أبي عبيدة بالفشل فحاول يزيدُ بنُ أبي سفيان رضي الله عنهما فقال: "يا أمير المؤمنين، إنَّا في بلد الخَصْب والدعة، والسعر عندنا بحمد الله رخيص، والخيرُ عندنا كثير من الأموال والدوابّ والعيش الرفيع، وحالُ المسلمين كما تحب، فالبس ثيابًا بيضًا واكسُها الناس، واركب الخيل واحمل الناس عليها؛ فإنه أعظم لك في عيون الكفار، وألْقِ عنك هذا الصوف؛ فإنَّه إذا رآك العدوّ على هذه الحال ازدراك، فقال عمر رضي الله عنه: "يا يزيد ما أُريد أن أتزيَّا للنَّاس بما يَشِينُني عند الله عزَّ وجلَّ ولا أريد أن يعظم أمري عند الناس، ويصغر عند الله عز وجل فلا تراذّني بعدها في شيء من هذا الكلام"[2].

وواصل عمر رضي الله عنه مسيره إلى بيت المقدس على تلك الحال المُتَواضِعَة؛ فعرضت له مخاضة طين فَنَزل عن بعيره، ونزع نَعْلَيْه فأمسكها بيدٍ وخاض الماء ومعه بعيرُه، فقال له أبو عبيدة: "قد صنعت اليوم صُنعًا عظيمًا عند أهلِ الأرض، صنعت كذا وكذا، قال: فصكَّ في

---

[1] "الفتوح" لابن أعثم (١/ ٢٢٦).

[2] "الفتوح" لابن أعثم (١/ ٢٢٧).

صــدره وقـال: أولو غيرك يقولهـا يـا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذلَّ النَّاس، وأحقر النَّاس، وأقلَّ النَّاس، فأعزَّكم الله بالإسلام فَمَهْمَا تَطْلُبوا العزَّ بغيره يذلكم الله"[1].

فلما بلغ بيت المقدس خرجَ إليه بطْرَيْركها صــفرونيوس وكتب عمر رضي الله عنه لهم الأمانَ لأنفســهم وأموالهم وكنائســم وصــلبانهم، ولا ينتقص شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم في مقابل أن يعطوا الجزية للمسلمين[2].

وتَمَّ الفَتْحُ، ودخـل عمر بيت المقدس من الباب الذي دخل منه رســول الله صــلى الله عليه وســلم ليلـة الإسراء، وصَــلَّى فيـه مســتقبلاً القبلة، وجعل يزيح بردائه الأقذار التي رماها النصــارى في قبلتـه. ولمـا رأى المســلمون فعْـلَ عمرَ أخـذوا في تنظيف المســجد من أقذار النصارى[3]، ثم بعد الفتح عاد رضي الله عنه إلى المدينة على ذات الجمل الذي قدم عليه، وعلى نفس الهيئـة التي كـان عليهـا قبـل الفتح؛ لأنَّ اهتمامـه رضي الله عنـه مـا كـان بالشــكليات والمظاهر، وإنما كان بأصول الشيء ومعانيه.

---

[1] قصـة خَوْضِـه رَضِي الله عنه في الطين أخرجها الحاكم بسـياق أطول وصححها، وقال: على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. انظر: "المستدرك" (١/ ٦١ - ٦٢) برقم (٢٠٧).

[2] انظر كتابة الصلح في: "تاريخ الطبري" بأطول مما ذكرت (٢/ ٤٤٩).

[3] "البداية والنهاية" وعزاه ابن كثير للإمام أحمد وللضياء المقدسي، وقال: "وهذا إسناده جيد" (٧/ ٤٨).

ظل بيتُ المقدس عبر تاريخه الطويل حافلاً بالأحداث العظيمة منذ أن سكنه خليلُ الرحمن إلى يومنا هذا، وسيستمر حافلاً بالأحداث الكبرى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ إذ إن الأحداث العظام في آخر الزمان ستكون على أرضه كما صحت بذلك الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

افْتَتَحَ بيتَ المقدس عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه في السنة الخامسة أو السادسة عشرة للهجرة، وظَلَّ تحت حكم المسلمين خمسة قرون؛ حتى استولى عليه الصليبيون في أثناء حكم العبيديين الباطنيين حينما حكموا الشام، ومكث في أيدي الصليبيين قريبًا من تِسْعينَ سنةً، ثُمَّ استردَّه المسلمون في حكم الأيوبيين، وظل في حوزة المسلمين أَكْثَرَ من ثمانية قرون، إلى أن جاء الاحتلال البريطاني الظالم فاستولى عليه وسلّمه لليهود في أواسط القرن الهجري الماضي.

إنَّ الملاحظ أنَّ المسلمين لما فتحوا بيتَ المقدسِ تحت إمرة عمر رضي الله عنه ما استلموا مفاتيحه من اليهود وإنما من النصارى؛ بل اشترط النصارى على عمر رضي الله عنه أن لا يسمح لليهود بدخوله؛ لأَنَّهُمْ قَتَلَةُ المسيح حسب زعم النصارى، فكيف يسكنون بلد المسيح عليه السلام؟! ووافق عمر على هذا الشرط.

حكم الجهاد عندما يحتل العدو أرضا إسلامية:

هذا يسمى جهاد الدفع، فقد اتفق علماء الأمة سلفاً وخلفاً على أن الجهاد يصبح فرض عين على أهل المنطقة التي وقع عليها الاعتداء رجالاً ونساءً وعلى من والاها بقدر ما يدفع به هذا الخطر، وإليك نصوص المذاهب المعتبرة بهذا الخصوص :

اتفقت المذاهب الأربعة على أن جهاد الاحتلال فرض عين على تفاصيل لهم في ذلك سيأتي ذكرها وحكى بعض أهل العلم الاتفاق على ذلك قال المرداوي : (ومن حضر الصف من أهل فرض الجهاد ، أو حضر العدو بلده تعين عليه [الجهاد] بلا نزاع)[1].

بل قال بعض أهل العلم : يتعين الجهاد ولو دخل الكفار أرضا خرابا ومواتا للمسلمين .

وهذه بعض أقوال أهل العلم في هذه المسألة :

بعض أقوال أئمة المالكية :

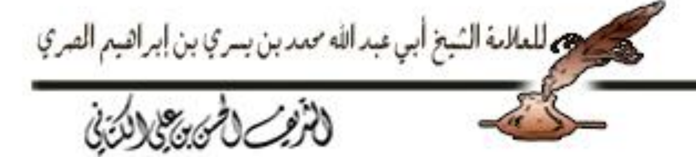
في "مختصر" خليل بن إسحق الجندي : (وتعين بفجء العدو وإن على امرأة وعلى من بقربهم إن عجزوا).

وقال الخرشي: (ذكر هنا أنه قد يتعين على كل أحد ، وإن لم يكن من أهل الجهاد كالمرأة والعبد ونحوهما كما إذا فجأ العدو مدينة قوم ، فإن عجزوا عن الدفع عنهم فإنه يتعين على من بقربهم أن يقاتلوا معهم العدو ما لم يخف من بقربهم معرة العدو ، فإن خاف ذلك بأمارة ظاهرة فليلزموا مكانهم)[2].

---

[1] في "الإنصاف" (٤/ ١١٧).

[2] شرح الخرشي على خليل (٣/ ١١١).



وقـال المواق: (وتعين بفجئ العـدو) ... قال أبو عمر(بن عبد البر النمري) : يتعين على كل أحد إن حل العدو بدار الإســلام محاربا لهم فيخرج إليه أهل تلك الدار خفافا وثقالا شـبانا وشـيوخـا ، ولا يتخلف أحـد يقـدر على الخروج من مقـاتل أو مكثر ، وإن عجز أهل تلك البلاد عن القيـام بعـدوهم كـان على من جاورهم أن يخرجوا على حسـب ما لزم أهل تلك البلدة . وكذلك من علم أيضـا بضـعفهم وأمكنه غياثهم لزمه أيضـا الخروج ، فالمسـلمون كلهم يد على من سـواهم.(وعلى قربهم إن عجزوا) قال ابن بشـير : إذا نزل قوم من العدو بـأحد من المسـلمين وكانت فيهم قوة على مدافعتهم فإنه يتعين عليهم المدافعة ، فإن عجزوا تعين على من قرب منهم نصرتهم . وتقدم نص المازري : إذا عصى الأقرب وجب على الأبعد .١(.

بعض أقوال أئمة الحنفية :

قـال عبـد الرحمن شـيخي زاده: (فـإن هجم) أي : غلـب (العدو) أي : على بلد من بلاد الإسلام ، أو ناحية من نواحيها ... (ففرض عين)٢.

وقال: (قال في الذخيرة : إذا جاء النفير إنما يصـير فرض عين على من يقرب من العدو وهم يقـدرون على الجهـاد فـأمـا من وراءهم ببعـد من العـدو ، فـإن كان الذين هم بقرب العدو

---

١ "التاج والإكليل" (٤/ ٥٣٩).

٢ "مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر" (١/ ٦٣٣).

عاجزين عن مقاومة العدو أو قادرين إلا أنهم لا يجاهدون لكسل بهم أو تهاون افترض على من يليهم فرض عين ، ثم من يليهم كذلك حتى يفترض على هذا التدريج على المسلمين كلهم شرقا وغربا)[1].

وقال ابن نجيم : (والمراد هجومه [أي العدو] على بلدة معينة من بلاد المسلمين فيجب على جميع أهل تلك البلدة وكذا من يقرب منهم إن لم يكن بأهلها كفاية وكذا من يقرب ممن يقرب إن لم يكن ممن يقرب كفاية أو تكاسلوا وعصوا وهكذا إلى أن يجب على جميع أهل الإسلام شرقا وغربا)[2].

بعض أقوال أئمة الشافعية :

قال زكريا الأنصاري : (و) يتعين عليهم (بدخول الكفار فإن دخل الكفار بلاد المسلمين تعين) عليهم ؛ لأن دخولهم لها خطب عظيم لا سبيل إلى إهماله ... فلو دخلوا بلدة لنا تعين على أهلها من المكلفين)[3].

وقال أيضا: (ولا يجوز انتظارهم مع قدرة الحاضرين) على القتال ، عبارة الأصل : وليس لأهل البلدة ثم الأقربين فالأقربين إذا قدروا على القتال أن يلبثوا إلى لحوق الآخرين. (و)

[1] "مجمع الأنهر" (١/ ٦٣٣)

[2] "البحر الرائق" (١/ ٧٩).

[3] "أسنى المطالب" لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (٤/ ١٧٨).

حتى (على الأبعدين) عن البلدة بأن يكونوا بمسافة القصر ـ (عند الحاجة) إليهم في القتال بأن لم يكن في أهلها والذين يلونهم كفاية بخلاف ما إذا كان فيهم كفاية لا يجب على الأبعدين ؛ لأنه يؤدي إلى الإيجاب على جميع الأمة ، وفي ذلك حرج بغير حاجة فيصير الجهاد فرض عين في حق من قرب وفرض كفاية في حق من بعد)[1].

وقال : (ولو نزلوا) أي الكفار (على خراب) أو موات ولو بعيدا عن الأوطان (من حدود) دار (الإسلام تعين دفعهم) كما لو دخلوا بلاد الإسلام .)[2].

وقال ابن حجر الهيتمي : (الثاني) من حالي الكفار (يدخلون) أي : دخولهم عمران الإسلام أو خرابه أو جباله كما أفهمه التقسيم ، ثم في ذلك يفصل بين القريب مما دخلوه والبعيد منه . فإن دخلوا (بلدة لنا) أو صار بينهم وبينها دون مسافة القصر كان خطبا عظيما ؛ (فيلزم أهلها) عينا (الدفع) لهم (بالممكن) من أي شيء أطاقوه ، ثم في ذلك تفصيل : (فإن أمكن تأهب لقتال) بأن لم يهجموا بغتة (وجب الممكن) في دفعهم على كل منهم)[3].

وقال ابن حجر الهيتمي كذلك: "كتاب الجهاد (الكبيرة التسعون بعد الثلاثمائة : ترك الجهاد عند تعينه بأن دخل الحربيون دار الإسلام أو أخذوا مسلما وأمكن تخليصه منهم ، وترك

---

[1] "أسنى المطالب" أيضا (٤/ ١٧٨).

[2] "أسنى المطالب" أيضا (٤/ ١٧٨).

[3] "تحفة المحتاج" (٩/ ٢٣٥) لابن حجر ونحوه في "نهاية المحتاج" (٨/ ٥٩-٦٠) للرملي

الناس الجهاد من أصله ، وترك أهل الإقليم تحصين ثغورهم بحيث يخاف عليها من استيلاء الكفار بسبب ترك ذلك التحصين)"[1] .

بعض أقوال أئمة الحنابلة :

قال البهوتي : ((أو) حصر ـ (بلده عدو أو احتاج إليه بعيد) في الجهاد (أو تقابل الزحفان) المسلمون والكفار (أو استنفره من له استنفاره ، ولا عذر تعين عليه) أي : صار الجهاد فرض عين عليه)[2].

وقال أبو محمد بن قدامة المقدسي: (واجب على الناس إذا جاء العدو ، أن ينفروا ؛ المقل منهم ، والمكثر ... ومعناه أن النفير يعم جميع الناس ، ممن كان من أهل القتال ، حين الحاجة إلى نفيرهم ؛ لمجيء العدو إليهم . ولا يجوز لأحد التخلف ، إلا من يحتاج إلى تخلفه لحفظ المكان والأهل والمال ، ومن يمنعه الأمير من الخروج ، أو من لا قدرة له على الخروج أو القتال)[3].

وقال أبو العباس بن تيمية : (فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعه واجبا على المقصودين كلهم ، وعلى غير المقصودين ، لإعانتهم ...وسواء أكان الرجل من المرتزقة

---

[1] "الزواجر عن اقتراف الكبائر" لابن حجر الهيتمي (٢/ ٢٦٩).

[2] في "كشاف القناع" (٣/ ٣٧).

[3] في "المغني" لابن قدامة (٩/ ١٧٤).

للقتال أو لم يكن ، وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله ، مع القلة والكثرة ، والمشيـ والركوب ، كما كان المسلمون ، لما قصدهم العدو عام الخندق ولم يأذن الله في تركه أحدا كما أذن في ترك الجهاد ابتداء لطلب العدو ، الذي قسمهم فيه إلى قاعد وخارج ... فهذا دفع عن الدين والحرمة والأنفس ، وهو قتال اضطرار ، وذلك قتال اختيار ؛ للزيادة في الدين وإعلائه ولإرهاب العدو)[1].

وقال كذلك : (إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة ، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم ، ونصوص أحمد صريحة بهذا وهو خير مما في المختصرات . لكن هل يجب على جميع أهل المكان النفير إذا نفر إليه الكفاية كلام أحمد فيه مختلف)[2].

وهكذا الأمر عند جميع الفقهاء بدون استثناء .

حكم جهاد الاحتلال عند الزيدية والإباضية والإمامية :

أولا : في المذهب الزيدي:

---

[1] في "السياسة الشرعية" لابن تيمية (ص ١٧١).

[2] في "الفتاوى الكبرى" لابن تيمية (٥/ ٥٣٩).

قال العنسي: (الجهاد فرض (كفاية) إذا قام به البعض سقط عن الباقين إلا أن يقصد الكفار أو البغاة ديارنا ففرض عين ما لم يكف البعض في دفعهم فكفاية)[1].

ثانيا : في المذهب الإباضي :

قال اطفيش: (وليس للإمام جبر الرعية على الغزو أو الرباط وإنما ذلك على من ألزم نفسه الشراء إلا إن جاءهم عدو لزم كلا الجهاد ودفع العدو عن البلد وأهله. وإن خرج خارجة وكان القاعدون إن لم يخرجوا مع الإمام غلبت الخارجة فإنه يلزم القاعدين أن يخرجوا ، وإن أوجب على أحد شيئا جاز للإمام إجباره عليه ، وقد يجب كالدفاع لمن جاء من العدو فيجبر كل من لا يستغنى عنه)[2].

وقال اطفيش أيضا: (ذكروا أنه إن جاء المسلمين عدو لا يطيقونه تحيزوا إلى البصرة وإن جاء من يغلبهم تحيزوا إلى الكوفة . وإن جاء من يغلبهم تحيزوا إلى الشام ، فإن جاء من يغلبهم تحيزوا إلى المدينة ، فإن جاء من يغلبهم فليس ثم تحيز وصار الجهاد فريضة بعد أن كان حوطة وتطوعا)[3].

---

[1] في "التاج المذهب" (٤/ ٤١٥).

[2] في "شرح النيل" (١٤/ ٣٦١).

[3] في "شرح النيل"(١٤/ ٤٨٦).

ثالثا : في المذهب الإمامي :

قال العاملي: (وإنما يجب الجهاد (بشرط الإمام العادل ، أو نائبه) ... (أو هجوم عدو) على المسلمين (يخشى منه على بيضة الإسلام) وهي أصله ومجتمعه فيجب حينئذ بغير إذن الإمام أو نائبه ...ولو خيف على بعض المسلمين وجب عليه ، فإن عجز وجب على من يليه مساعدته ، فإن عجز الجميع وجب على من بعد ، ويتأكد على الأقرب فالأقرب كفاية)[١].

وقال الحلي: (وفرضه على الكفاية بشرط : وجود الإمام ، أو من نصبه للجهاد . ولا يتعين ، إلا أن يعينه الإمام ، لإفضاء المصلحة ، أو لقصور القائمين عن الدفع إلا بالاجتماع ، أو يعينه على نفسه بنذر وشبهه .وقد تجب المحاربة على وجه الدفع ، كأن يكون بين أهل الحرب ، ويغشاهم عدو يخشى منه على نفسه ، فيساعدهم دفعا عن نفسه)[٢].

وقد استدل فقهاء المسلمين على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع والعقل :

أما الكتاب :

فالآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى : (انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) (سورة التوبة / الآية ٣٩-٤١).

---

[١] في "الروضة البهية" (٢/ ٣٨١).

[٢] في "شرائع الإسلام" (١/ ٢٧٨).

والأمر حقيقة في الوجوب ـ في الراجح ـ ويؤكد هذا الوجوب هنا الآية السابقة عليها : (إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ)، (سورة التوبة / الآية ٣٩)، وذلك لأن العذاب الأليم لا يكون إلاّ على ترك الواجبات ، أو فعل المحرمات .

يقول ابن العربي : (والصحيح أنها غير منسوخة ، وقد تكون حالة يجب فيها نفير الكل إذا تعين الجهاد على الأعيان بغلبة العدو على قطر من الأقطار ، أو بحلوله بالعقر ؛ فيجب على كافة الخلق الجهاد والخروج إليه ؛ فإن قصروا عصوا ..... وإذا كان النفير عاما لغلبة العدو على الحوزة ، أو استيلائه على الأسارى كان النفير عاما ، ووجب الخروج خفافاً وثقالاً ، وركباناً ورجالاً ، عبيداً وأحراراً.. حتى يظهر دين الله ، وتحمى البيضة ، وتحفظ الحوزة ، ويخزى العدو ، ويستنقذ الأسرى . ، ولا خلاف في هذا)[١].

ولو ألقينا نظرة على واقع الرعيل الأول لوجدناهم قد فهموا الآية على هذا المعنى وأنهم تسارعوا إلى الجهاد عند إعلان النفير وتهديد الكفار بلاد الإسلام ، بل إنهم تسابقوا إليه حتى في حالة فرض الكفاية وجهاد الطلب ، قال أبو طلحة : (ما سمع الله عذر أحد ، وخرج إلى الشام فجاهد حتى مات) ، وقال أبو أيوب : ما أجدني أبداً ثقيلاً أو خفيفاً) وروى أن بعض الناس رأى في غزوات الشام رجلا قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر فقال له: يا عم إن الله قد عذرك، فقال: يا أبن أخي قد أمرنا بالنفر خفافاً وثقالاً) وأسند الطبري عمن رأى

[١] "أحكام القرآن" لابن العربي ط. دار المعرفة (٢/ ٩٥٤ – ٩٥٥ ، ويراجع : تفسير الماوردي (٢/ ١٤٠).

المقداد بن الأسـود بحمص وهو على تابوت صراف ، وقد فضـل على التابوت من سـمنه ، وهو يتجهز للغزو ، فقـال لـه : لقد عزرك الله ، فقال : (أتت علينا سـورة البعوث (انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً)، [1] وخرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه. فقيل له: إنك عليـك فقـال: اسـتنفر الله الخفيف والثقيـل فإن لم يمكني الحرب كثرت سـواد المسـلمين وحفظت المتاع)[2].

ومنها قوله تعالى : (وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ).

يقول ابن العربي : (فإن الولاية معهم ــ أي مع الأسراء والمستضعفين ـ قائمة ، والنصرة لهم واجبـة بـالبـدن بألا تبقى منا عين تطرف ، حتى نخرج إلى اسـتنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلـك، أو نبـذل جميع أموالنـا في اسـتخراجهم، حتى لا يبقى لأحدنا درهم، كذا قال مالك وجميع العلماء. فإنا لله وإنا إليه راجعون، على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال، وفضول الأحوال، والقدرة والعدد، والقوة والجلد)[3].

---

[1] تفسير ابن عطية (٦/ ٥٠٢- ٥٠٣).

[2] "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي (٨/ ١٥٠).

[3] سورة الأنفال / الآية ٧٢ ، وراجع تفسير ابن عطية (٦/ ٣٩٠).

وقوله تعالى : (وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) سورة التوبة / الآية ٣٦... قال القاضي ابن العربي : (كافة يعني محيطين بهم من كل جانب وحالة).[1]

وقوله تعالى : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِّ)، سورة الأنفال / الآية ٤٠).

وقد فسره ابن عمر بالشرك فقال : (إنما كان محمد يقاتل المشركين وكان الدخول في دينهم فتنة)[2] وكذلك فسره ابن عباس والسدي ، وقد ذكر الطبري ما يدل على أن هذه الآية تذكير بما قام به المشركون من افتتان الصحابة بكل الوسائل حينما كانوا في مكة مستضعفين ، فأمرهم الله تعالى بقتالهم حتى لا تحدث فتنة أخرى)[3] ، من هنا فحينما يستولي الأعداء على الديار الإسلامية يكون أهلها مهددين في دينهم وأعراضهم فيجب القتال لحماية الدين والنفس والعرض والمال[4].

وأما السنة :

---

[1] الجامع لأحكام القرآن ١٥٠٨.

[2] "أحكام القرآن" لابن العربي (٢/ ٨٥٤).

[3] يراجع : تفسير الطبري في تفسير هذه الآية ، وتفسير ابن عطية (٦/ ٣٠١) وتفسير القرطبي (٢/ ٣).

[4] يراجع : د. عبدالله عزام ، كتابه القيم : الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان ص ١٥ .

فالأحاديث في ذلك كثيرة منها الحديث المتفق عليه الذي رواه الشيخان ، وأصحاب السنن ، وأحمد وغيرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا)[١]، وقد ترجم البخاري باب وجوب النفير فأورد فيه الآيتين (٣٨ ، ٤١) من سورة التوبة ، وهذا الحديث .

وذكر الحافظ في شرحه أن الجهاد يصبح فرض عين إذا طرق ديار المسلمين طارق من الأعداء ، ثم رد من قال بأن آية : (انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً) منسوخة بآية (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَافَّةً) فقال : (والتحقيق أن لا نسخ بل الرجوع في الآيتين إلى تعيين الإمام ، وإلى الحاجة إلى ذلك)[٢] ومعنى ذلك أن النفير العام إنما يجب ، وبالتالي يصبح فرض عين على القادرين إذا قام إمام المسلمين بالاستنفار ـــ كما في غزوة العسرة ـــ أو هاجم الأعداء ديار المسلمين .

وأما الإجماع :

فقد أجمع علماء الأمة على وجوب الجهاد على كل من قدر عليه من المسلمين ، إذا غلب أعداء الإسلام على ديار المسلمين ، وقد أوردنا نصوصهم في ذلك آنفاً .

---

[١] رواه البخاري ـ مع الفتح ـ كتاب الجهاد الحديث (٢٧٨١) ومسلم ، كتاب الإمارة الحديث (١٣٥٣).

[٢] "فتح الباري شرح صحيح البخاري" (٦/ ٣٧).

وأما العقل فإنه يقتضي حماية الأنفس والأعراض والأموال ، والدين والعقل — مما سماه الفقهاء والأصوليون بالضروريات الخمس ، وعند غلبة الأعداء تراق الدماء ، وتهان النفوس ، وتؤخذ الأموال ، إلى غير ذلك من المفاسد والمضار ، ولا توجد في الدنيا دولة تقف مكتوفة الأيدي ، ما دامت قادرة أمام اعتداء أعدائها على أراضيها ، وعلى كرامتها ، بل نرى بعض الدولى الكبرى تقوم بغزو دولة أخرى حينما تعتدي على بعض أفرادها ، والإسلام دين الفطرة ، وقد وضع ميزان العدالة ، وقرر بأن من : (اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) سورة البقرة / الآية ١٩٤.

ولكنه ليس مثل الجاهليين بأن يأخذ بدل الواحد اثنين بل يفرض مبدأ العدالة في أدق الظروف وأخطرها ، وهي حالة الحرب ، فقال تعالى : (وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) سورة المائدة / الآية ٨ وقال : (وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) سورة المائدة / الآية ٢.

ثم إن الإسلام إن الإسلام أوجب دفع الصائل ـ وإن كان مسلماً ـ على العرض ، أو المال ، أو النفس حتى ولو أدى إلى قتله لقوله صلى الله عليه وسلم : (من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد)، فكيف إذا هاجم العدو الكافر على ديار المسلمين ، بل ذكر علماء الأصول ضمن المصالح الكلية المعتبرة بالاتفاق : أن الكفار المهاجمين إذا تترسوا بأسرى المسلمين — أي

جعلوهم أمامهم ــ ولم يمكن قتال إلاّ بقتال هؤلاء المسلمين يجب قتالهم حتى ولو أدى قتل هؤلاء[1].

يقول ابن تيمية : (بل لو كان فيهم ــ أي الكفار ـ قوم صالحون من خيار الناس ، ولم يمكن قتالهم إلاّ بقتل هؤلاء لقتلوا أيضاً ، فإن الأئمة متفقون على أن الكفار لو تترسوا بمسلمين ، وخيف على المسلمين إذا لم يقاتلوا فإنه يجوز أن نرميهم ، ونقصد الكفار ...)[2].

وذلك لأننا لم إذا لم نقاتل هؤلاء وأولاء فإنهم يغلبون علينا ، فيقتلوننا ، أو يذلوننا ، كما أذلوهم ، ويفتنون ديننا ، فحماية المصلحة العامة للأمة أولى من حماية مصالح بعضهم .

فصل

في أنه لا حق لليهود في أرض فلسطين

قال المؤلف حفظه الله:

٩- يعتقد المسلمون أنه لا حق لليهود المحاربين المغتصبين في فلسطين عامةً، ولا في القدس خاصةً، ولا في الأقصى ـ مطلقًا، فهي أرض نزلها الكنعانيون العرب وعاش عليها الشعب الفلسطيني من قبل ومن بعد، وعلى مدار قرون متعاقبة من حكم الإسلام لبيت المقدس

---

[1] انظر : "المنخول" ، تحقيق د. هيتو ص ٣٦٤ و"الغاية القصوى" للبيضاوي (١/ ١٨٤).

[2] "مجموع الفتاوى" (٢٨/ ٥٣٧).

عاش يهود مع نصارى مع مسلمين، فلم يُظلم أحد أو يتعد على حرمته، فلما اغتصبه المعتدون عاثوا فيه فسادًا، فصار قتال المغتصبين حقًا تثبته الشريعة الإلهية والمواثيق الدولية.

قال أبو محمد:

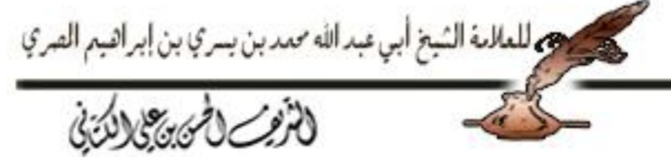
حاصل كلامه في هذا الفصل هو أن فلسطين أرض إسلامية، دخلت ضمن دار الإسلام، وكل ما فتحه المسلمون فلا يجوز أن يعود دار كفر. بل يجب على المسلمين الجهاد ليستنقذوا كل أرض احتلها الكفار من المسلمين.

فكيف إذا كانت هذه الأرض جزءا من بلاد الشام؟ فكيف إذا كانت بيت المقدس والمسجد الأقصى؟

وقد تقدمت معنا نصوص العلماء في وجوب الجهاد، إذا احتل شبر من بلاد المسلمين في فصل سابق، غير أن المؤلف، حفظه الله، تطرق لمسألة أخرى قصد بها الرد على شبه اليهود بأن لهم حقا في فلسطين لأنهم كانوا قديما يسكنونها، ثم طردوا منها وشتتوا في العالم.

وقد احتجوا على ذلك بأدلة شرعية مستمدة من الكتب المقدسة، وأدلة تاريخية.

أما الأدلة الشرعية فقد أشبعناها ردا من كتبنا وكتبهم بما لا يدع مقالا لقائل. وأما الأدلة التاريخية فهي التي أشار إليها المؤلف، حفظه الله، وهي أن الكنعانيين كانوا سكان فلسطين قبل قدوم الإسرائيليين إليها.



وقبل تحقيق هذه المسألة، أحب أن أؤكد على أننا، معشر المسلمين، لا يهمنا من سكن هذه الأرض قبل الإسرائيليين، لأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

قال الله تعالى: (قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)، الأعراف: ١٢٨.

فأرض فلسطين كان سكانها مشركين، ففتحها المسلمون من أتباع أنبياء بني إسرائيل وسكنوا فيها وأقاموا دولا، ثم تنازعوا واختلفوا وعطلوا شريعة ربهم، فأرسل الله إليهم الأنبياء، عليهم السلام، مبشرين ومنذرين، فعن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: ((كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون))[1].

وقد أخبر الله في آيات القرآن أخبارا صريحة في أن اليهود قتلوا الأنبياء بغير حق ولم يذكر سبحانه ولو في آية واحدة قرينة أو إشارة تدل على صرف هذه الأخبار عما دلت عليه من قتل اليهود أنبياءهم حقيقة إلى إيذائهم أو إلى مجرد محاولات؛ لذلك قال الله تعالى: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [البقرة: ٦١] وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ

[1] رواه البخاري (٣٤٥٥) ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة.

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [آل عمران: ٢١] وقال: {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا} [آل عمران: ١١٢] وقال تعالى: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ} [النساء: ١٥٥] الآيات.

وهذه النصوص الصريحة في قتل بني إسرائيل لأنبيائهم ورسلهم تؤيدها نصوص في أسفارهم المقدسة. فمن ذلك:

ما جاء في سفر نحميا ٩: ٢٦ «وَعَصَوْا وَتَمَرَّدُوا عَلَيْكَ، وَطَرَحُوا شَرِيعَتَكَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ الَّذِينَ أَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ لِيَرُدُّوهُمْ إِلَيْكَ، وَعَمِلُوا إِهَانَةً عَظِيمَةً».

وفي رسالة بولس إلى أهل رومية ١١: ٣ يقول:« أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ فِي إِيلِيَّا؟ كَيْفَ يَتَوَسَّلُ إِلَى اللهِ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: يَا رَبُّ، قَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ وَهَدَمُوا مَذَابِحَكَ، وَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي!».

وفي سفر الملوك الأول ١٩/ ١٠ فَقَالَ: «قَدْ غِرْتُ غَيْرَةً لِلرَّبِّ إِلهِ الْجُنُودِ، لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ تَرَكُوا عَهْدَكَ، وَنَقَضُوا مَذَابِحَكَ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِالسَّيْفِ، فَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لِيَأْخُذُوهَا».

وكان الملك منسي- بن حزقيا شر ملوك إسرائيل. وهو الذي قتل إشعياء، عليه السلام، نشراً بمنشار خشبي لتوبيخه إياه. وكان إشعياء يزيد عن التسعين عاماً. إلا أن منسي قد تاب في أواخر أيامه.

وقال المسيح عيسى بن مريم، عليهما السلام، كما في إنجيل لوقا ١١ :-

٤٧. الويل لكم، فإنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم.

٤٨. فأنتم إذن تشهدون موافقين على أعمال آبائكم: فهم قتلوا الأنبياء، وأنتم تبنون قبورهم.

٤٩. لهذا السبب أيضا قالت حكمة الله: سأرسل إليهم أنبياء ورسلا، فيقتلون منهم ويضطهدون،

٥٠. حتى إن دماء جميع الأنبياء المسفوكة منذ تأسيس العالم، يطالب بها هذا الجيل،

٥١. من دم هابيل إلى دم زكريا الذي قتل بين المذبح والقدس!

٥٢. يوحنا، وهو يحيى بن زكريا، عليهما السلام، قتله هيرودس البنطي.

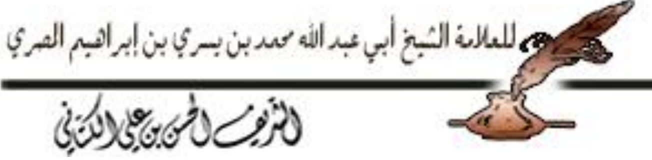
وقد ثبت في أسفارهم المقدسة لديهم أنهم قد كفروا بالله وارتدوا وعبدوا آلهة وأوثاناً أخرى، وقد أوضحنا ذلك أثناء سردنا لتاريخهم.

لذلك حلَّ بهم العذاب والبلاء والغضب من الله، وهو ثابت أيضاً في أسفارهم حيث يقول نبيهم أرميا، عليه السلام: (لماذا بادت الأرض واحترقت كبرية بلا عابر ؟! فقال الرب: على

تركهم شريعتي التي جعلتها أمامهم، ولم يسمعوا لصوتي ولم يسلكوا بها، بل سلكوا وراء عناد قلوبهم ووراء البعليم التي علمهم إياها آباؤهم، لذلك قال رب الجنود إله إسرائيل: ها أنا ذا أطعم هذا الشعب أفْسِنْتينا، وأسقيهم ماء العلقم، وأبددهم في أمم لم يعرفوها هم ولا آباؤهم، وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم). وقال: (هكذا قال الرب: إن كنت لم أجعل عهدي مع النهار والليل فرائض السماوات والأرض، فإني أرفض نسل يعقوب وداود عبدي).

بل قد ورد التصريح في أسفارهم المقدسة لديهم بحرمانهم من بيت المقدس بسبب كفرهم وضلالهم وعصيانهم، فقال أشعيا: (فكان إليَّ كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم، إن الساكنين في هذه الخرب في أرض إسرائيل يتكلمون قائلين: إن إبراهيم كان واحداً وقد ورث الأرض ونحن كثيرون، لنا أعطيت الأرض ميراثاً، لذلك قل لهم: هكذا قال السيد الرب تأكلون بالدم وترفعون أعينكم إلى أصنامكم وتسفكون الدم، أفترثون الأرض !! وقفتم على سيفكم فعلتم الرجس، وكل منكم نجَّس امرأة صاحبه، أفترثون الأرض !!).

فمتى نقض اليهود عهد الله فإنه عزَّ وجلَّ لا ينفذ عهده ووعده لهم، بل ينفذ وعيده وعذابه، فالأرض لله يورثها من أقام دينه واتبع تعاليمه، لا من يفسد في الأرض ويعيث فساداً، قال الله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].



وقال تعالى: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ [الأنبياء: ١٠٥]. وقال تعالى: وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون [النور: ٥٥].

وقال تعالى: الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُور [الحج: ٤١].

والمسلمون هم المراد بهذه الآيات الكريمة إذا صدقوا ما عاهدوا الله عليه ورجعوا إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ، وتمسكوا بالإسلام كاملاً أفراداً وأُسراً، ومجتمعات ودولاً[١].

وقد كان في فلسطين قبل استيلاء بني إسرائيل عليها ثلاث قبائل وهم:

الفينيقيون: وسكنوها حوالى سنة (٣٠٠٠) ق. م، واستوطنوا المنطقة الشمالية منها على البحر الأبيض المتوسط.

[١] موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة لمحمود عبد الرحمن قدح –ص ٢٧١ فما بعدها

الكنعانيون: نزلوا جنوب الفينيقيين، وشغلوا المنطقة الوسطى من فلسطين سنة (٢٥٠٠) ق. م. وهذه كانت من القبائل العربية المهاجرة من شبه الجزيرة العربية، ثم جاءت جماعات من جزيرة إقريطش حوالي عام (١٢٠٠) ق. م، وكانت تسمى فلستين، ونزلت بين يافا وغزَّة على البحر الأبيض المتوسط.

وسمَّى الكنعانيون هؤلاء القوم فلسطين، وغلبت التسمية على المنطقة كلها، فأَصبحت تدعى فلسطين. وحسب ما أورده اليهود في كتابهم، وما كُتب في تاريخ المنطقة، فإن هذه الشعوب استمرَّت في المنطقة، وكان بينها وبين بني إسرائيل حروب عديدة، استمرت طوال فترة وجود بني إسرائيل في تلك المنطقة.

فمن الناحية التاريخية، يتبيَّن لنا أن بني إسرائيل ال\ين ينتحلهم اليهود ليسوا أول من سكن فلسطين، بل دخلوها أو بعضها واستولوا على أجزاء منها بعد أن كانت في يد هؤلاء القوم.

أما من الناحية الدينية، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ [المائدة: ٢١]. فقوله تعالى: كَتَبَ اللهُ لَكُمْ قال ابن اسحاق: (التي وهب الله

لكم). وقال السدي: (التي أمركم الله بها). وقال قتادة: (أمر القوم بها كما أمرنا بالصلاة والزكاة والحج والعمرة)[1].

إذاً قوله تعالى: كَتَبَ اللهُ لَكُمْ. ليس هو تمليكا على رأي بعض العلماء، وعلى الرأي الآخر هو تمليك لهم بشرط أن يدخلوها. وعلى رأي البعض: هي هبة لهم. فهذا يبيِّن معنى كَتَبَ اللهُ لَكُمْ، ومع هذا فليس فيه دليلٌ على أن لهم الحق في فلسطين، وذلك لأن الله ينعم على عباده المؤمنين في حال الإيمان بنعم كثيرة، وهي لهم في حال الإيمان، أما في حال الكفر فلا حق لهم بها، وبنو إسرائيل حين أمرهم الله بالدخول نكلوا، فمنعهم منها، وحين استجابوا وأطاعوا منحها الله لهم؛ لهذا قال ابن كثير في الآية: (التي وعدكموها الله على لسان أبيكم إسرائيل، إنه وراثة من آمن منكم)[2]. فعليه فهي لهم في حال إيمانهم، أما في حال كفرهم فليس لهم فيها حق.

يدل على هذا قول الله جلَّ وعلا: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ [إبراهيم: ١٣].

وقال: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ[الأنبياء:١٠٥].

[1] ((تفسير ابن جرير)) (٦/ ١٧٣)، و ((فتح القدير)) للشوكاني (٢/ ٢٩).

[2] ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٣٦).

وبما أن اليهود كفروا بالله وبأنبيائه، وسجل الله عليهم غضبه ولعنته، فليس لهم حق في الأرض المقدسة، بل هي من حق عباده المؤمنين، كما قال تعالى: أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَالِحُونَ [الأنبياء:١٠٥].[1]

فصل

في أن فلسطين وقف إسلامي

قال المؤلف حفظه الله:

١٠ – فلسطين وبيت المقدس أرض إسلامية، لا يملك أحد كائنًا من كان أن يتنازل عن شبر منها، ومن فعل فقد خان أمانته، وصنيعه هذا باطل مردود، يبوء بخزيه في الدنيا والآخرة، ولا يلزم الأمة في قليل ولا كثير، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

قال أبو محمد:

الوقف في الأصل: التحبيس والتسبيل. أو: الحبس عن التصرف.

وهو شرعاً: حبس العين على حكم ملك الواقف، والتصدق بالمنفعة على جهة الخير.

[1] دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية لسعود بن عبد العزيز الخلف – ص ٦٥

أو حبس مالٍ يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه على مصرفٍ مباحٍ يُصرَفُ ريعه على جهة برٍّ وخير؛ تقرباً إلى الله.

فالوقف إذن بالجملة: حبس لمال أو عقار على منفعة عامة ابتغاء وجه الله لا يباع ولا يشترى ولا يهدى ولا يورث.

واعلم، رحمك الله، أنه بعد أن منَّ الله على المسلمين بفتح فلسطين وتخليصها من الروم (البيزنطيين) على أيدي بعض القادة العظام أمثال أبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص[1]، ظهرت مسألة ملكيتها، إذ كانت الأرض في فلسطين قبل الفتح الإسلامي موزعة بين أراضٍ عامة تابعة للمدينة والقرى، وأراض إمبراطورية، وأراض تعود ملكيتها للأشراف والكنيسة وأراض أخرى يملكها ملاكون أحرار[2]. أما وقد أزيل سلطان الروم فقد انتهت جميع أنواع هذه الملكية الموجودة في فلسطين، ومن هنا ظهرت مشكلة ملكية الأرض المفتوحة في فلسطين، وكانت الأرض التي تُجبى في الخلافة الإسلامية أربعة أنواع وهي: أرض الصلح وأرض الموات، وأرض الصوافي، وأرض العنوة (أرض الخراج).

أولاً: أرض فتحت صلحاً (أرض المدن):

---

[1] انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص١٤٤– ١٤٨. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٣٣– ١٣٤. الطبري، تاريخ، ج٢، ص٤٤٦– ٤٤٨. قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص٢٩٩.

[2] دينت، الجزية والإسلام، ص٩٦– ٩٨. بطاينة، فتح فلسطين، ص٤٠.

وهي الأرض التي فتحت صلحاً، أي صالح أهلها المسلمين على أن تبقى ملكيتها لأهلها يتصرفون فيها كما يريدون، مقابل دفعهم الجزية للمسلمين، وهي ضريبة على الرؤوس وليست على الأرض يدفعها أهل الذمة، مقابل أمنهم وحقن دمهم وحماية أموالهم[1].

لذا كان أهل تلك المدن الفلسطينية يدفعون الجزية مثل غيرهم من أهل مدائن الشام، وهو ما ورد في كتاب صلح مدينة لد "وعلى أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل مدائن الشام"[2].

وهذا النوع في الشام لم يكن إلا في المدن[3]، فقد فتحت جميع مدن فلسطين صلحاً باستثناء قيسارية التي فتحت عنوة[4]، وكانت الاتفاقيات التي كتبت لهذه المدن واحدة، فكانت على كتاب مدينة لُدّ - التي تعتبر من أوائل المدن الفلسطينية التي فتحها عمرو بن العاص - الذي جاء فيه "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين

---

[1] أبو يوسف، الخراج، ص٦٩ . أبو يعلي، الأحكام السلطانية، ص ١٦٣ .

[2] الطبري، تاريخ، ج٢، ص٤٤٦.

[3] أبو عبيد، الأموال، ص٢٨. ياسين، تطور الأوضاع الاقتصادية، ص١٧٧ - ١٧٨.

[4] الطبري، تاريخ، ج٢، ص٤٤٩. البلاذري، فتوح، ص١٦٢ - ١٦٣.

أهـل لُـدّ ومن دخـل معهم من أهـل فلسـطين أجمعين، أعطـاهم أماناً لأنفسـهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم ...".

وهو نفس الأمـان الـذي ورد في العهـدة العمريـة التي أعطيـت لأهل بيت المقدس حيـث جـاء في مطلعها "بسـم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسـهم وأموالهم، ولكنائسـهم وصـلبانهم، وسقيمها وبريئهـا وسـائر ملتهـا.." وهو نفس الأمـان الذي كان قد أعطى لباقي المدن الفلسـطينية، ويتضـمن جميعها الأمان لأهل هذه المدن، أماناً على أنفسـهم وأموالهم وكنائسـهم. مع العلم أن هـذا الأمان كان قاصراً فقط على المدن أي الحصـون وهي قليلة بالنسـبة لباقي الأراضي والتي أخذت عنوة حيث اعتبرت الشام كلها أرض عنوة[1].

ثانياً : أرض الصوافي :

وهي الأرض التي جلا عنها أصحابها سواء أكان هرباً من الحرب أو قتل أثناء الفتح، فـاعتبرت وغيرهـا من الأراضي التي كـانـت معـدودة أملاكـا إمبراطورية أراضي صـوافي للمسـلمين، لأن الخليفة اسـتصفاها، أي جعلها خالصة لبيت المال، وسميت أيضاً بالقطائع

---

[1] البلاذري، فتوح، ص١٣١ . قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٩٥. البلاذري، فتوح، ص١٢٣. ابن عسـاكر، تهذيب تاريخ دمشق، ج١، ص١٨٠.

لأنها اقتطعت فيما بعد لمن يتعهدونها[1]، وكان يؤخذ العشر من الأرض التي تقطع، ولذلك سميت بأرض العشر، وكان النظر في أرض الصوافي إلى الإمام إن شاء أقام فيها من يعمرها ويؤدي إلى بيت مال المسلمين عنها شيئاً، وإن شاء أنفق عليها من بيت مال المسلمين، واستأجر من يقوم فيها، ويكون فضلها للمسلمين، وإن شاء أقطعها رجلاً له غناء في الإسلام، وإن شاء صّير عليها عشراً أو عشرين أو صيرها خراجاً".

ويعتبر القاضي أبو يوسف الصوافي "بمنزلة المال الذي لم يكن لأحد ولا في يد وارث فللإمام العادل أن يجيز منه ويعطي من كان له غناء في الإسلام، ويضع ذلك موضعاً ولا يحابى به"[2].

والحقيقة أن أرض الصوافي في الشام كانت محدودة وكان عمر بن الخطاب قد أمر بوقفها على الفاتحين[3].

---

[1] الريس، الخراج في الدولة الإسلامية، ص ١٣٩-١٤٠ .

[2] أبو يوسف، الخراج، ص٥٧- ٥٨ . ابن آدم، الخراج، ص١٤ .

[3] أبو عبيد، الأموال، ص٢٨٣، ص١٠٣ .

ولما جاء عثمان بن عفان أقطع بعض الصــوافي لمعاوية بن أبي ســفيان وكتب له بذلك كتاباً، وعندما آلت الخلافة إلى معاوية فقد جعلها خالصة لنفسه باعتباره خليفة (أي أنها تتبع بيت المال) واقطع بعضها لأهل بيته وخاصته[1].

ثالثاً: أرض الموات :

وهي الأرض التي تـدفع الزكـاة عن غلاتها وهي التي تملكّها المســلمون عن طريق إحياء الأرض الموات بإعمارها، لقول رســول الله صـلى الله عليه وسلم: (من أحيا مواتاً فهي له)[2].

وقد تعرضــت المصــادر التاريخية لذكر أراضي موات أحياها العرب في فلســطين، ولكنها ليست بالكثيرة، وهذه الأراضي كانت في عداد الأراضي العشرية، ومن هذه الأراضي التي تعرضت لها المصادر إقطاعات للجند في مناطق عكا وعسقلان من فلسطين[3].

رابعاً : أرض أخذت عنوة :(أرض الخراج) :

---

[1] اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٣٤.

[2] رواه الإمام أحمد (١٤٢٢٦)، وأبو داود (٣٠٧٣). وفي رواية الصـحيح: (من عمّر أرضًـا ليسـت لأحد، فهو أحق بها)، رواه البخاري (٢٣٣٥).

[3] البلاذري، فتوح، ص١٤٨،١٢٤- ١٥٠.

وهي تختلف عن أرض المدن في معاملتها وحكمها من قبل المسلمين، فقد ذكر البلاذري عن أبي عبيد القاسم بن سلام أن أهل بيت المقدس أعطوا المسلمين شيئاً يؤدونه عما أحاط به حصنهم وتركوا ما كان خارج حصنهم للمسلمين[1].

وهذا يوضح أن المعاملة كانت مختلفة بين المدن التي تركت لأهلها بموجب اتفاق الصلح، وبين الأراضي الريفية، التي صارت ملكاً للمسلمين بعد أن أخذت عنوة، أي بالحرب.

وهذا ما ذكره القاضي أبو يوسف عندما تحدث عن مصر والشام فقال: "وإنما كان الصلح من ذلك في أهل الحصون فأما البلدان فحازوها وظهروا عليها عنوة"[2]، وكذلك ما رواه الطبري عن محمد بن سيرين أن "البلدان كلها أخذت عنوة إلا حصونا قليلة ، عاهدوا قبل أن يُنزلوا"[3]. وهو ما أكده أبو عبيد القاسم بن سلام عندما قال: "كل مدن الشام كانت صلحاً دون أرضها"[4]. أي أنها أخذت عنوة أي بالحرب.

---

[1] البلاذري، فتوح، ص١٤٤– ١٤٥.

[2] أبو يوسف، الخراج، ص٦٩.

[3] – الطبري، تاريخ، ج٢ ، ، ص٤٣٧.

[4] ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق ، ح١ ، ص١٥٨. وانظر: أبو يوسف، الخراج، ص٨٤-٨٥ .

وبما أن فلسطين تعتبر إحدى أقاليم الشام المفتوحة فالحديث يسري عليها، وهي بموجب ذلك غنيمة توزع بين الفاتحين لقوله تعالى: "واعلموا إنّما غنمتم من شيء فأَنَّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل"، (سورة الأنفال آية (٤١)). أما الباقي فيقسم بين الجند مثلما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعديد من الأراضي.

وقد جاء أن طائفة من الذين شاركوا بالفتح سألوا أن تقسم الأرض بين الفاتحين وطرحت المسألة بين يدي عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فشاور فيها وانقسم أهل الرأي من الصحابة بين مؤيد لقسمتها وبين معارض لجعلها وقفا على المسلمين كافة.

وكان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، على رأس الفريق المعارض للقسمة، بل إنه صاحب الفكرة والداعي والمطبق لها.

فقد ذكر القاضي أبو يوسف أن عمر "شاورهم في قسمة الأرضين التي أفاء الله على المسلمين من أرض العراق والشام فتكلم قوم فيها وأرادوا أن يقسم لهم حقوقهم وما فتحوا، فقال عمر رضي الله عنه فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الأرض بعلوجها قد اقتسمت وورثت عن الآباء وحيزت، ما هذا برأي. فقال له عبد الرحمن بن عوف: "ما الأرض والعلوج إلا مما أفاء الله عليهم. فقال عمر: ما هو إلا كما تقول ولست أرى ذلك، والله لا

يفتح بعدي بلد فيكون فيه كبير نيل- أي مكاسب كثيرة أو فائدة كبيرة- بل عسى أن يكون كلاً على "المسلمين "[1].

وقد ألح الداعون لتقسيم الأراضي بين الجنود على عمر وقالوا : "أتقف ما أفاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا، ولأبناء القوم ولأبناء أبنائهم ولم يحضروا؟"، فكان عمر لا يزيد على أن يقول: هذا رأي، قالوا: فاستشر. قال: فاستشار المهاجرين الأولين، فاختلفوا فأما عبد الرحمن بن عوف فكان رأيه أن تقسم لهم حقوقهم، وكان رأي عثمان وعلي وطلحة وابن عمر على رأي عمر.

فأرسل إلى عشرة من الأنصار خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج من كبرائهم وأشرافهم، فلما اجتمعوا حمد الله وأثنى عليه ثم قال: "إني لم أزعجكم إلا لأن تشتركوا في أمانتي فيما حملت من أموركم، فإني واحد كأحدكم، وأنتم اليوم تقرون بالحق... فوالله لئن كنت نطقت بأمر أريده ما أريد به إلا الحق". قالوا: قل نسمع يا أمير المؤمنين. قال: "قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أني أظلمهم حقوقهم. وإني أعوذ بالله أن اركب ظلماً.. ولكن رأيت أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى... وقد رأيت أن أحبس الأرضين

[1] أبو يوسف، الخراج، ص٢٤- ٢٥.

بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئاً للمسلمين"... فقالوا جميعاً: الرأي رأيك، فنعم ما قلت وما رأيت"[1].

وكذلك أراد أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وجماعة من المسلمين من عمر بن الخطاب أن يقسم الشام كما قسم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خيبر، وكان أشد الناس علماً في ذلك الزبير بن العوام وبلال بن رباح.

فقال عمر : " إذن أترك مَنْ بعدكم من المسلمين لا شيء لهم". ثم قال: "اللهم اكفني بلالاً وأصحابه"[2].

واستطاع اتخاذ القرار باعتبار الأرض وقفاً على الأمة كلها وقرر بقاءها بيد أهلها الأصليين على أن يدفعوا مقابل ذلك ما قرر عليها من خراج[3].

ويظهر هذا واضحاً من قول عمر لأهل المدينة : "أرأيتم هذه الثغور لا بد لها من رجال يلزمونها، أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والبصرة ومصر، لابد لها من أن

---

[1] أبو يوسف، الخراج، ص٢٥.

[2] أبو يوسف، الخراج ص٢٦. وانظر ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج١، ص٢٣٣.

[3] أبو يوسف، الخراج، ص٢٣- ٢٧. أبو عبيد، الأموال، ص٧٢- ٧٤. الخولاني، تاريخ داريا ص٩٦. الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٤. الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٨٦.

تشـحن بـالجيوش، وإدرار العطـاء عليهم، فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسـمت الأرضـين والعلوج"[1].

وقال أيضـاً "ولكني أحبسه فيما يجري عليهم وعلى المسلمين"[2]. وكان من رأيه أيضاً أنه "إذا قسّمت أرض العراق بعلوجها وأرض الشـام بعلوجها فما تسد به الثغور وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أهل الشام والعراق؟"[3].

وهكذا يبدو واضـحاً من أقوال عمر أن الخلافة وقفت ضـد فكرة تقسـيم الأرض المفتوحـة، والعمـل على توجيه الفاتحين نحو الفتح، إذ أنه في تقسـيم الأرض يعني توزعهم عليها واستقرارهم فيها مما سيؤثر في فكرة توجيههم للجهاد.

ويؤيد القاضي أبو يوسـف سياسـة عمر، رضي الله عنه، فيقول: "والذي رأى عمر، رضي الله عنه، من الامتناع من قسـمة الأرضـين بين من افتتحها، عند ما عرّفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك، توفيق من الله له فيما صـنع، وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين، وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسـمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم، لأن هذا لو لم يكن موقوفاً على الناس في الأعطيات والأرزاق لم تشـحن الثغور، ولم تُقو الجيوش على السـير في الجهاد،

---

[1] أبو يوسف، الخراج ص٢٥- ٢٦.

[2] أبو عبيد، الأموال، ص٧٣. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج١، ص١٨٣.

[3] أبو يوسف، الخراج، ص٢٥.

ولما أمن رجوع أهل الكفر إلى مدنهم إذا خلت من المقاتلة والمرتزقة، والله أعلم بالخير حيث كان"[1].

والجدير بالذكر أن الحوار الذي دار بين عمر وبعض الصحابة حول تقسيم الأرض إنما يدل على شدة حرصه على مصالح المسلمين ووحدتهم وإشعارهم بمدى المسؤولية الجماعية وهذا ينطبق استتباعاً على أرض فلسطين ومسؤولية جماعة المسلمين عنها وليس أفراد بعينهم ، وأن رفضه تقسيم الأرض فيه إنصاف لهم ولإخوانهم الذين يأتون من بعدهم.

فقد رُوي عن عمر، رضي الله عنه، أنه قال: "لولا أن أترك آخر الناس ليس لهم شئ ما فتحت علي قرية إلا قسمتها كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر، ولكني أتركها خزانة لهم يقتسمونها"[2].

وقال معاذ بن جبل، رضي الله عنه، لعمر، رضي الله عنه: "إنك إن قسمتها صار الريع العظيم في أيدي القوم، ثم يبدون فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة، ثم يأتي من

---

[1] أبو يوسف، الخراج، ص٢٧.

[2] ابن آدم، الخراج، ص١١.

بعدهم قوم يسدون من الإسلام مسداً، وهم لا يجدون شيئاً، فانظر أمراً يسع أولهم وأخرهم"[1].

وهكذا أراد الخليفة أن تكون البلاد المفتوحة مورداً مالياً ثابتاً وملكاً عاماً للمسلمين على أساس أن يكون ناتج الأرض لبيت المال الذي تكفل في الإنفاق على جيش الدولة بدلاً من قسمة الأرض نفسها، ووقف بجانبه بعض الصحابة كعلي بن أبي طالب، عثمان بن عفان، طلحة بن عبيد الله، ومعاذ بن جبل[2].

وقد استدل عمر، رضي الله عنه، على رأيه بآيات الفيء الواردة في سورة الحشر ابتداءً من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الحشر: ٦].. إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ ، (الحشر: ١٠).

---

[1] أبو عبيد، الأموال، ص٧٥.

[2] أبو يوسف، الخراج، ص٣٥ . أبو عبيد، الأموال، ص٧٥ . قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص٢٠٦. الخولاني، تاريخ داريا، ص٩٦. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج١، ص٢٣٣، ٢٤٠.

وهداه تفكيره وفهمه لهذه الآيات إلى أنها استوعبت المسلمين في عصره ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة . وأن لهم جميعاً حقا في هذه الأرض لذلك رأى أن يمتنع عن تقسيمها وجعلها وقفاً بيد أصحابها ، وضرب عليها الخراج ليكون فيئاً دائماً للمسلمين .

ونجد أيضاً أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في عدم قسمته للأرض المفتوحة بين الفاتحين إنما اقتفى أثر الرسول، صلى الله عليه وسلم، في معاملته لدومة الجندل . فعن محمد بن سيرين أنه قال : " إنما عمل عمر والمسلمون في هذا الجزاء والذمة على إجرّيا ما عمل به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ذلك ، وقد كان بعث خالد بن الوليد من تبوك إلى دومة الجندل فأخذها عنوة ، وأخذ ملكها أكيدر بن عبد الملك أسيراً فدعاه إلى الذمة والجزاء وقد أخذت بلاده عنوة وأُخذ أسيراً "[1] .

ويبدو أن عمر بن الخطاب أراد بوقفه للأرض على الأمة الإسلامية إلى يوم القيامة الحفاظ على وحدتها وهويتها الإسلامية وإبراز المسئولية الجماعية للأمة في الحفاظ على الأرض وتحصينها من أن تكون عرضة للمساومة الفردية وتنازل الفرد عنها للغير ، وهو عمل من شأنه أن يجعل الهوية الإسلامية للأمة والأرض سواء بسواء لذا أراد عمر بتحويله الأرض المفتوحة عنوة إلى أراض وقفية إظهار وحدة الأمة من خلال تمسكها بالأرض وإرجاع تلك المسئولية عن الأرض لجماعة المسلمين بأكملها دون وضع هذه المسئولية بيد

[1] أبو يوسف، الخراج، ص٢٦،٢٧. ابن آدم ، الخراج، ص٤٣. أبو عبيد، الأموال، ص٧٦-٧٧. قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص٢٠٧.

فرد أو جيل يمكن لهم استغلال هذه المسئولية فيما بعد والتلاعب بها وبالتالي التلاعب بمصير الأمة بأجمعها، وطمس هويتها وذلك من باب مسئوليته وأحقيته بالتصرف بتلك الأرض ، فلو أن فرداً أو جيلاً تقاعس وفرط بالأرض فيذهب بوزره ، ولكن الأمة الإسلامية بمجموعها لن تستطيع أن تجتمع على ضلالة فتفرط بهذا الأمر بل ستدافع عن أرض الجهاد والرباط بكل ما تستطيع ولن تبخل عليها بدم أو جهد أضف إلى ذلك أن عمر بقراره لم يكن قراراً فردياً إنما جاء هذا القرار نتيجة للنقاش والحوار والحِجَّاج الذي جرى بين الصحابة في عصره ، وهذا بمثابة قانون أقره الخليفة عمر وصحابته الكرام وأخذ به الخلفاء الراشدون من بعده والأمويون والعباسيون في إدارة هذه الأراضي ولذلك فان المرجعية في الإبقاء على أرض العنوة أرضاً خراجية ووقفاً على المسلمين هو الحكم الذي اتخذ أيام عمر بن الخطاب واقر من قبل الخلفاء من بعده طوال العهد الإسلامي .

وبالتالي فإن فلسطين شملت بالقرار تبعا لذلك ، فالقرار متعلق بأرض العنوة بعامة وفلسطين جزء منها ، فتكون داخلة في ما دخلت فيه أرض العنوة ، ولا توجد رواية تستثنيها ، فيكون ما اتخذ بحق الأرض العنوة يشمل أرض فلسطين أيضاً ويبدو هذا واضحاً من خلال المقادير الخراجية التي كانت فلسطين تدفعها لبيت مال المسلمين في عهد كل خليفة طيلة العهد الإسلامي.

وبما أن أرض فلسطين داخلة في الأرض التي فتحت عنوة فتكون داخلة بالقرار الذي اتخذه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصحابته ضمناً أي أصبحت أرض خراجية وقفاً على الأمة الإسلامية .

هذا وقد ذكرت ضريبة الخراج في عهود أكثر المدن الفلسطينية والمقصود بالخراج هنا هي الضريبة التي فرضت على الأرض الواقعة خارج المدن والتي تم الاتفاق بخصوصها على أن تدفع الخراج وهذا بموافقة أهالي المدن والذي سبق أن أشرنا إليه سابقاً ، فورد عن عمرو بن العاص أنه أعطى الأمان لغزة ثم سبسطية ثم نابلس بعد فتحها على " أن يؤدوا الجزية على رقابهم والخراج على أرضهم"[1]، ثم فتح مدينة اللد وأرضها ، ثم فتح يبنى وعمواس وبيت جبرين وفتح يافا ورفح على مثل ذلك، وأن أهل بيت المقدس طلبوا الصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام من أداء الجزية والخراج[2].

وهكذا فقد تقرر أن يترك أهل فلسطين بأرضهم يدفعون الخراج عنهم إذ جُعلت أرض فلسطين وقفاً على الأمة الإسلامية إلى يوم القيامة[3].

---

[1] الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص٤٣٧.

[2] البلاذري : فتوح البلدان ، ص١٤٤ . قدامة الخراج وصناعة الكتابة ، ص٢٩٩-٣٠٠. خماش : الشام في صدر الإسلام ، ص٢٩٣.

[3] أبو عبيد ، الأموال ، ص٧٥، ١٤٤ . البلاذري : فتوح البلدان ص١٤٤-١٤٩ . قدامة ، الخراج وصناعة الكتابة ص٢٩٩-٣٠٠. ابن رجب، الاستخراج في أحكام الخراج ، ص٤١-٤٢.

والأمر الذي لم يكن فيه خلاف أن أرض الشـام اعتبرت وقفاً، ووضع عليها الخراج وهي أرض خراجية، طوال العهد الإسلامي[1] ، ففي العهد العثماني نص القانون نامة لولاية الشام والذي وضع سنة ٩٥٥ هـ على أن جُل أراضي الشام خراجية[2].

وبهذا نخلص إلى أن أرض فلسـطين أرض وقف إسلامي، لأن المدن صالحت على ما عليه الأرياف من الجزية والخراج، وقف سـقطت الجزية بإسـلام أغلب أهل فلسطين، فبقي الخراج، وبقيت كل فلسـطين ارضا موقوفة على الأمة الإسلامية، فلا يجوز لشخص ولا هيئة ولا دولة التنازل عنها أو بيعها أو إعطاءها لغير المسلمين. والله الموفق[3].



---

[1] البلاذري : فتوح البلدان ، ص١٤٤ . وانظر : اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٤٢ . قدامة، الخراج وصـناعة الكتابة ، ص٢٨٤ ومـا بعدها . ابن منظور ، مختصر ، ج١ ، ص٢٣٩. والأرض الخراجية هي كل أرض مسـحت ووضـع عليها الخراج ، وكل أرض روتها أنهار الخراج ، وخصصت لزراعة الغلات المختلفة أو جعلت بساتين للنخل والكروم وغيرها

[2] فالح حسين : الحياة الزراعية في بلاد الشام ، ص٤٥ .

[3] هذا الفصـل ملخص من بحث "أرض فلسـطين وقف إسـلامي من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الإسلامية" بقلم د. رياض شاهين الأستاذ المشارك بقسم التاريخ والآثار كلية الآداب ـ الجامعة الإسلامية بغزة.

فصل

في تحريم التطبيع مع العدو المحتل

قال المؤلف حفظه الله:

١١- يعتقد المسلمون أن ما يسمى بالتطبيع محرم شرعًا بكل أشكاله؛ لمناقضته أصول الإيمان وثوابت الشريعة، ولما يتضمنه من التنازل عن الأرض والمقدسات وتصفية القضية الفلسطينية لحساب العدو، وتطبيع بعض الدول لا يغير من وصف الاحتلال شيئًا، ولا يسقط واجب جهاده ومقاومته.

وسيبقى إجماع المسلمين منعقدًا حكاما وعلماء على حرمة موالاة أعداء الدين، وبطلان أي تنازل عن أرض فلسطين، وما فيها من مقدسات المسلمين، وهو إجماع لا يخرقه حكام فسدة، ولا علماء فسقة.

﴿ وَلَو كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١ ﴾ [المائدة: ٨١].

قال أبو محمد:

يُقصد بكلمة "طبّع"، في معجم اللغة العربية المعاصرة، جعل الأمور طبيعية. ويعرّف معجم أكسفورد التطبيع/Normalization، على أنّه جعل الشيء مناسبًا

للظروف وأنماط الفعل الطبيعية، ويطبّع/Normalize الشيء تعني أن تجعله طبيعيًا، عاديًا، وذلك من خلال تكييفه مع الشروط الطبيعية. بعباراتٍ أخرى، إن التطبيع هو عملية تبديل حالة ما هو شاذ، غير مألوف، أو غير طبيعي، حتى يصبح طبيعيًا ومألوفًا وعاديًا.

وتطبيق هذا المعنى الأولي للتطبيع على العلاقات بين الدول، ينتج أن تطبيع العلاقات بين دولة ما ودولة أخرى، يتمثّل في الخطوات الواعية المقصودة باتجاه إقامة علاقات طبيعية، عادية، وهو بالفعل ما يُشير إليه معجم اللغة العربية المعاصرة في مادة "طبع" فيقول: "طبّع العلاقاتِ بين البلدين: جعلها طبيعيّة عاديّة." وفي هذا السياق الدولي، فإن الطبيعي العادي، في الحد الأدنى، هو تبادل السفارات، ووجود علاقات دبلوماسية، واقتصادية، وسياسية، وثقافية، وعسكرية، حتى لو كانت في حُدودها الدنيا. ويقف على نقيض تطبيع العلاقات، ما يُطلق عليه "المقاطعة"، بمعنى الامتناع عن إقامة أي نوع من أنواع العلاقات والتواصل السياسي والاقتصادي والدبلوماسي والعسكري.

يُستنتج مما سبق، أن التطبيع هو جهود اتصال، وتواصل، وبناء، وتطوير، علاقات بين دولة وأخرى، كانتا في حالة قطيعة، بشكلٍ واعٍ ومقصود، بغيةَ الوصول إلى علاقة طبيعية لا يشوبها التوتّر، أو التوتّر المفرط. وتنتج سيرورة التطبيع هذه على الأرجح من خلال وصول كل الأطراف إلى حالة قبول للنظام الآخر بصيغته وإيديولوجيته وشكله وسلوكياته الراهنة.

التطبيع مع إسرائيل بهذا المعنى، يعني الدخول في اتصالات وعلاقات مخططة تهدف إلى جعل العلاقة معها علاقات طبيعية مناقضة للمقاطعة تمامًا. ويحمل التطبيع دلالة القبول بوجود إسرائيل بشكلها ونظامها وصيغتها الحالية الاحتلالية الاستيطانية العرقية، وكذلك القبول بدورها، وعقيدتها السياسية، ومشروعها الاستيطاني الاحلالي، وكذلك الحال القبول بواقع الفلسطينيين وحالتهم الشاذة تحت الاحتلال. وقد تفترض بعض الدول أن هذه العلاقات تهدف إلى إحداث حالة يمكن من خلالها التأثير في الدولة الأخرى، والضغط عليها لإجبارها على القبول بتقديم تنازلات معيّنة، كما تدعي بعض الأطراف التي تدافع عن التطبيع.

ومن ذلك ما يجري اليوم مع اليهود ويُسمي صلحا ، ومصالحة ، وفي حقيقة الأمر هو استسلام وتبديل وإلغاء لبعض الأحكام الشرعية وموالاة الكافرين، والاتفاق على شروط باطلة . على ما سوف نوضحه إن شاء الله، لأن مصطلح الصلح اليوم تغيّر عن المعنى القديم الموجود في القرون المفضلة وفي عرف العلماء والفقهاء ، وأصبح يعني اليوم أمورا أخرى ، وعليه يجب أن نفهم الصلح حسب عرف من يتكلم به وحسب المفهوم المعاصر لكي نعرف الحكم الشرعي الصحيح ولكي نصل إلى تحقيق المناط الصحيح وأيضا لكي نفهم اللعبة .

إذا عرفنا ذلك أمكن تصور معالم هذا التطبيع الجديد، والصلح العصري والتطبيع يعني تمكين اليهود من أرض إسلامية ، وعلى رقاب شعب مسلم ، ووجود سفارات وبعثات

دبلوماسـية، ووجود شركات اقتصـادية وملاحق عسـكرية وثقافية وفنانين ، وتعني تطبيعا سياحيا لاستجلاب اليهود يؤدي إلى إنشاء فنادق ومطاعم وبنوك ومراقص ومسارح و فن.

ويؤدي إلى ضـياع المناهج التعليمية مع التطبيع ، و ضـياع عقيدة البراءة في تلك المناهج من الكفار عموما و من اليهود خصوصا .

ويقصـدون بالتطبيع الكامل إقامة علاقات تجارية وسـياحية ودبلوماسـية وثقافية وتـاريخية طبق قرارات هيئة الأمم المتحـدة ، وليس طبق قرارات القرآن والسـنة . هذا هو معنى الصـلح عندهم . وبذلك نعرف أنه يعني الاسـتسـلام للكفار وعلو شـأنهم وإضـاعة للدين وللأراضي الإسلامية .

أما معنى الصـلح الشرـعي المجمع عليه فهو : الصـلح مع الكفار إن دعت المصلحة على وضـع الحرب مدة معلومة إن كان عقدا لازما ، أو مدة مطلقة إن كان عقدا جائزا ممكن الفسـخ وقت الحاجة، هذا هو حدود الصـلح الشرـعي بالإجماع، أما المصـالحة المتضـمنة تنـازلات عقدية وإلغاء لأحكام شرعية فهذا صـلح باطل شرعا بالإجماع ولا يجوز، و ليس هو صـلحا مسـموحا به شرعا بل حقيقته اسـتسـلام ونكوص عن الشريعة وتخل عن بعض أحكامها وشرائعها، وهذا لم يحصـل من الرسـول صـلى الله عليه وسـلم ومن اعتقد أن ذلك حدث من الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر مرتد .

أدلة التحريم والمنع من الكتاب والسنة والإجماع وباعتبار المفاسد والمآل .

إذا عرفنا ذلك فإن التطبيع مع اليهود محرم شرعا ، ولا يجوز لأحد كائنا من كان أن يعقده بتلك الصورة ، وإذا وقع كذلك فإنه يقع صلحا باطلا . أما الأدلة على ذلك :

١ ـ قال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وهذا التطبيع يعطل هذه الآية .

٢ ـ ويضاد قوله تعالى (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) وإذا كان الله أوجب القتال لإنقاذ المستضعفين فكيف نصالحهم صلحا يمكنهم من المستضعفين من المسلمين؟ وهذا مما يتضمنه التطبيع .

٣ ـ قال تعالى (فإن نقضوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم) فأمر بمقاتلة الناقض والطاعن في الدين ، فكيف نعقد معهم ما يسمونه صلحا في الوقت الذي يحرم عقده كما في الآيات السابقة .

٤ ـ قال تعالى (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) .

٥ ـ ويضاد مقاصد الجهاد الشرعي الثابت في الكتاب والسنة والإجماع .

٦ ـــ وهو صلح باطل لما فيه من الشروط الباطلة المضادة للإسلام ، وقد جاء في حديث عائشة مرفوعا (ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط كتاب الله أحق وشرط الله أوثق) متفق عليه . ففيه من الشروط الاعتراف بالكيان اليهودي ، وإلغاء الجهاد وأمثال ذلك .

٧ ـــ ويضاد حديث (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) رواه الشيخان من حديث عائشة واللفظ لمسلم ، وهذا الصلح المذموم ليس عليه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بل هو مضاد له .

٨ ـ ويضاد الأصول المجمع عليها في الجهاد والولاء والبراء.

٩ ـــ ويخالف ما قررناه في الفصول السابقة من وجوب الجهاد إذا اغتصب شبر من أراضي المسلمين، فكيف بآلاف المساحات الواسعة، فكيف بالأرض المقدسة؟؟

١٠ ـ ويضاد ما قررناه من أن أرض فلسطين أرض وقف، والوقف لا يجوز بيعه ولا شراؤه ولا إقرار مغتصبه على ما فعل.

١١ ـــ ويؤدي لتسلط اليهود على مقدسات المسلمين، وطرد المسلمين منها، كما فعلوا في المسجد الإبراهيمي، وكما يريدون أن يفعلوا في المسجد الأقصى، لعنهم الله وأخزاهم.

ولقد أوجب أهل العلم في العصر الحديث منذ بدأت قضية فلسطين قبل أكثر من سبعين عاما القتال ضد اليهود الغاصبين ، ومنعوا الصلح معهم ، الصلح الذي بمعنى الاستسلام ويعنى مضادة الشريعة وإلغاء بعض أحكامها ، وإن سُمي صلحا .

وحسب علمنا فإنه منذ نشأت المشكلة الفلسطينية إلى قبل سنوات قليلة ما كان العلماء يختلفون في حرمة التطبيع مع اليهود ، ووجوب قتالهم .

فمن الفتاوى في ذلك :

١ ـــ فتوى علماء وقضاة وخطباء فلسطين الذي انعقد في القدس عام ١٣٥٥هـ وأصدروا فتوى بحرمة بيع الأراضي الفلسطينية على اليهود، لأنه يحقق المقاصد الصهيونية في تهويد أرض فلسطين ، وأن من باع الأرض عالما بنتيجة ذلك راضيا به فهذا يستلزم الكفر والردة ، وأشاروا إلى فتاوى علماء المسلمين في العراق ومصر والهند والمغرب وسوريا والأقطار الأخرى بأنها أيضا تحرم بيع الأرض في فلسطين لليهود ، ثم ذكروا الأدلة في ذلك.

٢ ـــ وكذلك فتوى علماء الأزهر عام ١٣٦٦ هـــ وأيضا عام ١٣٦٧ هـــ بوجوب الجهاد لإنقاذ فلسطين .

٣ ـ وفتوى علماء المؤتمر الدولي الإسلامي المنعقد في باكستان عام١٣٨٨هـ.

٤ ـــ وكذلك فتوى لجنة الفتوى في الأزهر الصادرة عام ١٣٧٥ هـــ بتحريم التطبيع مع اليهود .

٥ ـ أيضا أصدر مجموعة من العلماء عام١٤٠٩ هـ ، بلغ عددهم (٦٣) عالما من ثماني عشرة دولة فتوى بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين .

٦ ـ وأصدر مجموعة كبيرة جدا من علماء اليمن فتوى في تحريم التطبيع مع اليهود .

٧ ـ وفتوى مؤتمر علماء فلسطين المنعقد في ١٤١٢ هـ أفتوا بحرمة المشاركة في مؤتمر مدريد وأفتوا أيضا بحرمة التطبيع مع اليهود ثم ذكروا الأدلة الشرعية في ذلك .

٨ ـ ثم إن علماء وأهل الجهاد والشوكة من أهل الحل والعقد من أهل فلسطين لم يرتضوا هذه المبادرات القديم منها والحديث ، وحتى الشعب الفلسطيني ، فلماذا يُفتات عليهم ولهم ذمة مستقلة تتيح لهم أن يكونوا أولى الناس بأمورهم ، وقد عارضت حركة حماس الجهادية بقيادة رئيسها الشيخ أحمد ياسين تقبله الله في بيان أعلن فيه رفضه لتلك المبادرات ، وقال : نحن نرفض أي اقتراح يتنازل عن أراضي فلسطين وأعلن أنهم سوف يواصلون الجهاد ضد اليهود اهـ .

٩ ـ حوالي ٣٠٠ من علماء المسلمين اجتمعوا في تركيا سنة ١٤٣٩ هـ واعتبروا أن الاتفاقيات والمعاهدات والتفاهمات السياسية المبرمة بين الأنظمة العربية والإسلامية مع الكيان الصهيوني وما ترتب عليها من التزامات هي "محرمة شرعاً وباطلة غير نافذة، ولا قيمة لها وتَحْـُرم طاعة الحاكم فيها لاعتدائها على الشرع والأمة والشعب الفلسطيني، قال تعالى: "إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" الممتحنة/ ٩".

١٠ ـــ فتوى جليلة القدر صدرت من عدد كبير من علماء الأمة في محرم سنة ١٤٤٢ هـــ وجاء فيها: (أجمع العلماء الحاضرون على أن ما تم بين بعض الدول العربية وإسرائيل، التي لازالت تحتل معظم فلسطين بما فيها المسجد الأقصى والقدس الشريف، وتريد جهاراً نهاراً احتلال بقية الأراضي الفلسطينية: لا يُسمّى صلحاً في حقيقته ولا هدنة، وإنما هو تنازل عن أقدس الأراضي وأكثرها بركة، وإقرار بشرعية العدو المحتل، واعتراف به، وبما يرتكبه من الجرائم المحرمة شرعاً وقانوناً وانسانيا من القتل والتشريد، وتمكين له من احتلال فلسطين كلها، وهيمنته على الشرق الأوسط، وبخاصة في دول الخليج وباقي دول العالم العربي ، وتحقيق أحلامه في الوصول إلى الجزيرة العربية.

لذلك فإن ما سمي باتفاقيات السلام، أو الصلح، أو التطبيع ، في هذه الحالة، محرم وباطل شرعاً، وجريمة كبرى، وخيانة لحقوق الله تعالى ورسوله وحقوق فلسطين أرضاً وشعباً، وحق أمتنا الإسلامية وشهدائها عبر تاريخها الطويل بدءاً من فتح عمر رضي الله عنه وصلحه مع أهل فلسطين من المسيحيين، وتحرير صلاح الدين لهذه الأرض المباركة وتطهيرها من الاحتلال وتسامحه مع المهزومين، ثم الثورات الفلسطينية والأمة الإسلامية خلال أكثر من قرن).



فصل

فلسطين للمسلمين في آخر الزمان

قال المؤلف حفظه الله:

١٢- يعتقد المسلمون أن تسلط اليهود- الساعين لهدم الأقصى- على أهل الإسلام اليوم بما كسبت أيدي المسلمين، وبما وقع من ولاء المنافقين، وأن الله ابتلاهم باحتلال شراذم اليهود للأقصى، وأنهم طال الزمان أم قصر سيحررون مسجدهم، ويقاتلون عدوهم، وأن حصونهم وجُدُرَهم ليست بمانعتهم من الله شيئًا، وأن أهل الإسلام سيسوءون وجوه الصهاينة اليهود في آخر الأمر بدخول المسجد كما دخلوه أول مرة، ويتبرون ما علوا تتبيرًا! قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧)﴾ [الإسراء:٧].

قال أبو محمد:

إن أعداء الله من اليهود والنصارى عليهم لعائن الله المتتابعة لما عصوا الله وكذبوا المرسلين وافتروا على الله الكذب وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة ضربهم الله بالذلة إلى يوم الدين، فكانوا مشردين محتقرين أينما كانوا، لا يقوم لهم سلطان ولا دولة، ضربت عليهم

الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس، فجعلهم الله عذابًا يعذب به من عصاه، لأنهم لا رأفة لديهم ولا رحمة عندهم، أو بحبل من الناس ليضرموا فيهم نيران الحروب لمصالحهم الشخصية كما هو الواقع اليوم، وقد قضى الله سبحانه أن يمكنهم في الأرض فيفسدوا فيها مرتين وتكون لهم دولة تعلو علوًا كبيرًا، كما قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤]، قال ابن كثير - رحمه الله -: أي يتجبرون ويطغون ويتجرؤون على الناس، يسلطهم الله على من يشاء من عباده بلاء وامتحانًا ثم يسلط عليهم من عباده من يسومهم سوء العذاب، كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله لأنهم يسعون في الأرض فسادًا والله لا يحب المفسدين، ولكنه يجعلهم عقوبة على من يستحق العقوبة، فهم دائما وأبدًا يحوكون المؤامرات ويعقدون الندوات العلنية والسرية لكيد المسلمين ويخططون للقضاء عليهم والاستيلاء على أنفسهم وأموالهم ويراقبون المسلمين مراقبة دقيقة لينتهزوا الفرص فيهم لينقضوا عليهم، وقد علموا من واقع التاريخ أنه لا قوة لهم على المسلمين ما داموا متمسكين بدينهم.

ولكن لما رأوهم زاهدين في دينهم غير مهتدين بهديه وقد تمكنت منهم الدعايات المضللة حتى رموا الإسلام بالنقص، واستمدوا نظام حياتهم من القوانين الوضعية، شمروا عن ساق الجد وانقضوا عليهم كالأسد الصائل قد فطر الغيظ والحقد أكبادهم غير مبالين بكثرة عددهم، لما يعرفونه عن العرب قبل ظهور الإسلام من التناحر والتقاطع، وإنما ظهروا على أهل الأرض في مشارقها ومغاربها بفضل الإسلام وصدقهم وعرف أعداؤهم أنهم متى تزعزعت عقائدهم واختلفت مبادئهم يعودون إلى ما كانوا عليه قبل ظهور الإسلام.

ويا للأسف نالوا من المسلمين ما شاء الله أن ينالوا، ولعل في ذلك من الأسرار الخفية ما لا يعلمه إلا الله لينتبه المسلمون من غفلتهم ويصلحوا ما فسد من أمورهم وليعلموا أنهم أتوا من قبل أنفسهم، ويرجعوا إلى تاريخ أسلافهم من الصحابة والتابعين وقادة الإسلام المظفرين الذين صدقوا مع الله رغم قلة عددهم وعدتهم وكثرة أعدائهم حتى أرسوا قواعد الإسلام ثابتة في أنحاء المعمورة على أنقاض عروش ملوك الكفر من أقاصرة الروم وأكاسرة الفرس، وطهروا البلاد من اليهود والنصارى والمشركين ولم يكن قتالهم لعصبية أو قومية.

فلعل ما أصاب المسلمين من هزيمة ظاهرة وواضحة دافعة لهم على الاعتصام بالله واستمداد نظمهم من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ليكونوا من جنده وحزبه الذين وعدهم بالنصر والظهور بقوله: ﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧٣]، فنسأل الله بأسمائه وصفاته أن يجمع شمل المسلمين على الهدى ويرزقهم الاعتماد عليه ويؤيدهم بما أيد به عباده المؤمنين.

ما ورد في كتاب الله من انتقام الله من العصاة:

ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تحذر من معصية الله تعالى والتمرد عليه، وقصص كثيرة تحكي أحوال أمم عصت الله تعالى وخالفت أوامره فكان عاقبتها الدمار والفناء.

فكم من أمةٍ، وكم من قريةٍ كانت في سعةٍ من الرزق ورغدٍ من العيش وسلامة في الأبدان وأمنٍ في الأوطان، فحادت عن طريق الله، سبحانه وتعالى، فحلَّ عليها العذاب، ونزل بها العقاب وتبدلت الأحوال، وضُرِبت مثلاً للحاضر والباد.

قال الله تبارك وتعالى :(وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً (٩) أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا اللهَّ يَا أُوْلِي الْأَلْبَاب). (الطلاق: ٨-١٠). وقال تعالى: (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِّ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُون). (النحل: ١١٢-١١٣).

وها هم قوم نوح، عليه السلام، أول أمة كفرت بعد عشرة قرون من عهد آدم، عليه السلام،

قال الله في شأنهم : (وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً). (الفرقان: ٣٧).

وها هي قبيلة عاد، التي لم يُخلق مثلها في البلاد، قوم هود عليه السلام، منَّ الله عليهم بطولٍ في الأجسام وسلامة الأبدان وسعة الأرزاق، فاستكبروا وتعالوا على الله وعلى خلقه، فكانت العاقبة ما قصه الله سبحانه بقوله: (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَّ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ)، (فصلت: ١٥-١٦). وسلط الله على هذه القبيلة

الطاغية الباغية الريح العقيم كما قال سبحانه: (وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيم)، (الذاريات: ٤١-٤٢).

وها هي قبيلة ثمود، قوم نبي الله صالح، عليه السلام،

الذين جابوا الصخر بالواد، تلكم التي بيَّن الله لها طريق الهداية فاستحبت العمى على الهدى، فكان من أمرها ما قصه الله تعالى علينا بقوله : (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)، (فصلت: ١٧).

تلك القبيلة التي أنعم الله عليها بنبيها صالح، عليه السلام، وبناقة الله التي كانت تشرب الماء يوماً ويشربون لبنها يوماً، فتآمروا على قتلها وجحدوا نعمة ربهم، فكذبوا صالحًا عليه السلام، وانبعث أشقى رجل منهم وخرج لقتل الناقة عقرها فدمرهم الله، كما قال سبحان: (إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاها)، (الشمس: ١٢-١٣).

وكذلك فرعون الظالم الذي طغى وبغى، وكان له ملك مصر، والأنهار كانت تجري من تحته، مُنَعَّمًا في الكنوز والمقام الكريم، فاستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق، وتعالى وتكبر وتجبر، وقال لأهل مصر: (يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ)، (الزخرف: ٥١-

٥٢)، بـل تطـاول وتعاظم (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)، (النازعات: ٢٤)، وقال: (يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي)، (القصص: ٣٨).

وسعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، ذبح الأطفال، وشرَّدَ الرجال، استحيا النساء وسخرهن، (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ* فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ* وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأرضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ)، (الأعراف: ١٣٥_١٣٧).

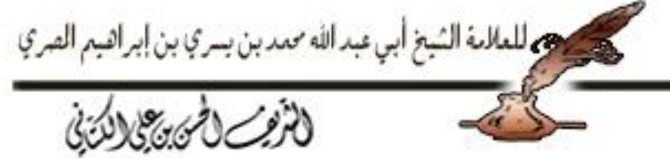
وقص علينا القرآن الكريم قصة سبأ، فقال الله سبحانه : (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ)، (سبأ: ١٥-١٧).

بل إن القرآن الكريم بين لنا أن الله سبحانه أجرى هذه السنة على أمم وشعوب أُخذت بأكملها، وتحولت النعم عليهم إلى نقم كما قال تعالى: (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُون)، (العنكبوت: ٤٠).

وليس هذا على مستوى الأمم والشعوب فحسب، بل على مستوى الجماعات، والأفراد كذلك. فها هم أصحاب الحديقة والبستان الذين بيتوا الشر و البخل، وأقسموا ليصرـمُنها مصبحين ولا يستثنون، وتآمروا لمنع الفقير والمحتاج حقه، (فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ)، (القلم: ١٩-٢٠).

وها هو قارون الطاغي الباغي، الذين كان من قوم موسى، عليه السلام،

آتاه الله من المال ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، لكنه لم يشكر نعمة الله عليه، بل بغى على نبيه وقومه كما قال تعالى: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِين)، (القصص: ٧٦-٨١).



فهذه هي عواقب المعاصي والظلم والشر والفساد، ها هي العواقب الوخيمة والشرور الجسيمة للذنوب والمعاصي، كما قال تعالى في مواطن من كتابه العزيز: (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ)، (غافر: ٢١)، (فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِم)، (الأنفال: ٥٤)، (فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِين)، (الزخرف: ٥٥-٥٦).

والآيات في ذلك كثيرة جدا، يجمعها قوله تعالى في هذه الآية الجامعة: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)، (الشورى: ٣٠).

ما جاء في السنة النبوية من هلاك الأمم بالمعاصي:

إن للمعاصي آثاراً سيئة على مرتكبيها في أنفسهم وأبدانهم بما يصابون به من المسخ والأوجاع والأسقام والأمراض، و قد تكون العقوبات أوجاعاً ظاهرة، وقد تكون أوجاعاً نفسية، فأما الظاهرة فقد تكون بسبب عقوبة شرعية حدية، أي بالحدود والتعزيرات كقطع يد السارق، وجلد شارب الخمر، ورجم الزاني، ونحو ذلك، وقد تكون عقوبة قدرية في بدنه، فقد تكون على شكل مسخ كما أخبر النبي ﷺ بأنه سيكون في آخر هذه الأمة ، ونحن في آخر الأمة : (يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف) ، قال النبي، صلى الله عليه وسلم، : (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر _أي: الزنا _ والحرير) ، ثم قال: (يمسخ منهم آخرون قردة وخنازير إلى يوم القيامة)[1] ، فهذا مسخ حقيقي سيحدث بسبب المعاصي،

---

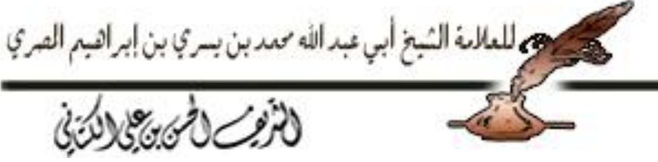
[1] رواه الترمذي وهو حديث صحيح.

فيصبح هؤلاء وقد مسخهم الله قردة وخنازير فيراهم الناس في صباح ذات يوم قردة وخنازير، فهذه عقوبة حسية جسدية بالمسخ.

وقد تكون بتسليط جنود الله الكونية، مثل هذه الميكروبات والفيروسات على أجساد العصاة فيصيبهم من الآفات ما الله به عليم، جاء في سنن ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر المهاجرين، خمسُ خصالٍ أعوذ بالله أن تدْركوهن: ما ظهرتِ الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلاّ ابتُلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قومٌ المكيالَ والميزان إلا ابتُلوا بالسنين وشدَّة المؤنة وجَور السلطان، وما منع قومٌ زكاةَ أموالهم إلاّ مُنعوا القطرَ من السماء، ولولا البهائمُ لم يُمطروا، ولا خفَر قومٌ العهدَ إلا سلَّط الله عليهم عدوًّا من غيرهم فأخذوا بعضَ ما في أيديهم، وما لم تعملْ أئمتُهم بما أنزل الله جل وعلا في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم)[1].

---

[1] أخرجه ابن ماجه في الفتن (٤٠١٩)، والبيهقي في الشعب (٣/ ١٩٧)، وصححه الحاكم (٤/ ٥٤٠)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (١٠٦).



ولما فُتحت قُبرص بَكى أبو الدرداء رضي الله عنه فقيل له: ما يبكيك في يوم أعزَّ الله فيه الإسلامَ وأهله؟ فقال: (ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملكُ تركوا أمرَ الله فصاروا إلى ما ترى)[1] .

وقال صلى الله عليه وسلم :(إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهادَ سلَّط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه حتى تراجعوا دينكم)[2] ، وفي روايةٍ: (أنزل الله عليكم من السماء بلاءً، فلا يرفعه عنكم حتى تراجعوا دينكم)[3] . ولذا كان من دعاء بعض السلف: "اللهم أعزَّني بطاعتك، ولا تذلَّني بمعصيتك".

ومن آثار الذنوب والمعاصي على البلاد والعباد أنها تُحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في الماء والهواء والزروع والثمار والمساكن وغيرها، قال جل وعلا:

(ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون)، (الروم:٤١)، والمراد بالفساد في الآية النقصُ والشرور والآلام التي تحدث في الأرض عند معاصي العباد، فكلَّما أحدثوا ذنباً أحدث الله لهم عقوبة، قال بعض

---

[1] أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٦٠٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢١٧)، وابن الجوزي في المنتظم (٤/ ٣٦٤).

[2] أخرجه أحمد (٢/ ٤٢، ٨٤)، وأبو داود في البيوع (٣٤٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه ابن القطان كما في التلخيص الحبير (٣/ ١٩)، وقوّاه ابن القيم في تعليقه على سنن أبي داود (٥/ ١٠٤)، وصححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (١١).

[3] أخرجه أحمد (٢/ ٢٨) بنحوه.

السلف: "كلّما أحدثتم ذنباً أحدث الله لكم من سلطانه عقوبةً"، قال مجاهد: "إذا ولي الظالمُ وسعى بالظلم والفساد فيحبس الله بذلك القطرَ، حتى يهلك الحرثُ والنسل"، ثم قرأ هذه الآية، ثم قال: "أما والله، ما هو ببحركم هذا، ولكن كلّ قرية على ماءٍ جارٍ فهو بحر"، وبمثله قال غيره من المفسرين.

ومن آثار المعاصي على العباد **تسلّطُ الأعداء وتمكّن الأشرار من الأخيار**، فقد جاء عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال:(والذي نفسي بيده، لتأمُرُنّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعثَ عليكم عذاباً من عنده، ثم تدعونَه فلا يُستجاب لكم)[1].

إن المتمعن في النصوص السابقة يتبين له بما لا يدع مجالا للشك، أن طاعة الله تعالى والعمل بشريعته سبب كل خير، وأن المعاصي سبب كل شر، فلا مناص لأمم الأرض عامة، والمسلمين خاصة، إلا الرجوع إلى الله تعالى، واتباع أحكامه. ومن الناس من تنزل به المصيبة رحمة به ليرجع إلى ربه، فقد روى ابن جرير عَن ابن عباس في قوله تعالى: {وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة:٢١] قال: "هي المصائب"[2]. وقال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} [الأنعام:٤٢].

---

[1] أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢١/ ٤٩).

[2] راجع "تفسير ابن جرير الطبري" سورة السجدة الآية ٢١.

ومن أسـباب نزول البلاء إظهار ضـعف الدنيا وهوانها وسرعة زوالها، وكبح جماح الطمع والجشـع واللهـث وراءها فإذا رأينا زوال بعضـها من أموال وأنفس وزروع فزوالها جميعها كذلك، لأن الدنيا أجزاء وأبضـاع فإذا أمكن زوال بعضها أمكن زوالها كلها، {لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [الحديد:٢٣].

والله سبحانه يقدر علينا المصائب تأديبا لنا لنرجع لدينه ونتوب ونتعظ، قال سبحانه: (وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الأعراف:١٦٨]، وقال تعالى: (وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الزخرف:٤٨]، وقال تعالى: (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [السجدة:٢١]..

ومن أسباب دفع البلاء والمصائب التضرُّعُ إلى الله تعالى عند وقوع المصيبة، قال الله – عز وجل–: (وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [الأنعام:٤٢–٤٣]، وقال سبحانه: (وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) [المؤمنون:٧٦]، وقال سبحانه: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ) [الأعراف:٩٤]، وقال سبحانه: (وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) [الأعراف:٥٦].

وعن أمِّ المؤمنين عائشةَ بنت الصدِّيق رضي الله عنهما قالَتْ: "خسَفتِ الشمسُ في عهدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس...، وانجلَتِ الشمسُ قبل أن ينصرِفَ،

ثم قـام فخطَـب النـاس، فأثنى على الله بما هو أهلُه، ثم قال: (إن الشـمس والقمر آيتانِ مِن آيات الله، لا ينخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتُموهما فافزَعوا للصلاة)، متفق عليه [1].

قال الإمام النووي رحمه الله: "قوله صلى الله عليه وسلم: ((فإذا رأيتموها فافزَعوا للصلاة))، وفي رواية: ((فصلُّوا حتى يُفرِّج اللهُ عنكم))، معناه: بادِرُوا بالصلاة وأسرِعوا إليها؛ حتى يزولَ عنكم هذا العارضُ الذي يُخافُ كونُه مُقدِّمةَ عذابٍ".

والاستغفار مِن أهم أسباب دفع البلاء، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أما العذاب المدفوع، فهو يَعُمُّ العذاب السماويَّ، ويعمُّ ما يكون من العباد؛ وذلك أن الجميع قد سمَّاه الله عذابًا" [2].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فهذا مانعٌ مِن وقوع العذاب بهم، بعدما انعقدت أسبابه".

---

[1] رواه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).

[2] "مجموع الفتاوى" (١٥/ ٤٤).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "أمانانِ كانا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، رُفع أحدهما وبقي الآخر: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]"؛ أخرجه أحمد[1] .

وعن فَضالةَ بن عُبَيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (العبدُ آمنٌ من عذاب الله ما استغفر الله)؛ أخرجه أحمد [2].

وبالجملة، فطاعة الله تعالى سبب لكل خير كما أن معصيته والتمرد عليه سبب كل شر. قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)،(الأعراف: ٩٦). وقال سبحانه: (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ)، (المائدة: ٥٥).

---

[1] أخرجه أحمد (٣٢/ ٢٦٤، ١٩٥٠٦) قال شيخنا شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره. أما ما روي عن سبب نزول الآية { وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون } جاء عن أبي بردة ابن أبي موسى، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (أنزل الله علي أمانين لأمتي: {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون } فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة). فهذا الحديث ضعفه الإمام الألباني رحمه الله في ((الأحاديث الضعيفة)) رقم (١٦٩٠) وفي ((ضعيف الترمذي)) رقم (٥٩٧) وفي ((ضعيف الجامع)) رقم (١٣٤٣).

[2] أخرجه أحمد (٦/ ٢٠) بسند ضعيف، لكن حسَّنه بعض العلماء بشواهده. قال محقق المسند: (حسن بمجموع طريقيه وشاهده، وهذا إسناد ضعيف لضعف رشدين -وهو ابن سعد- ولإبهام الراوي عن فضالة).

سيقاتل المسلمون اليهود وينتصرون عليهم:

والآن نقف مع آيات سورة الأعراف التي تؤكد هذه الحقيقة: أن اليهود لا مستقبل لهم في الأرض المباركة، وأنه إلى زوال.

قال تعالى:[إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُفْتَرِينَ] {الأعراف:١٥٢}. تتكلم هذه الآية عن بني إسرائيل الذين عبدوا العجل الذهبي زمن موسى عليه السلام، وهي تنطبق على اليهود تماماً أينما كانوا، لأن اليهود مستمرون على عبادة العجل الذهبي، فاليهود يعبدون الذهب والمال من دون الله. وهذه الآية التي تقرر إيقاع الذل والغضب على اليهود تؤكدها آيات أخرى منها قوله تعالى:[وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ] {البقرة:٦١}. [ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا] {آل عمران:١١٢}.

فاليهود مغضوب عليهم، وكيانهم قائم على أساس غضب الله، ولهذا فهو إلى زوال، هذا الغضب الإلهي يلفُّ هذا الكيان يغشاه ويغطيه، ولابد أن يذوي ويموت...وويل لليهود من غضب الله وويل لهم من غضب الشعوب التي خدروها، وويل لهم من تفجير براكين الغضب... من غضب الشعوب المسلمة، ومن الأجيال القادمة...

وقال تعالى:[وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ] {الأعراف:١٦٧}.

تأذن ربك: أعلمكم وأخبركم ـ أيها المسلمون ـ بهذه السنة الإلهية النافذة: (ليبعثن) جواب للقسم لتأكيد هذه السنة الإلهية.

العذاب الواقع على اليهود مبعوث عليهم بعثاً... إن الذين يعذبون اليهود هم عباد ربانيون اختارهم الله اختياراً واصطفاهم اصطفاءً... ليعذبوا اليهود... فالباعث هو الله تعالى...

لقد وقع العذاب عليهم على يد غير المسلمين... ففرعون وقومه قد عذبوا اليهود، ولم يسم عذابهم بعثاً لأنهم كانوا مجرمين طغاة... وبنوا إسرائيل كانوا مضطهدين مظلومين... وعذب أقوام آخرون اليهود قبل الإسلام مثل البابليين والرومان والنصارى وليس عذابهم بعثاً ربانياً... لأن هؤلاء لا يستحقون أن ينسبوا إلى الله نسبة تكريم وتشريف...

وقد تحقق هذا البعث بعد نزول سورة الأعراف المكية على أيدي المؤمنين:[فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا] {الإسراء:٥}.

فالمسلمون الربانيون هم المرشحون للقضاء على اليهود، وتمكين الله لليهود على أرض فلسطين إنما هو تمهيد وتهيئة للبعث الإسلامي القادم... ولهذا فإن الله جمعهم من بقاع الأرض إلى فلسطين ليسهل تعذيبهم والقضاء عليهم... وهذا العذاب مستمر إلى يوم القيامة، إلى أن يخرجوا أنصاراً للدجال فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم عليه السلام.

مستقبل اليهود في سورة الإسراء:

صراع بين رسالتين قال تعالى" : سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هم السميع البصير - وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدىً لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا - ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً" لسورة الإسراء اسم توقيفي آخر هو سورة بني إسرائيل، وقد بدأت بالحديث عن إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى- في بيت المقدس، ثم أشارت إلى البركة التي جعلها الله في المسجد الأقصى وما حوله، ثم انتقلت مباشرة انتقالاً تاريخياً من الرسالة الإسلامية إلى رسالة موسى نبي إسرائيل عليه السلام، وإلى التوراة وما كلف الله بني إسرائيل فيها.

وأخبرتنا عن إفسادين كبيرين مقترنين بالعلو الكبير يقعان على أيدي اليهود، وأطلعتنا على وضع اليهود في كل منهما، وحددت ملامح الرجال العباد الربانيين، الذين يزيلون الإفسادين اليهوديين، وكان تركيزها على الإفساد الثاني اليهودي أكبر .إن الله يريد تعريفنا على طبيعة صراعنا مع اليهود وهو صراع بين رسالتين : رسالة الحق التي يمثلها المسلمون ورسالة الباطل التي يمثلها اليهود وسيبدأ على أرض المدينة وينتهي على الأرض المباركة.

مظاهر البركة حول الأقصى- قد يخطيء بعض الناس في فهم البركة فيما حول المسجد الأقصى، فيقصرها على البركة الزراعية فهي الأرض التي تدر لبناً وعسلاً. صحيح أن هذه البركة موجودة لكنها بركة من بركات كثيرة، ومظهر من مظاهر البركة العديدة:

فهي مباركة بركة إيمانية، فللإيمان فيها وجود راسخ ثابت أصيل، قبل إبراهيم عليه السلام وبعده، وهي بلاد نبوات ورسالات، وهي مباركة بركة إيمانية قديمة ومعاصرة ومستقبلية، فتاريخها الأصيل هو تاريخ للإسلام والإيمان والعبودية لله.

وهي مباركة بركة جهادية حضارية حركية، فعليها كان يسجل التاريخ الإيماني منعطفاته الخطيرة وأحداثه العظيمة، وعليها كان يسجل التاريخ الجاهلي هزائمه ونكساته وزواله. التاريخ عليها حي فاعل متحرك لا يتوقف، وتُقدم أعوامه وشهوره وأيامه مفاجآت عجيبة وأحداثاً خطيرة ومعارك فاصلة، وزوال دول وأنظمة وولادة أخرى. عليها قُصم الرومان والفرس والصليبيون والتتار، وعليها سيقصم الله اليهود ويدمر كيانهم، وعليها سيقتل الله المسيح الدجال وعليها سيبيد الله جحافل يأجوج ومأجوج.

وهي مباركة بركة سياسية، فهي أرض الابتلاء والامتحان، وهي أرض الكشف والفضح، هي التي تكشف الخونة، وتفضح العملاء والرايات والشعارات والدعوات.

سر الربط بين المسجدين : ربطت سورة الإسراء ربطاً دقيقاً بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وهناك سر بديع لطيف للربط بين المسجدين، فمن بعض حِكم هذا الربط:

-1 المسجد الأقصى وما حوله شهد وجود رسالات سابقة، منها اليهودية والنصرانية، كان أصحابها هم الخلفاء على الناس، والأمناء على الدين والإيمان، والوارثين للأرض المباركة. والمسجد الحرام شهد بداية الرسالة الجديدة الخاتمة، وولادة الأمة الإسلامية أمة الخلافة والوراثة والأمانة. فبما أن الأمة الجديدة تقيم حول المسجد الحرام، فلا بد لها كي تحقق خلافتها وأمانتها على البشرية من أن تتملك ما حول المسجد الأقصى، وأن ترثه هي من الذين يقيمون حوله.

- 2أن السورة تريد من المسلمين أن يُحسنوا النظر للمسجد الأقصى وما حوله فهو مبارك ومقدس كبركة وقدسية المسجد الحرام وما حوله.

- 3 تحذير المسلمين من المؤامرات المعادية ضد المسجدين، ومن أطماع الأعداء الكافرين في المسجدين، وأن الخطر الذي يتهدد المسجد الأقصى، هو الخطر الذي يتهدد المسجد الحرام. فلما أخذ الصليبيون الأقصى وما حوله، واستقروا فيه، توجهت أنظارهم وبرامجهم ومطامعهم نحو المسجد النبوي في المدينة المنورة، والمسجد الحرام في مكة المكرمة، فقام " أرناط ، ملك الكرك الصليبي، بعدة محاولات لاحتلال بلاد الحجاز، كادت تنجح لولا أن الله هيأ لهذه الأمة صلاح الدين الأيوبي.

- 4أن السورة تقدم للمسلمين المستضعفين في مكة المحاربين هناك بشرى ربانية، بالفرج والنصر والتمكين، فستنتهي تلك المرحلة الحرجة التي يعيشونها في مكة، وسيكتب الله لهم التمكين، فيفتحون البلاد، ويصلون للمسجد والأرض المباركة، متابعين خطى

رسولهم صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، ويفتحون تلك البلاد، ويقيمون عليها حكم الله، ويعيدون تشييد المسجد الأقصى وبناءه. فالرسول صلى الله عليه وسلم كان ممهداً لفتح بلاد الشام، وكان إسراؤه إلى المسجد الأقصى إرهاصاً ربانياً بفتح المسلمين الحقيقي القادم لهذه الأرض.

إفسادان لبني إسرائيل قال سبحانه" : وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً – فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً – ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً – إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً – عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً " سورة الإسراء : ٤-٨ وقال تعالى في آخر السورة عن الإفساد الثاني " :وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً " سورة الإسراء : ١٠٤ .

اختلف العلماء في تفسيرهم للإفسادين ولكن جميع التفاسير السابقة لا تنطبق عليها الأحداث التي وردت في الآيات فلا بد من إعادة النظر في فهم النصوص وأحداث التاريخ. لقد علا اليهود قديماً وأفسدوا إفسادات كثيرة، ونظراً لربط الآيات الكريمة بين المسجد الأقصى والتاريخ اليهودي فإننا نؤكد أن الإفسادين متعلقان بالمسلمين بعد بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

إفسادهم الأول في المدينة أتى اليهود إلى يثرب هاربين من الاضطهاد الروماني واليوناني الذي صُب عليهم في بلاد الشام، وأُعجب العرب بما عند اليهود من مال وعلم وثقافة، وتفنن اليهود في التحكم بالعرب والإفساد بينهم وامتصاص خيراتهم وإخضاعهم، وكانوا يبشرونهم بقرب ظهور نبي، ويهددونهم بأنهم سيتبعونه ويقتلون العرب معه، ولكنهم لما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أكثر الناس عداوة له، وتآمروا على قتله وحاربوه مع القبائل العربية الجاهلية" .

فإذا جاء وعد أولاهما"" .....إذا " ظرف لما يستقبل من الزمان، أي أن المجيء يأتي بعد نزول آيات الإسراء المكية، وبالتالي فإن عباد الله الربانيين سيكونون أيضاً بعدها" .بعثنا عليكم".... إن التعبير بالبعث مقصود ومراد، فالله بعث الصحابة بعثاً من العدم فلم يكن للعرب في الجاهلية أية منزلة. كما أن كلمة " بعثنا توحي أن مجيء هؤلاء الربانيين لم يكن متوقعاً فقد بعث الله الصحابة بعثاً فأزالوا إفساد اليهود وورثوا قوة اليهود، الصغيرة في المدينة، وقوة فارس والروم الكبيرة في العالم" .عباداً لنا".....هذه الجملة لا تنطبق إلا على الصحابة لأن الله سماهم "عباداً" وأضافهم إليه " لنا " إن كلمة " عباد " لا تنطبق على الكافرين السابقين الذين نسب لهم المؤرخون إزالة الإفسادين مثل بختنصر وغيره. هناك فرق بين كلمتي عباد وعبيد لأنه لا ترادف في كلمات القرآن، فكلمة "عبيد" ذُكرت في القرآن الكريم خمس مرات في الكلام عن الكفار ومعظمها بصيغة" : وما ربك بظلام للعبيد " أي أن الله يحاسب الكفار بعدله. أما كلمة " عباد " فهي مذكورة خمساً وتسعين مرة منها أكثر من

تسعين مرة عن المؤمنين. إن الألف في هذه الكلمة توحي بالعزة والكرامة وهي صفات المسلم.

" أولي بأس شديد"....كانت قوة الصحابة وبأسهم في مواجهة اليهود في جانبين الجانب المادي الذي تمثل في شدة قتالهم لليهود ويشهد عليه حصارهم لبني قينقاع وبني النضير وقتل بني قريظة ومحاربتهم في خيبر وإخراجهم منها .والجانب المعنوي الذي تمثل في تحديهم لليهود وإذلالهم لهم، ويشهد عليه مواقف أبي بكر وعمر وعلي وعبادة بن الصامت وعبدالله بن رواحة وغيرهم. لقد حكم " سعد بن معاذ " على بني قريظة حكماً ربانياً بقتل رجالهم وسبي نسائهم وأطفالهم ومصادرة أموالهم واستملاك بيوتهم وأراضيهم وأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه" .

فجاسوا خلال الديار "...الجوس هو تخلل الشيء والتغلغل فيه، وقد دخل الصحابة ديار اليهود، واحتلوها وجاسوا خلالها في ديار بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وفي خيبر وفي وادي القرى وفدك وتيماء. لقد أزالوا كيانهم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم أجلى الفاروق بقاياهم عن جزيرة العرب. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الجوس بقوله تعالى" : وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً - وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديراً ". سورة الأحزاب : ٢٦-٢٧.

نحن نعيش الإفساد الثاني لليهود إذا علمنا أن إفساد اليهود الأول كان في المدينة، وأن المسلمين هم الذين قضوا على ذلك الإفساد، نعلم أن الكَرّة تعود لليهود في الإفساد الثاني على الأجيال اللاحقة من المسلمين، وهي الأجيال التي تعيش في هذا الزمان": ثم رددنا لكم الكرة عليهم ."ولم تكن لليهود كرة على الأقوام السابقين الذين حاربوهم" .

وأمددناكم بأموال وبنين ".....أي أن قوة اليهود ليست ذاتية بل خارجية، أمدهم الله بها ليقضي عليهم، ويتم بوسيلتين هما الأموال والبنين، وهذا ما نراه واضحاً في أيامنا هذه، فالغرب يمدهم بالمال ويسهل هجرة اليهود إلى فلسطين.

" جئنا بكم لفيفاً ".....لقد مضى على اليهود أكثر من قرن وهم يأتون ملتفين في هجرات متتابعة إلى فلسطين، ولن يتوقف ذلك حتى يتم تجميع كل اليهود في هذه المنطقة تمهيداً للقضاء عليهم" .وجعلناكم أكثر نفيراً"...أي أن الله عز وجل سيجعل اليهود الأكثر أعواناً ومؤيدين، وهذا يبدو واضحاً من مواقف العالم معهم.

" إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم "...هذا رد على زعم تفرد اليهود على البشرية، وتفضيلهم على باقي الناس، فهي أوهام اخترعوها ولا أساس لها .هذا هو الإفساد الأخير لليهود.

تحدث القرآن عن الإفساد الثاني لليهود بقوله" : فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم " وبقوله" : فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً" ، فكلمة "الآخرة" لا يراد بها يوم القيامة، فليست هي المقابلة للدنيا، وإنما الآخرة هنا هي المقابلة للأولى، الأولى في قوله "

فإذا جاء وعد أولاهما" أي المرة الأولى، والآخرة "فإذا جاء وعد الآخرة" أي المرة الثانية في الإفساد، وتدل على أنه سيكون الإفساد الأخير.

لماذا قال" : ليسوءوا وجوهكم" ؟ إن المعركة بين المسلمين واليهود لا ينتج عنها إبادة اليهود وإفناؤهم والقضاء عليهم، وإنما ينتج عنها إزالة فسادهم وتدمير كيانهم، وتحويلهم إلى مجموعات يهودية ذليلة مهزومة مسحوقة، فإساءة وجوه اليهود لا تعني إفناؤهم.

اليهود والمسيح الدجال سيظهر الدجال - وهو يهودي - في آخر الزمان من أصفهان بإيران، وسيتبعه منها سبعون ألف يهودي، ثم يحاربهم المسلمون ومعهم عيسى عليه السلام الذي سيقتل الدجال بيده الشريفة، وسيقضي المسلمون على كل يهودي تحقيقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، فتقتلوهم حتى ينطق الشجر والحجر فيقول :" يا مسلم يا عبدالله : هذا يهودي ورائي تعال فاقتله" ."وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة" يعود الضمير الفاعل في "ليدخلوا" على الضمير الفاعل في "ليسوءوا" ، فالذين يسوءون وجوه اليهود هم الذين يدخلون المسجد كما دخلوه أول مرة، والمراد بالمسجد هنا المسجد الأقصى، وهم المسلمون الذين دخلوه فاتحين أول مرة عندما حرروه من الرومان، وتم لهم فتح الشام ونشر الإسلام فيه.

فالمعركة عند الإفساد الثاني بين اليهود والمسلمين ستكون معركة إسلامية إيمانية، وليست معركة قومية أو يسارية أو إقليمية وليست معركة فلسطينية أو عربية أو غير ذلك.

لطائف قرآنية من الآيات الأفعال التي تشير إلى تمكن اليهود ثلاثة هي" : رددنا" -" أمددناكم" -" جعلناكم" الفاعل في الأفعال الثلاثة " نا " يعود إلى الله عز وجل فهو يفعل لهم تلك الأفعال، وفق حكمته ومشيئته تمهيداً لقضاء المسلمين عليهم. وعند كلام الآية عن فعل المسلمين بهم، فقد عرضت ثلاثة أفعال مسندة للمسلمين المجاهدين هي" : ليسوءوا " -"وليدخلوا" -" وليتبروا" الفاعل في الأفعال الثلاثة " الواو " يعود على المسلمين، صحيح أن الله هو الذي يقرر ويقدر، لكن إسنادها للمسلمين تكريم من الله لهم، وتشريف لهم. إذاً هي أفعال ثلاثة لليهود تقابلها أفعال ثلاثة للمسلمين.

وهناك لطيفة قرآنية أخرى فعندما تكلمت الآية عن تحقق الإفساد الثاني لليهود، وعن تدمير المسلمين له عبرت بحرف الشرط "إذا" فقالت "فإذا جاء وعد الآخرة، ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً ". بينما عبرت بحرف الشرط "إن" عند كلامها عن إحسان اليهود "إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها" عبرت بحرف الشرط "إن" عند كلامها عن عودة اليهود للإفساد "وإن عدتم عدنا "وهناك فرق بين "إذا" و "إن" الشرطيتين . تدخل "إذا" على فعل الشرط إذا كان متحققاً وقوعه متأكداً منه، لا شك فيه، وتدخل "إن" على فعل الشرط غالباً إذا كان مستحيل الوقوع أو مشكوكاً في وقوعه .أي أن الإفساد الثاني لليهود سيتحقق وأن إحسانهم لن يتحقق.

وبما أن عودة اليهود للإفساد بعد تدمير كيانهم في إفسادهم الثاني مستحيلة، عبر عنها بحرف "إن" التي تدل على هذا المعنى "إن عدتم عدنا" وإن غداً لناظره قريب، والله تعالى أعلم.

قال الله – تعالى – في حق اليهود :(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾]الأعراف: ١٦٧.[

قال بعض المفسرين :هم العرب، يسومون اليهود سوءَ العذاب إلى يوم القيامة، قال ذلك ابنُ عبَّاس، وقتادة، وسعيد، وغيرهم.

وقد وردتِ الأحاديث الصحيحة في قتال المسلمين لليهود، وتسليط المسلمين عليهم، حتى خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم – عليه السلام – الذي يقتُل الدجال وشيعتَه من اليهود، ويحكم المسيح ابن مريم بشريعة الإسلام، ويكسِر الصليب، ويقتُل الخنزير، ويضع الجزية، والمسلمون أنصارٌ له وأعوان.

وفي" صحيح مسلم"عن عبدالله بن عمر: أنَّ رسول الله–صلى الله عليه وسلم– قال: ((تقتتلون أنتم ويهود، حتى يقول الحجر: يا مسلمُ، هذا يهودي ورائي فاقتلْه))، وفي لفظ آخر قال: ((تقاتلكم يهود، فتسلطون عليهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله)).

وروى مسلم في صحيحه أيضًا عن أبي هريرة :أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– قال: ((لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعالَ فاقتلْه، إلا الغرقد؛ فإنَّه من شجر اليهود)).

وعن أنس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال :((يتبع الدجالَ من يهود أصفهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة))؛ رواه مسلم.

وروى أحمد عن أنس بن مالك، قال :قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((يخرج الدجال من يهود أصبهان، معه سبعون ألفًا من اليهود عليهم السيجان)).

وروى أحمد عن ابن عمر :أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((تقاتلكم اليهود، فتسلَّطون عليهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتلْه))؛ وأصله في الصحيحين.

ورَوى أحمد عن عائشة، قالت :دخل عليَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنا أبكي، قال: ((ما يُبكيكِ؟))، قلت: يا رسول الله، ذكرتُ الدجَّال فبكيت، فقال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إنْ يخرج وأنا حيٌّ كفيتُكموه، وإن يخرج بعدي فإنَّ ربكم ليس بأعور، إنَّه يخرج في يهودية أصبهان، حتى يأتيَ بالمدينة، فينزل ناحيتها ولها يومئذٍ سبعةُ أبواب، على كل نقب منها ملَكان، فيخرج إليه شرارُ أهلها، حتى يأتي الشام مدينة بفلسطين بباب لُدّ، فينزل عيسى ابن مريم فيقتله، ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة إمامًا عادلاً)).

وعن مجمع بن حارثة قال :سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((يقتل ابنُ مريم الدجالَ بباب لدّ))؛ رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح، قال: وفي الباب عن عمران بن حصين، ونافع بن عقبة، وأبي برزة، وحذيفة بن أبي أسيد، وأبي هريرة، وكيسان، وعثمان بن أبي العاص، وجابر، وأبي أمامة، وابن مسعود، وعبدالله بن عمرو، وسمرة بن جندب، والنواس بن سمعان، وعمرو بن عوف، وحذيفة بن اليمان.

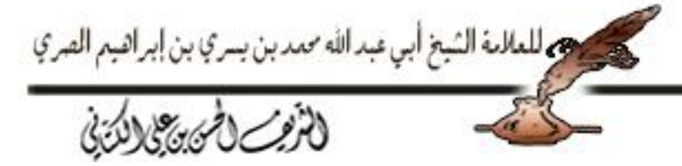
وروى أحمدُ عن جابر بن عبدالله، قال :قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((يخرج الدجَّال في خَفْقَةٍ من الدين، وإدبار من العلم، وله أربعون ليلة يسيحها في الأرض،

اليوم منها كالسنة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة، ثم سائر أيامه كأيامكم...))
فذكر الحديث إلى أن قال:

))ثم ينزل عيسى ابن مريم، فينادي من السحر فيقول: يا أيها الناس، ما يمنعكم الخروج إلى الكذَّاب الخبيث، فيقولون: هذا رجل جني، فينطلقون، فإذا هم بعيسى ابن مريم، فتُقام الصلاة، فيقال له: تقدم يا رُوحَ الله، فيقول: ليتقدمْ إمامكم فَلْيُصَلِّ بكم، فإذا صلَّوا صلاة الصبح خرجوا إليه، فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث المِلْح في الماء، فيمشي إليه فيقتله، حتى إنَّ الشجر والحجر لينادي: يا رُوحَ الله، هذا يهودي، فلا يترك ممن كان يتبعه أحدًا إلا قتله.((

وروى أحمد عن جابر بن عبدالله، قال :أشرف رسول الله–صلى الله عليه وسلم– على فَلَقٍ من أفلاق الحَرَّة ونحن معه، فقال: ((نعمتِ الأرضُ المدينةُ إذا خرج الدجَّال على كل نَقْبٍ من أنقابها مَلَك لا يدخلها)) وفيه: ((معه سبعون ألفًا من اليهود، على كل رجل منهم ساجٌ وسيفٌ محلًّى، فيضرب رواقه [فتُضرب رقبتُه. ت] بهذا الضرب الذي عند مجتمع السيول...)) الحديث؛ صححه الحاكم.

وروى ابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي، قال :خطبَنا رسول الله–صلى الله عليه وسلم– فكان أكثر خطبته حديثًا حدَّثناه عن الدجال وحذرناه، فكان من قوله أنه قال: ((لم تكن في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم – عليه السلام – أعظم من فتنة الدجال، وإنَّ الله لم يبعث نبيًّا إلا حذَّر أمَّتَه الدجالَ، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارجٌ فيكم لا محالة، فإنْ يخرج وأنا بين ظهرانيكم، فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج بعدي، فكل امرئ حجيج نفسِه، والله خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق...)) إلى أن قال:
فقالت أم شريك بنت أبي العكر :يا رسول الله، فأين العرب يومئذٍ؟ قال: ((هم قليل، وجُلُّهم يومئذٍ ببيت المقدس، وإمامُهم رجلٌ صالح، فبينما إمامهم قد تقدَّم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عيسى ابن مريم – عليه السلام – الصبح، فرجع ذلك الإمام يمشي القهقرى؛ ليتقدم عيسى



– عليه السلام – فيضع عيسى يدَه بين كتفيه ثم يقول: تقدمْ صلِّ؛ فإنها لك أقيمتْ، فيصلي بهم إمامهم، فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتح ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب المِلح في الماء وينطلق هاربًا، فيقول عيسى: إن لي فيك ضربةً لن تسبقني بها، فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله، ويهزم الله اليهود، فلا يبقى شيءٌ مما خلق الله – تعالى – يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيءَ، لا شجر ولا حجر، ولا حائط ولا دابة – إلا الغرقدة؛ فإنها من شجرهم لا تنطق – إلا قال: يا عبد الله المسلم، هذا يهودي، فتعالَ اقتله...)) إلخ.

وعن نهيك بن صريم السكوني قال :قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((لتقاتلنَّ المشركين، حتى يقاتل بقيَّتُكم الدجال على نهر الأردن، أنتم شرقيه، وهو غربيه))، قال: وما أدري أين الأردن يومئذٍ من الأرض؛ رواه البزار.

وعن حذيفة قال :قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: ((أنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران، أحدهما نار تأَجَّج في عين من يراه، والآخر ماء أبيض، فمن أدركه منكم فليغمض عينه ويشرب من الذي يراه نارًا؛ فإنه ماء بارد، وإياكم والآخرَ؛ فإنه فتنة، واعلموا أنه مكتوب بين عينه" كافر"، يقرؤه من كتب ومن لم يكتب، وإن إحدى عينيه ممسوحة عليها ظفرة، وإنه يطلع عليكم من آخر أمره على بطن الأردن على ثنية أفيق، وكل أحدٍ يؤمِن بالله واليوم الآخر ببطن الأردن، وإنه يقتل من المسلمين ثلثًا، ويهزِم ثلثًا، ويبقى ثلث، فيحجز بينهم الليل، فيقول بعض المؤمنين لبعض: ما تنتظرون أن تلحقوا إخوانكم في مرضاة ربِّكم؟ من كان عنده فضل طعام فليَعُدْ به على أخيه، وصلوا حين ينفجر الفجر، وعجلوا صلاتكم، ثم أقبلوا على عدوِّكم، قال: فلما قاموا يصلون، نزل عيسى وإمامهم يصلي، فلما انصرف قال هكذا، فرِّجوا بيني وبين عدوِّ الله.

قال: فيذوب كما يذوب الملح، فيسلط الله عليهم المسلمين فيقتلونهم، حتى إنَّ الحجر والشجر لينادي: يا عبد الله، يا مسلم، هذا يهودي، فاقتله، ويظهر المسلمون، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية...))؛ الحديث رواه ابن منده، قال الذهبي: هذا إسناد صالح. اهـ.

وهذا من معجزات الرسول-صلى الله عليه وسلم- الذي أخبر عن قتال المسلمين لليهود في آخِر الزمان قبلَ وقوعه بأكثرَ من ثلاثة عشر قرنًا من الزمان، وقبل خمسين سنة لم تكن نسبةُ اليهود في فلسطين تبلغ ٧ ٪ في المائة بالنِّسبة للسكان العرب في فلسطين، ولم يقم لليهود دولةٌ بين العرب إلا منذ عشرين سنة.

وها هي الحرْب مستمرة بين العرب واليهود، يستعر أوارها، وتضطرم نارها، وما فتئ اليهود في عدوانهم وطيشهم سادرين، وقد أثاروا نقمةَ العالم الإسلامي، واستبان طغيانهم للعالم أجمع، وهم يقطفون ثمار عدوانهم على أيدي المجاهدين الفلسطينيين، ومن ورائهم المسلمون في كل صُقع وناحية، وقد ورد في الكتب القديمة ما يشير إلى ذلك.

فقد جاء في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر حزقيال ما يلي:

وكان إليَّ كلام الرب قائلاً:

يا ابن آدم، قد صار لي بيت إسرائيل زغلاً كلهم نحاس وقصدير وحديد ورصاص في وسط كور، صاروا زغل فِضَّة لأجل ذلك، هكذا قال السيِّد الرب من حيث إنكم كلكم صرتم زغلاً، فلذلك هأنذا أجمعكم في وسط أورشليم جمع فِضَّة ونحاس ورصاص وقصدير إلى وسط كور لنفخ النار عليها لسبكها، كذلك أجمعكم بغضبي وسخطي، وكما تُسبك الفضَّة في وسط الكور كذلك تسبكون في وسطها، فتعلمون أني أنا الرب سكبت سخطي عليكم.

وفي الإصحاح السادس من سفر أرميا:

هكذا قال الرب: هو ذا شعب قادم من أرض الشمال، وأمة عظيمة تقوم من أقاصي الأرض تُمسك القوس والرمح، هي قاسية لا ترحم، صوتها كالبحر يعج، وعلى خيل تركب مصطفة

كإنسان لمحاربتك يا ابنة صِهْيون، سمعنا خبرها، ارتخت أيدينا، أمسكنا ضيق ووجع كالماخض، لا تخرجوا إلى الحقل، وفي الطريق لا تمشوا؛ لأن سيف العدو خوف من كل جهة.

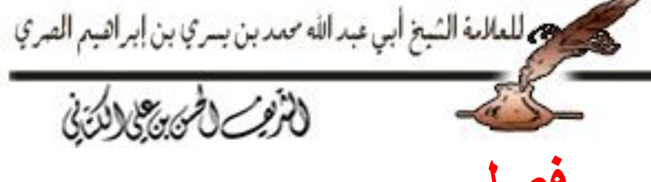
وفي الإصحاح السادس من سفر عاموس: يخاطب بني إسرائيل:

أنتم الفرحون بالبطل، القائلون :أليس بقوتنا اتخذنا لأنفسنا قرونًا؟ لأني هأنذا أقيم عليكم يا بيت إسرائيل، يقول الرب إله الجنود: أمة يضايقونكم من مدخل حماة إلى وادي العربة.

وفي الإصحاح الحادي والخمسين من أخبار الأيام الأول:

انهضي قومي يا أورشليم، التي شربت من يد الرب كأس غضبِه، ثفل كأس الترنح شربت، مصصتِ، ليس لها من يقودها من جميع البنين الذين ربتهم، اثنان هما ملاقيك: من يرثي لك الخراب والانسحاق، والجوع والسيف بمن أعزيك، بنوك قد أعبوا، اضطجعوا في رأس زقاق كالوعل في شبكة الملآنون من غضب الرب من زجرة إلهك، لذلك اسمعي أيتها البائسة والسكرى وليس بالخمر - هكذا قال سيدك الرب وإلهك الذي يحاكم لشعبه هأنذا قد أخذت من يدك كأسَ الترنح من ثفل كأس غضبي، لا تعودين تشربينها في ما بعد، وأضعها في يد معذِّبيك الذين قالوا لنفسك: انحني لنعبر، فوضعتِ كالأرض ظهرك وكالزقاق للعابرين.

وقد هرع اليهود إلى فلسطين، واختاروها على أي بقعة أخرى من العالم؛ انتظارًا لما ورد من أخبار وإشارات عن تجمُّعهم بها في آخر الزمن، وفي التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون، وبيانات زعماء اليهود وكتابهم - شيء كثيرٌ من ترقب ذلك التجمع الذي أسسوه على البغي والشر، فكان جزاؤهم السيف والانسحاق والدمار، حتى تكون إبادتهم نهائيًّا على يد المسيح ابن مريم - عليه السلام - وجنده من المسلمين، قال الله – تعالى :- ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].



فصل
قتال اليهود
ممتد إلى قيام الساعة

قال المؤلف حفظه الله:

١٣- يعتقد المسلمون أن الصراع مع اليهود المعتدين ممتد إلى قرب قيام الساعة، وليس في هذا استنامة أو تقاعس عن واجب جهاد المغتصبين بكل سبيل سياسي وإعلامي وعسكري، ومقارعتهم وإخراجهم من الأقصى وبيت المقدس وإزالة دولتهم، فإن قتالهم بالأمر الشرعي الإلهي البات الجازم، هو ما يمتثله المسلم في كل زمان ومكان بحسب قدرته واستطاعته، والخطاب في هذا كما يتوجه إلى الأفراد والهيئات، يتوجه كذلك إلى الدول والحكومات، ومن باع بيت المقدس بعَرَضٍ من الدنيا لن يشتريه بالدماء!

قال أبو محمد:

إنَّ الصِّراع بين المسلمين وبين اليهود مستمرٌّ إلى قيام السَّاعة، وإنَّ اليهود مهما كانت لهم دولة؛ فإنَّها هي جولة، ومهما كانت لهم دائرة فهي سائرة، وعلى الباغي تدور الدَّوائر، وتدول الدَّوائل، ولهذا بشَّر النَّبيُّ صلّى الله عليه و سلم أمَّته أنَّ العاقبة لهم والنَّصر حليفهم، حيث أخبر أنَّه سيقتتل المسلمون مع اليهود في مستقبل الزَّمان؛ فيتسلَّط المسلمون عليهم، ويُظهر الله عزّ و جلّ الآيات البيِّنات، ويسخِّر للمسلمين الجمادات، ويُنْطِقُ الحجرَ والشَّجرَ إذا اختفى يهوديٌّ وراءه ليدلَّ عليه، فيقول للمسلم: يا مسلم يا عبد الله! هذا يهوديٌّ ورائي

فاقتله، فجمع بين وصفين: الإسلام والعبوديَّة لله تعالى، ليبيَّن أنَّ الَّذي يستحقُّ هذا الفضل إنَّما هو من تحلَّى بهذين الوصفين.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلم قال:

«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ اليَهُودَ فَيَقْتُلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ اليَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الحَجَرُ أو الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ الله! هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلاَّ الغَرْقَد فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ»[1].

وقد دلَّ هذا الحديث على حِكَم وأحكام كثيرة، نجملها فيما يلي:

أوّلا:

قوله: «اليهود»، قيل: سمِّيت اليهود اشتقاقًا من هادُوا: أَي تابوا، والهَوْد: التَّوبة، هَادَ يهود هَوْدًا وهيادة، وتهوَّد: تاب ورجع إلى الحقِّ، فهو هائد: أي تائب، قال الشَّاعر:

إنّي امرؤ من حبّه هائد

[1] أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسِّير، باب قتال اليهود (٢٧٦٨) ومسلم ـ واللَّفظ له ـ في الفتن وأشراط السَّاعة، باب: لا تقوم السَّاعة حتَّى يمرَّ الرَّجلُ بقبر الرَّجل (٢٩٢٢)، وله شاهد من حديث ابن عمر مرفوعا، ولفظه: «تُقَاتِلُكُمُ اليَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَقُولُ الحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ»، أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النُّبوَّة في الإسلام (٣٣٩٨)، ومسلم في الفتن وأشراط السَّاعة، باب لا تقوم السَّاعة حتَّى يمرَّ الرَّجلُ بقبر الرَّجل (٢٩٢١).

أي تـائـب، وسـمُّوا بذلك؛ لأنَّهم تابُوا عن عبادة العجل، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أي تبنا إليك.

واليهود جمع يَهُودِيٌّ، فـأَدخلوا الألف واللاَّم فيهـا على إِرادة النَّسـب، كما يُقـال في المجوس: مَجوسِيٌّ، وفي العَجَم والعَرَب: عَجَمِيٌّ وعَرَبِيٌّ؛ وأَرادوا باليَهُودِ اليَهُودِيِّينَ، ولكنَّهم حَذَفُوا ياءَ الإضافة، كما قالوا: زِنْجِيٌّ وزِنْج.

وقيـل: لنسـبتهم إلى «يهوذا» أكبر أولاد يعقوب؛ فقلبـت العرب الـذَّال دالاً؛ لأنَّ الأعجميَّـة إذا عرِّبت غيِّرت عن لفظها. وهذا هو الراجح، فإن بني إسرائيل كانوا مسـلمين موحدين، وأسـس لهم داود، عليه السـلام، مملكة عظيمة، لكن هذه المملكة انقسـمت بعد وفـاة سـليمان بن داود، عليهما السـلام، لمملكتين: مملكـة يهوذا، وعاصـمتها بيت المقدس (أورشـليم) وكان لسبط يهوذا الملك والسلطان، وانضم إليهم سبط بنيامين، ومملكة إسرائيل وعـاصـمتهـا شـكيم (نـابلس)، وفيها بقية أسـباط بني إسرائيل، وكانت أكبر من الأول، ودمرت على يد الآشوريين سنة ٧٢٢ قبل الميلاد.

أما مملكة يهوذا فاستمرت إلى سنة ٥٩٧ ق.م. حيث غزى نبوخذ نصر البابلي المملكة وسبى أهلها السبي الأول، ثم دمرها وقضى عليها وسبى أهلها إلى بابل سنة ٥٨٦ ق.م.

وحيث إن بني إسرائيل جاءوا من مملة يهوذا فقد لقبوا باليهود تدريجيا. وبقي اسم السامريين على من بقي في أرض السامرة التي قاعدتها نابلس[1].

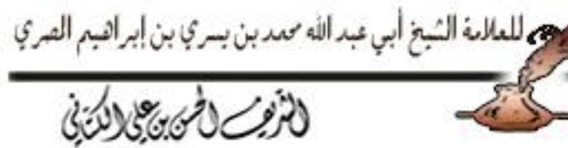
ثانيا:

فيه إشارة إلى أنَّ اليهود سيحتلُّون بيت المقدس، ويجتمعون كلُّهم فيه، وأنَّهم يغرسون شجرة الغرقد، ليحتموا بها ويختفوا من ورائها، فيقاتلهم المسلمون، ويتسلّطون عليهم، ؛ ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء:٧]، ويشهد له أيضا ما رواه البخاري (٣٠٠٥) عن عوف بن مالك قال: أتيت النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبَّة من أدم فقال: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»، وذكر بقيَّة الحديث.

ففيه علم من أعلام النَّبوَّة، حيث إنّه وقع ما أخبر به النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، فقد احتلَّ اليهود بيت المقدس، وأكثروا من غرس شجرة الغرقد في الأراضي الفلسطينيَّة المغتصبة، لعلمهم بما أخبر به النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم؛ وسيقاتلهم المسلمون ويغلبون عليهم، كما أخبر بذلك الصَّادق المصدوق.

---

[1] انظر «لسان العرب»: مادة «هود»، «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٨٥)، «تفسيرالقرطبي» (١/ ٤٣٢).



ثالثا:

وفيه علم من أعلام النَّبوَّة أيضًا، حيث أخبر النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم عن أمر غيبيٍّ سيقع، وقد وقع الاقتتال مرَّات وكرَّات، وكان القتال سجالاً، وسيقع القتال الحاسم الَّذي ينتصر فيه المسلمون على اليهود الظَّالمين، كما وعدنا به سيِّد المرسلين، وإنَّ غدًا لناظره لقريب.

رابعًا:

وفيه دلالة على أنَّ الصِّراع مع اليهود ليس قصير الأجل، قريب الأمل، بل يمتدّ إلى قيام السَّاعة، مهما تخلّله التطبيع المفضي إلى التمييع.

خامسًا:

وفيه بيان أنَّ اليهود أشدُّ عداوة للمسلمين من غيرهم، لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنّه سيقاتلهم المسلمون، ولم يذكر طائفة أخرى، ولا شكّ أنّ عداوتهم قديمة منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كفروا بالرَّسول صلى الله عليه وسلَّم، وهمُّوا بقتله غير مرَّة، وسمُّوه وسحروه، ونقضوا عهده، وألبُّوا عليه أعداءه، وتحالفوا مع كفَّار قريش ضدَّه.

وقد استمرَّت عداوتهم للإسلام والمسلمين إلى العصر الحديث، حيث احتلُّوا أرض فلسطين، وعاثوا فيها فسادًا، فشرَّدوا أهلها، وقتلوا أطفالها، واغتصبوا نساءها، ودمَّروا ديارها، وخرَّبوا مساجدها، وجرفوا أراضيها، وقلعوا أشجارها، وانتهكوا حرماتها، وما

حـدث في «غزَّة» اليوم خيرُ شـاهد على ما تكنُّه هذه العصـابة المارقة من البغض الشَّـديد، والعـداء المـديـد لأهـل التَّوحيـد، فهـذا المدعو: «مناحيم بيجن» يقول في كلمته: «أنتم أيُّها الإسرائيليُّون! لا يجب أن تشـعروا بالشَّـفقة حتَّى تقضـوا على عدوِّكم، ولا عطف ولا رثاء حتَّى تنتهوا من إبادة ما يسمَّى بالحضارة الإسلاميَّة، الَّتي سنبني على أنقاضها حضارتنا»[1].

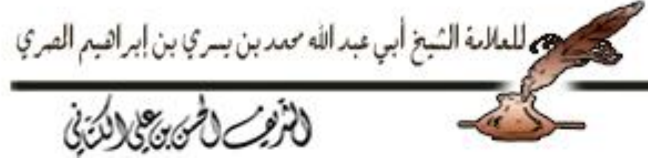
وقـد كشـف الله تعالى هذه الحقيقة فقال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَـدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

سادسا:

قوله: «لاَ تَقُومُ السَّـاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ»، المراد بقتال اليهود وقوع ذلك عند خروج الدَّجَّال، ونزول عيسـى؛ ويشهد لذلك ما رواه ابن عمر مرفوعًا: «يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّـبَخَةِ[2] بِمَرِّ قَنَاة فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَـاءُ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ ثُمَّ يُسَـلِّطُ اللهُ الْمُسْـلِمِينَ عَلَيْهِ

[1] «صراعنا مع اليهود» (٥٩).

[2] السبخة بالفتح الأرض المالحة، وجمعها سباخ؛ وهي معروفة. وانظر «مشارق الأنوار» (٢/ ٣٩٩).



فَيَقْتُلُونَهُ وَيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ حَتَّى إِنَّ الْيَهُودِيَّ لَيَخْتَبِئُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَوْ الحَجَرِ فَيَقُولُ الحَجَرُ أَوْ الشَّجَرَةُ لِلْمُسْلِمِ: هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْتِي فَاقْتُلْهُ»[1].

وقد وقع صريحًا في حديث أبي أمامة في قصَّة خروج الدَّجَّال ونزول عيسى، وفيه: «قَالَ عِيسَى ؛: افْتَحُوا البَابَ فَيُفْتَحُ وَوَرَاءهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْف يَهُودِيٍّ كُلّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وسَاج[2] فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللّدّ الشَّرْقِي؛ فَيَقْتُلُهُ فَيَهْزِم اللهُ اليَهُودَ فَلاَ يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلاَّ أَنْطَقَ اللهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ لاَ حَجَر وَلاَ شَجَر وَلاَ حَائِط ولاَ دَابَّة إِلاَّ الغَرْقَدَة فَإِنَّها مِنْ شَجَرِهِمْ لاَ تَنْطِقُ إِلاَّ قَالَ يَا عَبْدَ اللهِ المسلم هَذَا يَهُودِيٌّ، فتعال اقتله»[3].

ولا يفهم من هذا أنَّ المسلمين يبقون مكتوفي الأيدي ينتظرون نزول المسيح ليقتل اليهود، ويطهِّر بيت المقدس من دنسهم، بل هو إخبارٌ عمَّا سيقع في آخر الزَّمان، بل الواجب عليهم أن يعدُّوا العدَّة لاسترجاع البيت المقدس في أيِّ وقت.

سابعا:

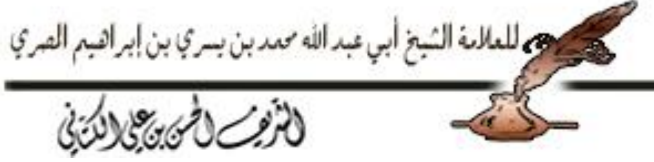
---

[1] رواه أحمد (٩/ ٢٥٥)، وفيه محمَّد بن إسحاق، وهو مدلِّس، وقد عنعنه، وبقية رجاله ثقات.

[2] الساج: هو الطيلسان الأخضر، وجمعه السيجان. أنظر «غريب الحديث» لابن الجوزي (١/ ٥١٢).

[3] أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧)، وصحَّحه الشَّيخ الألباني: في «صحيح الجامع» (٧٨٧٥)، وقال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٦١٠): «وأصله عند أبي داود ونحوه في حديث سمرة عند أحمد بإسناد حسن؛ وأخرجه ابن منده في كتاب الإيمان من حديث حذيفة بإسناد صحيح».

فيه إشـارة إلى أنَّ الصِّراع بين المسلمين واليهود، وتحرير البيت المقدَّس من الاحتلال لا يكون إلاَّ بـالجهـاد في سـبيـل الله تعالى، لا بعقد المؤتمرات، وإجراء المفاوضــات، وكثرة القرارات، ورفع الشِّـعـارات وإقـامـة المظاهرات، أو اللُّجوء إلى مجلس الأمن (لليهود)! أو الرُّجوع إلى هيئـة الأمم المتَّحـدة (على المســلمين)! وقـد جرّبت هذا الوســائل: بدأً باتِّفاقيَّة «كـامـب ديفـد» (المعـاهدة المصريَّة الإسرائيليَّة)، ومرورًا باتِّفاقيَّة «أسـلوا» (مؤتمر مدريد ١٤١٣)، واتِّفـاقيَّـة وادي عربـة (المعـاهدة الأردنيَّة الإسرائيليَّة)، وكلُّها باءت بالفشــل، بل تحدّى هؤلاء اليهود قرارت مجلس الأمن القاضـية بانسحاب إسرائيل (الدولة اليهودية) من الأراضي الفلسـطينيَّة، بل ما زادهم ذلك إلاَّ تصلُّبًا بمواقفهم، ونقضًا لعهودهم، واستخفافًا بمفوِّضـيهم، وقد نقضــوا الوعود والعهود مع الله ومع رســوله، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُــونَ عَهْدَ اللهَّ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [الرعد: ٢٥]، وقال سـبحانه: ﴿ فَبِمَا نَقْضِــهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِـآيَـاتِ اللهَّ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهَّ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النســاء ١٥٥]، فكيف لا ينقضــون عهدهم مع الناس؟! إنّ هؤلاء اليهود، لا يحاورون إلا بإراقة الدماء، ولا يفاوضون إلا على رؤوس الجماجم والأشلاء. وإنّ الحرب والإبـادة الجماعيـة في الفكر اليهودي لمن المسـلّمات والبديهيات، لأنّهم هم الشـعب المختار –بزعمهم– ولأنّ الأرض ملك لهم، فوجب طرد الشـعوب منها عن طريق الحرب والإبادة.



وإذا كانت هذه لغتهم، فوجب مخاطبتهم باللغة التي يفهمونها أو يفهمون، وإنّ اليهود قد اغتصبوا الأرض، فوجب معاملتهم معاملة المغتصب، وإنَّ البيت المقدَّس أُخِذَ بالقوَّة، ومن الحكمة السَّائرة على ألسنة السَّاسة: «ما أُخِذ بالقوَّة فلا يستردُّ إلاَّ بالقوَّة».

صحيح أنَّ الدَّولة اليهوديَّة متفوِّقة من حيث التَّسلُّح، وتعتبر رابع دولة أقوى في العالم من حيث التّرسانة العسكريَّة، وهي مدعَّمة من أمريكا مباشرةً، ومن الدَّول الأوروبيَّة مباشرة أو غير مباشرة، لكن أمرنا الله تعالى [(بأن) قد تكون (أن) أولى] نعدَّ لهم العدَّة فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ثمَّت سلاح آخر استأثر به المسلمون، لا يملكه اليهود ومن شايعهم، ولا يفقهونه، وهو سلاح الإيمان، والاستعانة بالله، وصدق التوجُّه إليه، والدُّعاء في جوف اللَّيل، ولا شكَّ أنَّه أمضى وأنكى.

إن يكن لليهود آلات قتال *** فلنا في هجعة الليل القنوت

وقد روى سعد بن أبي وقاص عن النبي عليه الصَّلاة والسَّلام قال: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»[1].

ولقد انتصر المسلمون على المشركين في غزوة بدر بقوَّة الإيمان، رغم أنَّهم كانوا قلَّة وأذلَّة، بينما انهزموا في غزوة أحد ـ رغم أنَّ النَّصر كان حليفهم في بداية المعركة ـ لمّا خالفوا أمر

---

[1] رواه النسائي (٣١٧٨) بإسناد صحيح، وهو في البخاري (٢٧٣٩) دون زيادة: «بدعوتهم...».

النَّبيِّ عليه الصلاة والسَّلام وطمعوا في الغنائم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران : ١٥٢]، والتَّاريخ الإسلاميُّ حافل بالفتوحات الإسلاميَّة والانتصارات الرَّبَّانيَّة حتَّى في العصر الحديث بسبب قوَّة الإيمان، رغم قلَّة العدد، وضعف المدد، وهو شاهد على الهزائم والانتكاسات الَّتي لحقت بالمسلمين بسبب ضعف الإيمان واتِّباع الشَّهوات، كما وقع في الأندلس.

ثامنًا:

فيه دلالة على أنَّ الله تعالى يؤيِّد المؤمنين في قتال اليهود، بإظهار آياته ومعجزاته، وذلك بتسخير كلِّ الجمادات ـــ كما في رواية أبي أمامة ـــ لتُعين المسلمَ على قتل اليهوديِّ إلاَّ شجرة الغرقد.

تاسعًا:

وفيه ظهور الآيات قرب قيام السَّاعة؛ من كلام الجماد من شجر وحجر، وظاهره أنَّ ذلك ينطق حقيقة، وليس ذلك على الله بعزيز، وقد أنطق الله تعالى نملة سليمان، فقال حكاية عنها: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل ١٨]، كما ينطق يوم القيامة دابَّة تكلِّم النَّاس، حيث قال: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل ٨٢]، والواجب قبول مثل هذه الأخبار بالرِّضا والإذعان، والتَّسليم والاطمئنان، ولا تردُّ

بزبالـة الأذهـان ونحالة الهذيان، وقد روى البخاري (٣٢٨٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «صلّى رسـول الله صلى الله عليه و سـلم صـلاة الصُّبح ثمَّ أقبل على النَّاس، فقال: بَيْنَا رَجُـلٌ يَسُـوقُ بَقَرَةً؛ إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ»، فقال النَّاس: سبحان الله! بقرةٌ تكلّم، فقال: فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ـــ وما هما ثمَّ ـــ، وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ: هَذَا اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السبع يَوْمَ لاَ رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي؟! فقال النَّاس: سبحان الله! ذئب يتكلَّم، قال: فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وما هما ثمَّ».

عاشرا:

فيه إشارة إلى أنَّ الصِّراع مع اليهود قائمٌ على أساس الإسلام لقوله عليه الصلاة والسَّلام: «يَا مُسْلِمُ»، ولم يقل: يا فلسطينيُّ، يا مصريُّ، يا عربيُّ...!! وعلى هذا؛ ينبغي أن نعتبر قضيَّة فلسطين قضيَّة إسلاميَّة، بعيدة عن النَّعرات القوميَّة والشِّعارات العروبيَّة؛ لأنَّ فلسطين أرض مقدَّسة ومباركة بنصِّ القرآن، وهي عريقة بإسلامها، فيها مسجد الأقصى الَّذي أُسْرِيَ إليه نبيُّنا عليه الصَّلاة والسَّلام، ومنه أعرج به إلى سدرة المنتهى، كما قال تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء : ١]، وكان أولى القبلتين، ومنع من شدّ الرحال إلا إليه والمسجد الحرام والمسجد النَّبوي؛ وقد اهتمَّ الإسلام به اهتمامًا بليغًا منذ أن سطع فجره، حيث بعث النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام جيشًا بقيادة زيد بن حارثة لتخليصه من الرُّوم سنة ثمان من الهجرة، ثمَّ تولَّى الأمر

بعده أبو بكر الصِّـدِّيق رضي الله عنه فبعث جيشًا قوامه (٢٤ ألفًا) بقيادة أبي عُبيد بن الجرَّاح رضي الله عنـه، ثمَّ كتـب الله تعـالى فتحه وتطهيره من أنجاس الرُّوم على يد عمر بن الخطَّاب الفاروق رضي الله عنه الَّذي فرَّق به بين الحقِّ والباطل والإيمان والكفر سـنة (١٥ هجرية)، وظلَّت فلسطين إسلاميَّة منذ ذلك الوقت حتَّى سنة (١٣٦٧هـــ ـ ١٩٤٨م) باستثناء فترة ما بين (٤٩٣ هــــ ٥٨٣ هــ)، الَّتي استطاع فيها الصَّليبيُّون الاستيلاء عليها، ثمَّ أعادها إلى حضن الإسلام القائد القوَّام صلاح الدِّين الأيُّوبي : في يوم الجمعة ٢٧ رجب ٥٨٣هـ.

وممَّا يؤكِّد على أنَّ قضـيَّة فلسـطين قضـيَّة إسـلاميَّة بحتة أنَّ من عقيدة اليهود: هدم المسـجد الأقصى- وبناء هيكل سـليمان المزعوم على أنقاضه، وهي عقيدة لا تخصُّ اليهود، بل تعدَّى إلى النصرانية البروتستانتيَّة (النصرانية الصُّهيونيَّة)، ولهذا نرى هذا الدَّعم غير المحدود ودون قيود من أمريكـا وأوربـا لدولة اليهود؛ لأنَّ هذه العقيدة لها أتباع كثر في تلك البلدان، وقد حاول اليهود مرَّات وكرَّات لهدم المسجد الأقصى، ويقومون حاليًا بحفريَّات كبيرة بعِلْمِ العَالَم، وتحت أنظاره، والله المستعان.

ولهـذا يحرص اليهود على إبعـاد الإسـلام من سـاحـة المعركة لاعتقادهم الجازم أنَّ العرب دون الإسـلام لا يساوون شيئًا، فقد نشرت صحيفة «يديعوت أحرنوت» اليهوديَّة في (١١/ ٣/ ١٩٨٧م/ ١١ رجب ١٤٠٧ هــــ) مقالاً جاء فيه: «إنَّ على وسـائل إعلامنا أن لا تنسـى حقيقة مهمَّة هي جزء من إستراتيجيَّة إسرائيل في حربها مع العرب، هذه الحقيقة هي: أنَّنا نجحنا بجهودنا وجهود أصـدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين

عامًا، ويجب أن يبقى الإســلام بعيدًا عن تلك المعركة إلى الأبد، ولهذا يجب أن لا نغفل لحظة واحـدة عن تنفيذ خطَّتنا تلك في اســتمرار منع اســتيقاظ الرُّوح الدِّينيَّة بأيِّ شــكل، وبأيِّ أسـلوب، ولو اقتضى الأمر الاسـتعانة بأصـدقائنا لاسـتعمال العنف لإخماد أيِّ بادرة ليقظة الرُّوح الإسلاميَّة في المنطقة المحيطة بنا».

إذًا، فـالصراع مع اليهود ليس صراعـا سـياسـيا، بل هو صراع دينيّ عقديّ، فهم يحاربون الإسلام، ولا يعرفون معنى للسلام، فوجب حلّه دينيًّا، ومواجهته عقديًّا.

إنّ هؤلاء العصـابة المارقة يقاتلوننا بدينهم الباطل، فلنقاتلهم بديننا الحقّ، لأنّ الحق يدحض الباطل، كما قال تعالى: (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق).

حادي عشر:

فيه إشـارة إلى أنَّ من أسباب النَّصر الرُّجوع إلى الإسلام الصَّحيح والتَّمسُّك بمبادئه وتعـاليمه قلبًا وقالبًا؛ وتحقيق التَّوحيد وإخلاص العبوديَّة لله وحده، لقوله صـلى الله عليه و سـلم : «يَا مُسْلِمُ! يَا عَبْدَ اللهِ!»، فمن اتَّصف بهذين الوصفين فهو المؤهَّل لحمل الأمانة ولواء النَّصر، ويشهد له ما رواه عبد الله بن عمر مرفوعًا: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بالعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ وَرَضِـيتُمْ بـالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ سَـلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لاَ يَنْزَعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»[1]، والإسـلام الصَّـحيح هو ما كان عليه النَّبيُّ صـلى الله عليه وسـلَّم وأصـحابه ومن سـار على

---

[1] رواه أبو داود (٣٤٦٢) بإسناد صحيح.

دربهم من التَّابعين وتابعيهم، ويدلُّ عليه قوله عليه الصلاة والسَّلام : «ثُمَّ تَكُونُ خِلاَفَة عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ سَكَتَ»[1]. وأخبر أنَّ الطَّائفة المنصورة إلى يوم القيامة هي ما كان عليه صلى الله عليه وسَلَّم وأصحابه.

ثاني عشر:

فيه إشارة إلى أنَّ اليهود، من خصالهم الجُبْن والخوف من الموت؛ وذلك لشدَّة حرصهم على الحياة، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة ٩٦]، ولقوله صلى الله عليه وسلَّم: «هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي»، وقد بيّن الله تعالى هذه الحقيقة، وكشف عن شخصيَّتهم الضَّعيفة، ونفسيَّتهم الهزيلة، وأنَّهم من جبنهم وهلعهم لا يقدرون على مبارزة أهل الإيمان إلاَّ وهم مستترون خلف الحيطان، مختفون وراء الجدران كالجرذان، بل يخافون من المسلمين أكثر من خوفهم من الملك الديّان، كما قال سبحانه: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤)﴾ [الحشر]، ولقد انكشفت هذه الحقيقة في هذا الزَّمان، بشكل واضح للعيان، حيث شهد عدوانهم الأخير على مدينة «غزَّة»، فما كانوا يقاتلون إلاَّ

[1] رواه أحمد (٣٠/ ٣٥٥) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، بإسناد صحيح.

بالطَّائرات والبوارج والدَّبَّابات، ولمّا نزلوا بساحة الوغَى، تحصّنوا بالقرى، وإذا اشتدّت الملحمة، تباكوا وسُمع لهم صياح كالذئب إذا عوى.

ثالث عشر:

فيه دليل على بقاء الإسلام وانتصاره وانتشاره إلى قيام السَّاعة، وإلى نزول عيسى عليه السَّلام؛ الَّذي يحكم بشريعة الإسلام، ويقاتل الدَّجَّال، ويستأصل اليهود الَّذين هم أتباع الدَّجَّال، لقوله: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ»، وقد وردت أحاديث تؤكِّد وتؤيِّد هذا المعنى، منها ما رواه ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ»[1]، وما رواه تميم الدَّاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلَّم يقول: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلاَ يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلاَمَ وَذُلاًّ يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ»[2].

رابع عشر:

---

[1] رواه مسلم (٧٤٤٠).

[2] رواه أحمد (٢٨/ ١٥٤)، وصحَّحه الشَّيخ الألباني وقال: على شرط مسلم كما في «تحذير السَّاجد» (ص١١٢).

وفيه أنَّ اليهود والكيان الصُّهيوني، ستنقضي جولتهم، وتنتهي دولتهم، وتنتكس أعلامهم وتنطمس معالمهم على أيدي المسلمين، مهما طال الليل والنهار، وتعاقبت الأمصار والأعصار، وإنّما الأمور بالخواتيم.

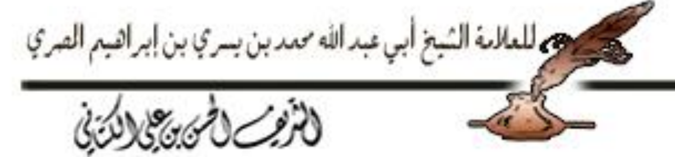
خامس عشر:

فيه دلالة على أنَّ اليهود قومٌ قد انطووا على الخبث كشجرتهم الغرقد، وهي شجرة شوكيَّة، ذات أشواك صلبة، لها تأثير سامٌّ، ولها ثمارٌ لا فائدة فيها، وتنمو في الأراضي الجافَّة المالحة الَّتي لا تصلح للزِّراعة، وهي من الشُّجيرات الَّتي يتشاءم منها البدو، ويزعمون أنَّ الجنَّ يسكنها، بسبب ضررها على الإنسان والماشية، قال الإمام النَّووي: «الغرقد نوعٌ من شجر الشَّوك معروف ببيت المقدس»[1].

ولا شكَّ أنَّ للبيئة تأثيرًا عجيبًا في طبائع النَّاس وأخلاقهم، ويظهر هذا جليًّا في اليهود، فقد حرموا كلّ صفات البرّ، وجمعوا كلّ خصال الشَّرِّ: من المكر والغدر، والحسد والبغض، والخيانة ونقض الوعد، والقسوة والغلظة، وقتل الأنبياء، والفحشاء والمنكر، وأكل الرِّبا والسُّحت، والخزي وغير ذلك، ويكفيك أنّهم أتباع الدجّال الذي إذا خرج أفسد في الأرض، وأهلك الحرث والنَّسل؛ ولهذا لمَّا يقتله المسيح، ويستأصل شأفة اليهود، يعمُّ الخير أرجاء الأرض، فيفيض المال ويحسن الحال، وتكثر الزُّروع والضُّروع، وتدفن الأحقاد

---

[1] في «شرح مسلم» (١٨/ ٤٥).

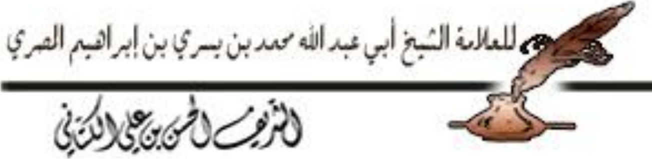


والأحساد، وتزول الشحناء والبغضاء، ويتحقَّق الأمان حتى مع الحيوان، وينزل من السَّماء ماء ليطهِّر الأرض من أرجاسهم وأنجاسهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُم ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلاً، فَيَكْسِر الصَّلِيبَ، وَيَقْتُل الخِنْزِيرَ، وَيَضَع الجِزْيَةَ، وَيَفِيض المَال حَيْثُ لاَ يَقْبَلُهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، ثمَّ يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء ١٥٩]».

وفي حديث النَّوَّاس بن سمعان رضي الله عنه: «ويهبط نبيُّ الله عيسى وأصحابه فلا يجدون موضع شبر إلا قد ملأه زهمهم ونتنهم ودماؤهم فيرغبون إلى الله فيرسل عليهم طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله عليهم مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسله حتى يتركه كالزلقة ثمَّ يُقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردِّي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرُّمَّانة، فتُشْبعهم، ويستظلّون بقحفها، ويبارك اللهُ في الرّسل حتَّى إنَّ اللقحة من الإبل تكفي الفئام من النَّاس، واللُّقحة من العنز تكفي القبيلة، واللُّقحة من الغنم تكفي الفخذ، فبينما هم كذلك، إذ بعث الله عليهم ريحًا طيِّبة فتأخذ تحت أباطهم، فتقبض روح كلِّ مسلم، ويبقى سائر النَّاس يتهارجون، كما تتهارج الحُمر، فعليهم تقوم السَّاعة»[١].

---

[١] رواه ابن ماجه (٤٠٧٥) بإسناد صحيح.



وفي حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أيضا: «فَيَكُونُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ في أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلاً، وَإِمَامًا قِسْطًا، يَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَذْبَحُ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الجِزْيَةَ، وَتُتْرَكُ الصَّدَقَةُ، فَلاَ يسْعَى عَلَى شَاةٍ وَلاَ بَعِيرٍ، وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ، وَتُنْزَعُ حُمة ذَاتِ كلِّ حُمة، حَتَّى يُدْخِلَ الوَلِيدُ يَدَهُ فِي الحَيَّةِ فَلاَ تَضُرُّهُ، وَتَفِرُّ الوَلِيدَةُ الأَسَدَ، فَلاَ يَضُرُّهَا، وَيَكُونُ الذِّئْبُ في الغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا، وَيمْلأُ الأَرْض مِنَ السِّلْمِ كَمَا يملأُ الإنَاء مِنَ المَاءِ، وَتَكُونُ الكَلِمَةُ وَاحِدَة، فَلاَ يُعْبَدُ إِلاَّ اللهُ، وَتَضَعُ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا، وَتَكُونُ الأَرْضُ كَفَاثُورِ الفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بعَهْدِ آدَمَ، حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى القَطْفِ مِنَ العِنَبِ فَيُشْبعَهُمْ، وَيَجْتَمِعُ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَّانَةِ فَتُشْبِعَهُمْ، وَيَكُونُ الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ المَالِ، وَتَكُونُ الفَرَسُ بالدُّرَيْهِمَاتِ»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : «طوبى لعيش بعد المسيح يؤذن للسماء في القطر و يؤذن للأرض في النبات حتى لو بذرت حبك على الصفا لنبت و حتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره و يطأ على الحية فلا تضره و لا تشاح و لا تحاسد و لا تباغض»[2].[3]

---

[1] رواه ابن ماجه (٤٠٧٧)، وفيه ضعف، لكن هذه الفقرات لها شواهد، كما نبّه إليه الشيخ الألباني رحمه الله في «قصة المسيح الدجال» (٤٩).

[2] وصحّحه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٧٣٦٦).

[3] بتصرف من مقال: (من أعلام النُّبوَّة: تسلُّط المسلمينَ على اليهود الكافرين) للشيخ عبد المجيد جمعة.

فصل

عودة الخلافة على منهاج النبوة

قال المؤلف حفظه الله:

١٤- يعتقد المسلمون أنه لا تنقضي الدنيا حتى تعود خلافة راشدة على منهاج النبوة، وتقع لليهود ذلَّةٌ ومقتلة، ونصرة للمسلمين وكرامة، وفي الحديث: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ الله، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»([1]).

وذلك وعد غير مكذوب.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات:١٧١ - ١٧٣].

قال أبو محمد:

---

[1] أخرجه مسلم (٢٩٢٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إنَّ الآيات والأحاديث النبوية المبشرة بعودة الخلافة، تشرح الصدور وتشفي القلوب وتقشع عن قلب المسلم غشاوة اليأس والقنوط، وتدفع المسلمين وبخاصة العاملين لإقامة الخلافة، للعمل بجد، وإخلاص وصدق، لتحقيق وعد الله وبشرى رسوله ﷺ، فيفوزوا في الدارين: نصر في الدنيا عظيم، وأجر في الآخرة كبير.

فقد توالت البشارات الواردة في كتاب الله سبحانه وفي سنة النبي ﷺ؛ فمما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥) ، وقوله سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٢)، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧)، هذا الوعد الإلهي للمؤمنين بالاستخلاف والتمكين في الأرض والأمن بعد الخوف وعدٌ دائم ومستمر، وما تحقق في عهد الخلفاء الراشدين من نصر وتمكين، يمكن أن يتحقق لمن بعدهم، فإن وعد الله لا يتخلف، قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقاً﴾ (الكهف: ٩٨).

أما الأحاديث النبوية التي جاءت تؤكد هذا المعنى: ما أخرجه أحمد في مسنده عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله يقول: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزّاً يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ

الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ»[1]. وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا» رواه مسلم[2].

وهناك حديث آخر يزرع الأمل في نفوسنا، ويجعلنا على يقين تام بأن هذه الأمة ستعود لتمتلك زمام أمرها وتسود بدينها على جميع الأمم، ما رواه مسلم وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ

---

[1] أخرجه أحمد رقم (١٦٩٩٨) ٤/ ١٠٣، والطبراني في مسند الشاميين رقم (٩٥١) ٢/ ٧٩، والحاكم في المستدرك رقم (٨٣٢٦) ٤/ ٤٧٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والبيهقي في السنن الكبرى رقم (١٨٤٠٠) ٩/ ١٨١، وابن منده في كتاب الإيمان رقم (١٠٨٥) ٢/ ٩٨٢، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٤وقال: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح، وأخرجه أحمد أيضاً رقم (٢٣٨٦٥) ٦/ ٤، وابن حبان من حديث المقداد بن الأسود رقم (٦٦٩٩) ١٥/ ٩١، والطبراني في الكبير رقم (٦٠١) ٢٠/ ٢٥٤، وفي مسند الشاميين رقم (٥٧٢) ١/ ٣٢٤، والحاكم في المستدرك رقم (٨٣٢٤) ٤/ ٤٧٦وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والبيهقي في السنن الكبرى رقم (١٨٣٩٩) ٩/ ١٨١، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٤وقال: رجال الطبراني رجال الصحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٣) ١/ ٣٢، وفي مشكاة المصابيح رقم (٤٢).

[2] رواه مسلم (ح/ ٢٨٨٩).

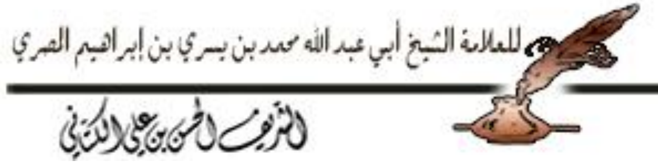
مُرُوجاً وَأَنْهَاراً»[1] وزاد أحمد «...وَحَتَّى يَسِـيرَ الرَّاكِبُ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَمَكَّةَ لَا يَخَافُ إِلَّا ضَـلَالَ الطَّرِيقِ»[2].

وإن مبشرات عودة الخلافة فتح روما، نعم روما معقل الكنيسة الغربية، فقد ورد عن أبي قَبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وسـئل: أيّ المدينتين تفتح أولاً؛ القسـطنطينيـة أو رومية؟ فدعا عبد الله بصـندوقٍ حَلَقٍ، قال: فأخرج منه كتاباً، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسـول الله ﷺ نكتب، إذْ سـئل رسـول الله ﷺ: أيّ المدينتين تفتح أولاً؛ قسـطنطينية أو رومية؟ فقال: «مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلاً - يَعْنِي قُسْـطَنْطِينِيَّةَ» رواه أحمد[3]. ومفهوم الحديث أن الثانية تفتح ثانياً. فالصـحابة رضـوان الله عليهم كانوا على يقين من أن المدينتين سـتفتحان، ولكن السـؤال الذي كان يشغل بالهم هو أيهما ستفتح أولاً؟ وقد تم فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح فكان نعم الأمير، وكان جيشه نعم الجيش. وكذلك حديث قتال يهود والانتصـار عليهم، ما رواه ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله

[1] رواه مسلم (١٥٧) . والمروج : هي الأرض الواسعة كثيرة النبات .

[2] رواه الإمام أحمد في "مسـنده" (٨٨٣٣) بتحقيق شـيخنا الارناؤوط رحمه الله، وفيه أن إسـناده صـحيح على شرط مسلم.

[3] رواه أحمد في " المسـند " (١١/ ٢٢٥) ، والحاكم في " المسـتدرك " (٤/ ٥٥٥) وصـحـحه ووافقه الذهبي والألباني، وابن عبد الحكم في " فتوح مصر " (ص٢٥٦-٢٥٧) ، جميعهم من طريق يحيى بن أيوب ، قال حدثني أبو قبيل .



ﷺ يقول: «تُقَاتِلُكُمْ الْيَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ» متفق عليه.

وحديث الورق المعلق والعمل بما فيه، فقد أخرج الحاكم في المستدرك من طريق عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَتَدْرُونَ أَيَّ أَهْلِ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ إِيمَاناً؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ الْمَلَائِكَةُ؟ قَالَ: «هُمْ كَذَلِكَ وَيَحِقُّ ذَلِكَ لَهُمْ وَمَا يَمْنَعُهُمْ وَقَدْ أَنْزَلَهُمُ اللهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي أَنْزَلَهُمْ بِهَا بَلْ غَيْرُهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَالْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ؟ قَالَ: «هُمْ كَذَلِكَ وَيَحِقُّ لَهُمْ ذَلِكَ وَمَا يَمْنَعُهُمْ وَقَدْ أَنْزَلَهُمُ اللهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي أَنْزَلَهُمْ بِهَا بَلْ غَيْرُهُمْ»، قَالَ: قُلْنَا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَقْوَامٌ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ فَيُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي وَيَجِدُونَ الْوَرَقَ الْمُعَلَّقَ فَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، فَهَؤُلَاءِ أَفْضَلُ أَهْلِ الْإِيمَانِ إِيمَاناً». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[1]. ومعنى الحديث: فيجدون

---

[1] رواه الحاكم في "مستدركه" (٦٩٩٣)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٥٨/ ٢٥٥) من طريق مُحَمَّد بْن أَبِي حُمَيْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: " كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَتَدْرُونَ أَيُّ أَهْلِ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ إِيمَانًا ؟)، قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ الْمَلَائِكَةُ ؟، قَالَ: (هُمْ كَذَلِكَ وَيَحِقُّ ذَلِكَ لَهُمْ وَمَا يَمْنَعُهُمْ وَقَدْ أَنْزَلَهُمُ اللهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي أَنْزَلَهُمْ بِهَا، بَلْ غَيْرُهُم)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَالْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ ؟، قَالَ: (هُمْ كَذَلِكَ وَيَحِقُّ لَهُمْ ذَلِكَ وَمَا يَمْنَعُهُمْ وَقَدْ أَنْزَلَهُمُ اللهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي أَنْزَلَهُمْ بِهَا، بَلْ غَيْرُهُمْ)، قَالَ: قُلْنَا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: (أَقْوَامٌ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ فَيُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي وَيَجِدُونَ الْوَرَقَ الْمُعَلَّقَ فَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ فَهَؤُلَاءِ أَفْضَلُ أَهْلِ الْإِيمَانِ إِيمَانًا) وقال الحاكم عقبه: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "

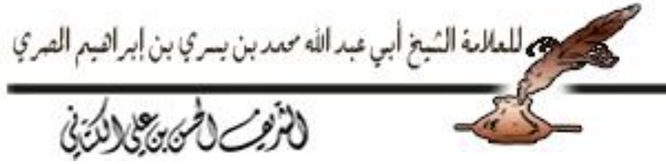
الورق المعلق والذي يشمل الكتاب والسنة لا يعمل به فيعملون بما فيه كله. أي أنهم يجدونه على الرفوف لا يُعمل به فيضعونه موضع التطبيق في واقع الحياة.

وكذلك حديث عقر دار المؤمنين بالشام في آخر الزمان، ما رواه ابن عساكر ولم يخرّجه عن ميسرة بن جليس عنه عن النبي ﷺ: «هَذَا الأَمْرُ - يعني الخلافة - كَائِنٌ بَعْدِي بِالْمَدِينَةِ، ثُمَّ بِالشَّامِ، ثُمَّ بِالْجَزِيرَةِ، ثُمَّ بِالْعِرَاقِ، ثُمَّ بِالْمَدِينَةِ، ثُمَّ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَإِذَا كَانَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ فَثَمَّ عُقْرُ دَارِهَا، وَلَنْ يُخْرِجَهَا قَوْمٌ فَتَعُودَ إِلَيْهِمْ أَبَداً» ومنها عند الحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه[1].

فرده الذهبي بقوله : بل محمد بن أبي حميد ضعفوه " . وللحديث شواهد وطرق أخرى ، لا يخلو شيء منها من ضعف ، وعلة . وقد حسنه الشيخ الألباني رحمه الله بطرقه في "السلسلة (٣٢١٥) . وينظر : "عمدة التفسير" للشيخ أحمد شاكر(٣/ ١٤) .

[1] هذا الحديث أخرجه نعيم بن حماد في "الفتن" (٢٧٦) ، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١/ ١٨٥) ، من طريق الوليد بن مسلم ، قال أخبرنا مروان بن جناح عن يونس بن ميسرة بن حلبس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأمر كائن بعدي بالمدينة ، ثم بالشام ، ثم بالجزيرة ، ثم بالعراق ، ثم بالمدينة ، ثم ببيت المقدس ، فإذا كان ببيت المقدس فثم عقر دارها ، ولن يخرجها قوم فتعود إليهم أبدا ".

وهو حديث ضعيف، وذلك لأنه مرسل ، حيث إن يونس بن ميسرة بن حلبس الذي روى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ثقة عابد ، إلا أنه من التابعين ، والمرسل ضعيف لانقطاعه كما هو معلوم .



وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا وَقَعَتِ الْمَلَاحِمُ خَرَجَ بَعْثٌ مِنَ الْمَوَالِي مِنْ دِمَشْقَ، هُمْ أَكْرَمُ الْعَرَبِ فَرَساً، وَأَجْوَدُهُ سِلَاحاً، يُؤَيِّدُ اللهُ بِهِمُ الدِّينَ»[1].

وحديث الخلافة على منهاج النبوة الذي أخرجه أحمد في مسنده عن النعمان بن بشير قال: كنا قعوداً في مسجد رسول الله ﷺ وكان بشير رجلاً يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبة الخشني فقال: يا بشير بن سعد أتحفظ حديث رسول الله ﷺ في الأمراء؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة فقال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً عَاضّاً فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً جَبْرِيَّةً فتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ

وأما الراوي عنه وهو مروان بن جناح فحديثه في مرتبة الحسن، في الجملة ، قال فيه الدارقطني كما في "سؤالات البرقاني" (٥١٥) :" لا بأس به ". ، ووثقه دحيم وأبو داود . كذا في "تهذيب الكمال" (٢٧/ ٣٨٧) ، وقال أبو حاتم كما في "الجرح والتعديل" (٨/ ٢٧٤) :" شيخ يكتب حديثه ولا يحتج به " .

والراوي عنه هو الوليد بن مسلم وهو ثقة مدلس ، وتدليسه شر أنواع التدليس ، وهو تدليس التسوية ، وقد صرح بالتحديث ، وبقية رجال الإسناد لا بأس بهم .

[1] أخرجه ابن ماجه (٤٠٩٠)، والحاكم (٨٦٤٦) باختلاف يسير، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده يحتمل التحسين. راجع "السلسلة الصحيحة" (٢٧٧٧).

يَرْفَعُهَا إِذَا شَـاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ. ثُمَّ سَـكَتَ»[1]. في هذا الحديث مرحلة وبشرى خير ينتظرها الناس، وهي مرحلة الخلافة على منهاج النبوة، والتي تمسح عن الناس آلام الماضي، وشـدة الحكم الجبري، وعوامل ضعف المسلمين، وهذه المرحلة المذكورة هنا قادمة قريبا بعون الله.

وخلاصة القول إن الخبر عن رجوع الخلافة على منهاج النبوة وأنها كائنة، هذا المعنى قد تواتر، فقد رواه على الأقل خمسـة وعشرـون صـحابياً، ورواه عنهم تسـعة وثلاثون تابعياً ورواه عنهم اثنان وسـتون من تابعيهم، ممن يؤمن تواطؤهم على الكذب، وبهذا يثبت التواتر المعنوي، فضـلا عن وعـد الله بالنصرـ والتمكين للمؤمنين وبشرـى رسـول الله ﷺ بفتح القسـطنطينية وقد فُتحت، وبشر بفتح روما وستفتح إن شاء الله، وبشر بأن هذا الدين سيبلغ ما بلغ الليل والنهار وبقتال يهود، وبشر بعودة الخلافة على منهاج النبوة. فلا تتعجلوا أمر الله ووعده، ولكن تعجلوا بإخلاصـكم وتضحياتكم، نسأل الله تعالى أن يمّن علينا بإدراك دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وأن يكرمنا بالعمل جنداً لها إنه على ذلك قدير.

---

[1] رواه الإمام أحمد (١٨٤٠٦) وحسـنه الألباني في "الصحيحة" (٥). وروى الإمام أحمد (٢٠٤٤٥) عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ) وهو حديث حسن.

وبهذا نكون قد وصلنا لنهاية مسائل هذه العقيدة المباركة، فالله يجزي الشيخ المؤلف أفضل الجزاء على ما كتبه ، وينفع به وبشرحه، كما أني أسأل الله أن يعجل بتحرير بيت المقدس وجميع بلاد المسلمين المحتلة، ويكرمنا بالصلاة فيها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله وصلى الله على رسول الله وآله.

كتبه الحسن بن علي محمد المنتصر بن محمد الزمزمي بن محمد جعفر الكتاني الحسني عفا الله عنه. برباط الفتح بالمغرب الأقصى يوم ٢٤ شوال سنة ١٤٤٢ من هجرة خير الانام عليه أفضل السلام.

تمت بحمد الله

مع تحيات موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية



رابط كتب الشيخ علي صفحة الموسوعة في مكتبة نور

https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B3%D9%86-%D8%A8%D9%86-%D8%B9%D9%84%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A7%D9%86%D9%8A-pdf